ISSN : 1606- 4836 الرقم المعياري الدولي



مجلة تراثية فصلية محكمة / العدد الثالث والرابع ـ السنة الرابعة والأربعون ٢٠١٧ م / ١٤٣٨هـ

المشاركات السنوية للمورد (بواقع اربعة اعداد سنوياً)

١. داخل العراق ١٥٠٠٠ ديناراً للافراد و٣١٠٠٠ ديناراً للمؤسسات.

٢. البلـدان العربية كافـة ١١٣ دولاراً للافراد ٧٥ دولاراً للمؤسسات.

٣. أوربـا وأمريـكا وبقيـة البلـدان: ١٢٥ دولاراً للافراد و٢٥٠دولاراً للمؤسسات.

عنـوان المراسـلة: جمهوريـة العـراق/ بغداد- الأعظمية/ حـي تونـس/ دار الشـؤون الثقافية العامـة ص.ب: ٤٠٣٢/ هاتـف ٤٤٣٦٠٤٤/ فاكس: ٤٤٦٧٦٠

البريد الالكتروني: dar- iraqculture@ yahoo .com

رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٧م

محتويات العدد الثالث والرابع ٢٠١٧م

دراسات لغوية ومعجمية

دراسات أدبية ونقدية

دراسات في التاريخ الاجتماعي

الملف / دراسات في تاريخ العراق القديم وتراثه

دراسات في تحقيق التراث ومصادره



مُقَدِّمات وآراء صاحب (التاج) لشواهده الشِّعريّة

عبد العزيز إبراهيم*

السيد محمد مرتضى الحسينيّ الزَّبيديّ (١١٤٥-١٢٠٥هـ) هو مؤلف «تاج العروس من جواهر القاموس» الذي بنى معجمه اللغوي على معجم (القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت/٨١٧هـ) شرحاً لمادته وتوسيعاً لشواهده، معتمداً على معاجم القدماء من (العين) حتى (لسان العرب) مروراً بـ(جمهرة ابن دريد) و(تهذيب الأزهريّ) و(مقاييس ابن فارس) و (صحاح الجوهري) فضلاً عن (حواشي ابن بري) و(عباب الصاغاني) وعمله هذا يُعدّ بحق آخر معاجم القدماء اللغويّة: عذره في ذلك أن معجم الفيروز أبادي (كان إبرازه في غاية الإيجاز وإيجازه عن حدِّ الإعجاز)[١] ولم يتمكن من (صدّى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم.. فمنهم من اقتصر على شرح خطبته.. ومنهم مَنْ تَقيَّد بسائر الكتاب.. ومنهم كالمستدرك لما فات والمعترض عليه بالتعرض لما لم يأتِ) فكان هدفه أن يَسدَّ ما عجز السابقون عليه «في وضع شرح عليه ممزوج العبارة، جامع لمواده بالتصريح في بعض وفي (بعضها)[٢] بالإشارة وافٍ ببيان ما اختلف من نُسخَه، والتصويب لما صحّ منها من صحيح الأصول، حاوٍ لذِكْر نُكَته ونوادره والكشف عن معانيه والإنباه عن مضاربه ومآخذه بصريح النقول والتقاط أبيات الشواهد له مستمداً ذلك من الكتب... الخ».

* كاتب/ العراق

كما جاء في مقدمة الزَّبيديّ في معجمه.

ولما كان الشاهد في معاجم القدماء يستند إلى القرآن الكريم والحديث النبويّ والكلام العربيّ شعراً كان أم نثراً، فانّ الزَّبيديّ قد أكثر من الشعر في مواده اللغوية تنظيراً لقاعدة أو بياناً لمسألة لغوية، وسيلته في ذلك المقدمة التي تُمهِّد للشاهد الشعري- مدار بحثنا- أو ما يعرض له من رأي حوله.

القسم الأول: المقدمات

وفيه نعرض لصاحب الشاهد أو قائله وروايته وطرق تقديمه.

١) صاحب الشاهد:

يأتي الشاهد الشعريّ عند الزَّبيديّ على نوعين: المعروف نسبةً، والمجهول نسبته. وفي كلا النوعين يتدخل الزَّبيديّ في تقديمه ممهداً له ما أمكنه ذلك إذا كان من النوع الأول، وأمّا إذا كان من الثاني فإنّه يحاول أن يُقرِّبه للقارئ (المتلقي) لكنه قد لا يُعرِّف به أو يقدم له فيستعمل عند ذاك قبل أن يذكر البيت لفظة (وأنشد) كما في مادة (حنقط/ج١٩) أو (قال) كما في مادة (نقض/ ج١٩). وقد يلحق الفعل بفاعل نكرة (وقال آخر) كما في (حنط / ج١٩).

أ-الشاعر المجهول: ولنا في ذلك مثالان:

الأول: تقديمه باسناد من رواة اللغة كقوله: (وأنشد ابن الأَعْرابيّ) في (ثرمط/ج١٩) أو يضاعف الإسناد فيقول: (نقله الأزهريّ عن أبي عُبَيدة وأنشد) في (حنق/ج٢٥).

الثاني: يذكر الشاهد الشعريّ ويُقدِّم له مُعرِّفاً بانتمائه القَبَليّ فيقول (وقال رجلٌ من بني الحِرْماز) في (طلفح/ج٦) أو يقول: (راجز من بني سُوَاءَة) في (مغد/ج٩) أو يوثق بمصدر فيقول: (قلتُ: وفي أنساب البلاذريّ أنشدت امرأة من بني رياح) في (أرب/ج٢).

وقد يتجاوز المفرد رجلاً كان أم امرأة إلى استعمال (بعض) التي تعني الواحد ويريد أحدهم فيقول: (قال بعض الطائيِّين) في (ضروخ/ج٧) على سبيل التمثيل لا الحصر.

ب-الشاعر المعروف: وهو على نوعين بحسب تقديم المؤلف للشاهد الشعريّ، فقد يكون قبل الشاهد، أو يكون بعد أنْ يستشهد به:

الأول: قبل الشاهد وهو الشائع في مقدماته فيذكره باسمه المعروف(الكميت) لكن هذا الاسم يشترك فيه أكثر من واحد، عند ذاك يتطلب من المحقق أنْ يُحدِّد من هو في (أمو/

ج٣٧): (ابــن ثعلبــة) أو (ابــن زيــد) أو (ابن معروف) وقد يُسهب في اسم الشاعر (إبراهيم بن هرمــة) في مادة (ســبأ/ج١) فيقدم قائلاً: (قــال إبراهيم بن علي بن محمد بن ســلمة بن عامر بن هَرْمة) أو مع كنيته في غيره (أبو دُوَاد جارية بن الحجاج الإياديّ) في (قفص/ج ١٨) أو يأتي باسمه (الكميت بن زيد) ثم يُزيد كنيته (أبو المُستَهل) في (رضف/ ج ٢٣) وقد يُعرِّف بكنيته ولقبه (أبو كبير الهُذَليّ) فيقدم للشاهد بقوله (واســمه عامر بن الحُلَيْس) في (غبر/ ج ١٣) أو يقدم اللقب على الكنية فيقول في مادة (سندر/ ج ١٢): (قال الهُذَليّ وهو أبو جُنْدَب) أو يُعرِّف به نســباً، ومثالــه (الراعيّ النميريّ) في مادة (قنــع/ ج ٢٢) فيقول: (وهو من بني قطن بن ربيعة بن الحارث بن نُمير) أو يُعرِّف بعــصره كقوله في (ثري/ ج٣٧): (قال المأثور المُحاربيّ، جَاهليّ).

وقــد يُفَرِّق بين شــاعرين إذا مــا عُرفا باللقب نفســه في مادة (نكب/ ج٤) فيقول: (المُتَذكب الخُزَاعيّ والسّلِميّ: شاعران. فالخزاعيّ اسمه عمــرو بن جابر، لقب له.. والسّــلميّ: يقال له البَجَــلِيّ أيضــاً. لكــن الرجل قد يُوقــع القارئ بالوهــم دون أن يُشــير إلى أنَّ (أبــو الطمحان القَينيّ) في مادة (جــوش/ج١٧) هو (حنظلة بــن شرقــي) في (عفــو/ج٣٩). وبالمقابــل قد يُشرك شــاعراً في نسبة الشــاهد دون أنْ يذكر اســمه ويكتفــي بكلمة (غــيره) كمــا في مادة (برجد/ج٧) فَقَدَّمَ قائلاً: (وإياه أراد قيس بن الخطيم الأنصاريّ أو غيره). ولا يختلف الحال في تقديــم الرجــز فهو يقــدِّم له بقولــه: (قال الراجــز) ثم يتابــع (وهو رؤبــة) في (ميش/ ج١٧) أو يُقدِّم للرجز بإسناد أحد علماء اللغة فيقول: (وأنشد الجوهريّ للراجز) ثم يستدرك بالقول (قلت: هو رؤبة).

الثاني: بعد الشاهد. وهو أن يذكر الشعر دون أن يُنبّه على اســم صاحبه إلا بعد الاستشــهاد، معلقاً القول: (وأنشــد الأزهــريّ قول الراجز) ثم يذكر ثلاثة أشطر من الرجز، ثم يقول بعد ذلــك: (قلت: الرجز لِمُعْتَمــر بن قطبة) في مادة (كشش/ ج١٧).

٢) رواية الشاهد.

قبــل أن تتحــول الروايــة الشــفويّة إلى رواية مدوَّنــة كانــت عملية جمــع[٣] اللغة شــعراً أم نثراً تشــكل انحرافاً عَمّا اصطلح عليه بمعنى

الروايــة لغــة في نهايــة القــرن الأول وبدايــة الثاني الهجريين، ممــا مَهّد الطريق لأصحاب المعاجم اللغوية بالاستشــهاد بالشعر أو النثر تأييداً لموادهــم اللغويّة. لكن ذلك لم يَمرّ دون إشكالات تمثلت في رواية الشاهد نفسه اختلافاً أو تغييراً أو تكريراً.

أ- رواية القدماء للشاهد.

لا يتفــق القدماء في بعض الأحيــان على رواية واحدة للشــاهد بالرغم من كثــرة نقولهم عن بعضهــم. وهذا ما دفع الزَّبيــديّ إلى التنبيه في مادته اللغوية على هذا الاختلاف. ومثال ذلك في (زحف/ ج٢٣) يُقــدِّم قائلاً: (قال الجوهريّ: ومُعْتُادهُ مِزْحَاف) وأنشــد لأبي زُبيْد الطائي- قال الصّاغاني: يرثي عثمان (رض):

كأنَّ أَوْبَ مَسَاحِي القَوْم فَوْقهُم

طَيْرٌ تَعِيفُ على جونٍ مَزَاحِيفِ

ثمَّ يُعرّج على رواية ابن بري فيقول: والذي في شــعره: (كأنَّهُنَّ بأيْدِي القوم في كَبَد) ثم يذكر العجز نفسه. ويتحول إلى الصاغانيّ في العباب فيذكــر العجز فقــط (طَيْرٌ تكَشّــفَ عن جُونٍ مَزَاحِيفِ). أما الصدر الــذي ذكره الصاغانيّ في العباب (زحف) فإنّه يتفق ورواية ابن بريّ. ثــم يذكــر رواية الأزهــريّ في (تهذيــب اللغة) باختــلاف في الصــدر (حتى كأنَّ) بــدل (كأنَّ أَوْب) وفي العجــز (تحــوم) بــدل (تعيــف) في روايــة الجوهريّ في الصحاح (زحف) وينتهي عند ابن ســيده حيث ينقل تعليقه على الشاهد الشعري قائلاً: «قال ابن سِيَده: شَبَّهَ المساحي التــي حفــروا بهــا القــبر، بطير تقع عــلى إبل مزاحيــف، وتطــير عنهــا بارتفــاع المســاحي وانخفاضها».

أو يروي الشاهد كما في (شحن/ ج ٣٥) ويُبيِّن اختلاف القدماء في رواية عجز الشاهد كقوله: (وأنشد ابن بري لأبي قلابة الهُذَليّ):

إذْ عَارَت النَّبْلُ والتَفَّ اللّفوفُ وإذْ

سَلّوا السُّيوفَ وقد هَمّتْ باشْحانِ

ويــروي العجــز عــن ابــن الأعرابــيّ: (سَــلّوا السُّيوفَ عُراةً بعد إشْحانِ).

ويرويه ثالثــة بقوله: وروايــة الجوهريّ هنا: (وقد هَمّتْ باشْــحان) ثم يرويــه رواية رابعة فيقول: (كما أنشده ابن بري، ورواه الأزهريّ: (عُراة بعد إشحان).

أو يُغــيّر آخر الصدر في الشــاهد الشــعريّ في

(أبــأ/ج١) دون أن يذكـر أيّاً مـن رواة اللغة ويكتفي بكلمة: ويروى:

وأكحُلْكَ بالصَّاب أو بالجَلا

فَفَتِّحْ لكُحْلِكَ أو أغمِضِ

ويرويه مـرة ثانية بـ(الحَلُـوءِ) بدل (الجلا)، و(لِعيْنِك) بدل (لكحلك) والفعل من (أغمض) إلى (غَمّضِ).

ب- التدخل برواية الشاهد.

قد يَمدّ الزَّبيديّ يده للشاهد الشعريّ كي يلائِم مادته اللغوية ومثال ذلك مقدمته لبيت الشعر في (حوف/ج٢٣):

تَحوَّف الرَّحْلُ مِنها تامكاً فِرداً

كما تَحوّف عُودَ النَّبْعَة السَّفَنُ

فقــال: «وتَحوَّفْـتُ الـشيء: تَنَقّصْتَـه. نقلـه الجوهـري وكذلك تخوفتـه بالخـاء وتَخَوَّنْتُه بالنون» وهو بذلك يُمهّدُ لتغيير رواية الشــاهد في (خوف) وما ذكره عن الجوهريّ في الصحاح كان صحيحـاً لكـن صاحـب الصحـاح لـم يستشــهد بالبيت إلا في مادته (خوف) مخالفاً رواية الزَّبيديّ في عجـز البيت فجاءت (ظهر) بدل (عود) ولا تطابـق رواية الزّبيديّ في مادة (خوف).

تَخوَّف السَّيْرُ مِنْها تَامِكاً قَرِداً

كَمَا تَخَوَّف عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

حيث قَدَّمَ للشاهد قائلاً: (وقال ابن فارس: إنه من باب الإبدال وأصله النون (أي خون).. لكن ابن فارس في معجـم مقاييس اللغة لم يتخذه شاهداً في مادته (خوف) أو (خون).

ج- تكرير الشاهد.

التكرير في اللغة (إعادة الشيء مرة بعد أخرى) ويختلف عـن (التكرار) الـذي يعني (تجديد اللفظ الأول ويُفيد ضربـاً من التأكيد).[٤] وقد اعتمده علماء اللغة كونه وسيلة تعليمية فضلاً عـن كونه قراءة ثانية للنـصّ يتم توظيفه بما يوافق المادة اللغويـة. وهذا ما صنعه الزَّبيديّ عندمـا اتخـذ من تكريـر الشـاهد في معجمه وسـيلة لإسـناد رأيـه، سـواءً ما تعلـق الأمر بالشاهد نفســه أو تغيير روايته أو ذكر شطرٍ منه، الصدر أو العجز مرة أو أكثر.

١- تكرير البيت في المادة نفســها كما صنع في (دبر/ ج١١) مؤيـداً معنى (الدَّبْر): النحل فقال: (سميت دَبْراً لتدبيرها وتأنقها في العمل

العجيب، ومنه جاء بيوتها، ويُكسر فيهما (أي فتح الدال أو كسرها) عـن أبي حنيفة، وهكذا روي قول أبي ذُؤيب الهُذليّ:

بأسْفل ذاتِ الدَّبْر أُفرِدَ خِشْفُها

وقد طُرِدَتْ يومين وهي خَلُوجُ

فكرره في المادة نفسها مُنَبِّها على أنَّ الأصمعيّ صَحّفه بقولــه: (ذات الديْرْ) بالياء المثناة بدل الباء. ومثال آخر قول لبيد في (كنس/ج١٦).

٢- تكريــر البيــت في مــادة أخــرى، ومثاله ما جــاء في (زند/ج٨) حيث قدّم قائــلاً: تَزَنَّد الرجل: غضب وتحزق، قال عَدِيّ:

إذا أنتَ فاكهت الرِّجالَ فَلا تَلَعْ

وقُلْ مِثل ما قالُوا ولا تتزنَّد

وبعد روايــة البيت يضيف قائــلاً: (وقد رُوي بالياء. وسيأتي ذكره) وهو بذلك يمهد لتكرير الشاهد في (زيد/ ج ٨) فيروي (ولا تَتزيد) بدل (لا تتزند) مقدما القول: التزّيد: تكلف الزّيادة في الكلام وغيره، أي الفعل، وإنســان يتزيد في حديثــه وكلامــه إذا تكلّف مُجــاوزة ما ينبغي وأنشد البيت: وقد يكرره في أكثر من مادة كما صنـع في رجز أبــي النجم العجلي فاستشــهد فيه في (وأب/ ج٤) وكرّر الاستشــهاد به ثلاث مرات أخرى في (رضح/ج٦) و(فرشــح/ج٧) و(صرر/ج١٢).

٣-تكرير شطر من البيت.

أ-صدر البيت: ويأتي بعد ذكر الشــاهد دون أن يحتاج إليه في مادته اللغوية. ويكون ذكره للفائــدة حين يرويه برواية أخرى كما صنع في بيت الكميت في (شرر/ج١٢).

إذا هو أمْسَى في عُبَاب أشِرّة

مُنِيفاً سَامِياً في عُبَابِه

ب-عجــز البيــت: ويأتــي كذلــك بعــد ذكر الشــاهد ناقــلاً رأي أحد اللغويــين في (غور/ ج١٣) استشهد ببيت الأعشى:

نَبيّ يَرَى مالا تَرَوْنَ وذكرُهُ

أغارَ لَعَمْريّ في البلاد وأَنْجَدا

يشرح فيه معنى (الغور) لكنه يستشهد بعجز البيت مدلَّلاً عــلى رأي الفَرّاء وهو يقول: أغار: لغةٌ في غار. واحتــج بيت الأعشى ثمّ يعرج على رأي ابن منظور ليقول: قال صاحب اللســان: وقــد رُويَ ببيت الأعشى مخرومَ النِّصف: (غارَ لَعَمْري في البِلاد وأنجدا).

وقد وهم محققا الطبعتين (الكويت) و(بيروت) في ضبط العين في (لعمري) بالسكون والصواب

فتحها وسكون الميم كما في اللسان (غور) ويكرر الزَّبيديّ العجز بالرواية الأولى مرتين، منبهاً على اختلاف المعنى في الأولى، وفي الثانية يطرح رأيه قائلاً: (قلتُ: وقال ابن القطاع في التهذيب: وروى الأصمعي: الشطر...»

٣) طرق تقديم الشاهد

الطرق التي يدخل بها الزَّبيديّ كي يتقدم لشاهده الشعريّ متنوعة يتحكم فيها حضور الشاهد أو غيابه، أي الإشارة إليه دون ذكره.

أولاً: حضور الشاهد الشعريّ.

ويتمثل هذا الحضور في عشر طرق سار على هديها الزّبيديّ في تقديم الشاهد الشعريّ الذي وظفه تأييداً لمواد تاجه تفسيراً أو تعريفاً. وهي:

١- مباشرة الشاهد بعد المادة اللغويّة تأييداً لما يذهب إليه معناها. وهذه المباشرة هي الطريقة الغالبة على ضرب المثل الشعريّ الشارح لدلالة المفردة ومشتقاتها عامة. وأمثلة ذلك لا تقتصر على تاج العروس بل المعاجم العربية.

قال الزَّبيديّ في (جبر/ج١٠): «الجَبْرُ: الملك، قال: ولا أعرف مم أشتق، إلا إنّ ابن جني قال: سُمِّي بذلك لأنه يَجْبُرُ بجوده وليس بقَوِيّ» قال ابن أحمر:

وأسْلَمَ براوُوق حُيِيت به

وأنْعَمْ صَباحاً أَيُّها الجَبْرُ

٢- التنبيه على مجيئه: إذا ازدحمت الشواهد الشعرية في المادة نفسها، فإنه ينبّه على ذلك في مادة (حلب/ج٢) فقال:«قلتُ وكذا حوالب الضرع والذَّكر والأنف، يقال مَدّت الضرع حوالبه. وسيأتي قول الشماخ» ويذكر ذلك مع لفظة (الحالبان) فيقول: وأما قول الشماخ:

تُوَئِلُّ من مِصَكَّ أنْصَبَتْهُ

حَوَالِبُ أَسْهَرَيْهِ بالذَّنينِ

٣- القراءة أو الإحالة على المصدر. كقوله في (أشب/ ج٢) (وقرأت في كتاب الأنساب للبلاذُرِيّ) عند ذكر ابن مَيّادَة الشاعر ما نصه: وقال سَمَاعة بن أشول النَّعامِيّ من بني أسد:

لَعَلَّ ابنَ اشبانِيّة عارضت به

رِعَاءَ الشّويِّ مِنْ مُرِيح وعَازِبِ

ثم يضيف بعد الشاهد (والأشبان من الصقالبة، ويُروى ابن فَرَّانيّة، انتهى) وهذا يعني أن قراءته انتهت.

٤- الاستدراك: ويكون بعد نهاية النقول عن

القدماء في المادة أو في نهايتها بلفظ الاستدراك، كما في (جذو/ج٣٧) فيقول مُقدّماً: (ومِمّا يستدرك عليه: الجِذَاءُ: جمع جاذٍ للقائم بأطرافِ الأصابع كنائم ونِيام) قال المرّار:

أعَانِ غَريبٌ أَمْ أَمِيرٌ بأَرْضِها

وحَوْلِيَ أعداءٌ جِذَاءٌ خُصُومُها

٥- الحكاية والحديث: ويكون أساس التقديم قائماً على حديث له حكاية يذكرها دون أن يسهب بها. ومثال ذلك قول الزبيديّ في (حشرج/ج٥): وفي حديث عائشة.. ودخلت على أبيها- رضي الله عنهما- عند موته فأنشدت:

لعَمْرُك ما يُغْنِي الثَّراءُ ولا الغِنى

إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ

فقال: ليس كذلك ولكن (وجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقِّ بالمَوْتِ) (ق/١٩).

٦- الإشارة إلى شعر الشاعر. وتكون إلى قصيدة أو بيت قبله أو بعده. ومثالها ما جاء في (نهي/ ج٤٠) حيث يستشهد ببيت تأييداً للفظة (النُّهاء):

تَرُدُّ الحَصَى أَخْفَافُهُن كأنّما

يُكَسَّرُ قَيْضٌ بَيْنَها ونُهاءُ

ثمَّ يعقب بعد ذلك قائلاً: «وقال القالي: النّهاءُ بضم أوله: الزُّجاجُ وأنشد البيت المتقدم؛ قال: وهو لعُتَيّ بن مالك وقبله:

ذَرَعْنَ بنا عُرْضَ الفلاة ومالَنا

عليهن إلاّ وَخْدَهُن سِقاءُ»

٧- عرض آراء علماء اللغة في المفردة ثم الاستقرار على آخرهم كما في (مزج/ ج٦) حيث يقول: المِزْج بالكسر: اللوز المُرّ. قال ابن دُريد: لا أدري ما صحته، وقيل: انما هو المَزج كالمزيج.. الأخير من الأساس (يقصد نقل الزمخشري في أساس البلاغة). والمِزج بالكسر العَسَل. وفي التهذيب (يقصد نقل الأزهري في تهذيب اللغة): الشهد. قال أبو ذؤيب الهُذليّ:

فَجاءَ بمِزْجٍ لم يرَ الناسُ مِثْلَه

هُوَ الضّحْكُ إلا أنه عَمَلُ النَّحْلِ

٨- الإحالة على مادة لاحقة أو سابقة في معجمه. ومثال الأولى ما قاله في (تبر/ج١٠): (التابرية في قول أبي ذؤيب سيأتي في (ث ب ر). وفيها يقول: الثابريّة، ويقال: التابوية.. في قول أبي ذؤيب الهذلي:

فأعشيْته مِنْ بَعْد راثَ عِشْيُه

بِسَهْم كَسَيْرِ الثّابِريَّةِ لَهْوَقِ

وإنْ علّق بعد عرض الشاهد قائلاً: (لم أجده في ديوانه).

أما الإحالة السابقة فهو قوله (صقف/ج٢٤): الصَّقائِف: طوائف ناموس الصائد لغة في السِّين، وهكذا أنشِدَ قول أوس، فانظره في (سقف). والمادة سبق ذكرها في الجزء الثالث والعشرين حيث ذكر الزَّبيديّ الشاهد الشعريّ لأوس بن حجر:

فَلاقى عَلَيْها مِنْ صُبَاحَ مُدَمِّراً

لِنامُوسِهِ من الصَّفِيح سَقَائِفُ

٩- التعليق. وفيه يقدم المادة اللغوية معلقاً عَلَيها. وقد يَمُدُّ تعليقه للشاهد الشعريّ إنْ احتاج إلى توضيح يراه كما في (زيب/ج٣) فقال: «الزَّيبُ: ساحل بحر الروم، ومنهم من قال إنها بالنون بدل التحتية (أي الباء) وهو خطأ. والصواب ما ذكرنا. ورجل زيب: جلدٌ قوي» يذكر الشاهد الشعريّ بعد أن يقدم سلسلة الإسناد فيقول: (وفي حاشية الجلال السيوطي على البيضاويّ نقلاً عن الخطيب التبريزي في شرح الحماسة:

أيا ابنَ زَيّابة إنْ تَلقِني

لا تَلْقَنِي في النَّعَم العازب

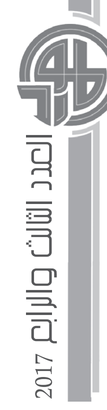
قال: ابن زَيّابة، اسمه سَلَمَة بن ذُهْل، وزيَّابة: اسم أمِّه. قال الجَلَال: ووقع في حاشية الطِّيبيّ أن زيّابة اسم أبي الشاعر، وهو وهم.

أو يسهب في التعليق ويذكر أكثر من بيت شعري رواية وآراء علماء اللغة في الشعر كما في (حزق/ ج٢٥) وهو يتحدث عن (مُحَيّاة بنت حَازُوق).

١٠- الاقتضاب في التقديم واختصار الشاهد، مثاله في (شتت/ج٤) وهو يشرح مفردة (شتان) فيقول: «فإن نقلت شَتّانَ عن أنْ يكون اسما للفعل فجعلته اسماً للتشتيت معرفة صار بمنزلة: (سُبْحَان من عَلْقَمة الفاخِر» وهذا الشطر هو عجز لبيت الأعشى صدره: (أقول لما جَاءَني فَخْرُه) – ينظر: (ديوانه/١٤٣) القصيدة رقم (١٨) ثم يضيف قائلاً: (في أنّه اسم للتنزيه معرفة).

ثانياً: غياب الشاهد الشعريّ .

ما نقصده بالغياب هو عدم حضور الشاهد الشعري في المادة اللغوية في التاج فلا يذكر الزبيديّ الشعر بل يكتفي بالإحالة عليه، وقد يذكر صاحب الشاهد دون أن يحيل على شعره.



أ- الإحالــة عــلى شــعره، أي عــلى شــعر الشاعر. ويتمثل ذلك في:

١- استعمال لفظة (قول). مثاله في (عرج/ ج٦) يقول الزّبيديّ:

«الروح معروج في قول الحســين بن مطير أي معروج به» وهو يريد البيت الشعري:

زارتْكَ سُهْمَةُ والظّلماءُ ضاحِيَةٌ

والعَيْنُ هاجِعةٌ والرُّوحُ مَعْروجُ

كما نبه محقق التاج (ط. الكويت) ولم يلتفت إليه محقــق التاج (ط. بــيروت) وكانت إحالة الأول على لســان العرب (عرج). وأُضيف لذلك ديوانه (ط. د. حســين عطوان/٣٧) و(ط. د. محســن غياض/٣٩). ومثال آخر في (جبخ/ ج٧) (في قول طرفة) وكذا في (قمد/ج٩) (وقد جاء في قول رؤبة).

٢- النــصّ في شــعره. كقــول الزّبيــديّ في (جــشر/ج١٠): (الجاشِريّة في شــعر الأعشى: قبيلة من قبائل العرب من ربيعة. وذكر محقق (ط. الكويــت) عجزه فقط في الهامش. والبيت كما في (ديوانه/٦١) القصيدة رقم(٦):

قَدْ كانَ في أَهْل كَهْف إنْ هُمُو قَعَدُوا

والجاشِريَّة من يَسْعَى ويَنْتَضِلُ

وأغفله محقق (ط. بيروت).

وهناك أمثلة أخرى كقول الزَّبيديّ في (سمج/ ج٦) (في شــعر الطرمــاح) وفي (عميــج/ج٦) (في شــعر أبي ذؤيب). وفي (وشج/ج٦) (وقد ذكره شبيب بن البرصاء في شعره).

٣- قصيــدة الشــاعر: وتكــون الإحالــة على قصيدة الشــاعر بالتخصيص بعيداً عن عامة شــعره كقول الزَّبيــديّ:«دارة جُلْجُل بنجد في دار الضباب مما يواجــد ديار فزارة. وقد جاء ذكــره في لاميّة امرئ القيــس» في مادة (دور/ ج١١). وقــد ذكــر محقــق (ط. الكويــت) في الهامش البيت الشــعري وأغفلــه محقق (ط. بيروت) والبيت في ديوانه/١٠ من معلقته ولم يشر محقق (ط. الكويت) إلى ذلك.

ألا رُبّ يومٍ لكَ مِنهُنَّ صالحٍ

ولاسيما يومٌ بِدارة جُلْجُلِ

لكــن الزَّبيــديّ في مــادة (جلــل/ج٢٨) يذكر عجزه فقط.

٤-رواة الشعر: وهم علماء اللغة ولنا في هؤلاء مثالنا:

الأول- المصدر. ونقصد أن إشارة الزَّبيديّ إلى احــد علماء اللغة تُنبّهنا على كتاب لهذا اللغوي

كقولـه في (صمخ/ج٧): (ويقـال إنَّ الصَّماخ هو الأذن نَفسـها وذكـره الجوهري مُسـتدلاً بقـول العجـاج). وفي الصحـاح للجوهـريّ (صمـخ) نقرأ الصماخ: خَرق الأذن وبالسـين لغة (أي السِماخ) ويقال هو الأذن نفسها. قال العجاج: (حتى إذا صَرَّ الصماخ الأصمما).

وقد ذكر الرجز محقـق (ط. الكويت) وأغفله محقق (ط. بيروت).

الثانـي- بلا مصدر. ومثاله في مادة (صبح/ج٦) قـول الزَّبيـديّ: «والصَّبائـح في قول أبي ليلى الإعرابي: جمع صبوح بمعنى لبن الغداة» وهـو من رواة اللغـة ينقل من إنشـاده علماء اللغة في معاجمهم كقول ابن منظور في لسـان العرب (صبح): وأنشدنا أبو ليلى الأعرابي:

«مالي لا أسْقي حُبّيباتي

صَبائِحي غَبَائقي قَيْلاتي؟»

وقـد نبـه محقـق (ط. الكويـت) عـلى الرجز وأغفلـه محقـق (ط. بيروت) مـع ملاحظة أن الرجز بلا نسـبة وقال ابن منظور: (وأنشـدنا أبو ليلى الإعرابي) ولم يقل قال.

(ب)- ذكر اسمه فقط: ولنا فيه مثالان:

الأول- في (حبـب/ج٢) يتحـدث الزَّبيديّ عن (حَبيـب) فيقـول: (جبل حجـازي) ثم يقول: «وحُبيـب بـن عبـد اللـه الهُـذلي اسـم الأعلم الشاعر».

والثانـي- في (خرب/ج٢) وهـو يتحدث عن (مخربـة) مسـتدركاً فيقول:«الحُصـين بـن الجُـلاس بن مُخَرِّبة، الشـاعر مـن بني تميم» دون أن يذكر للاثنين شعراً أو يحيل إليه.

القسم الثاني/ الآراء

لا ينبغـي النظر إلى آراء الزَّبيـديّ في التاج من باب النقد، فليسـت لـه آراء نقدية فيما يخص الشـاهد الشـعري أو غـيره إلا مـا نقلـه عن شيوخه. ويمكن أن نحصرها في نسبة الشاهد، وإنشـاده وتوثيقه نوزعها عـلى ثلاثة مداخل هي:

(الأول): نسـبة الشـاهد لقائلـه. ويتمثـل في صحة نسبته والمختلف فيها.

١- القطع بنسـبة البيـت. مثاله في (قرأ/ج١) يقول الزَّبيديّ: «قال شـيخنا قـال الجوهريّ: قال الفِرَّاء: وأنشدني أبو صَدَقَه الدّبيريّ:

بَيْضَاء تَصْطَادُ الغَوِيّ وتَسْتَبِي

بالحُسْن قَلْبَ المُسْلِم القُرَّاءِ

يعلق الزَّبيـديّ قائلاً:«قلت: الصحيح إنه قول

زَيْد بن ترك الدُّبيريّ»

أما إذا لم تذكر نسبته، فيقطع بنسبته كما في (حزب/ج٢) فيقول: «أنشد ثعلب:

إذْ لا يَزَالُ غَزَالٌ فيه يَفْتُنني

يأوي إلى مَسْجِد الأحزاب مُنتَقِبا

قلتُ: البيت لعبد الله بن مسلم بن جندب الهُذلي» ثم يذكر حكاية تؤيد رأيه. ومثال آخر في (صدع/ج٢١) عندما يقول: (الرجز لمنظور الأسديّ).

٢- البيت المختلف في نسبته بين القدماء. مثاله في (وكف/ج٢٤). يقول الزَّبيديّ: «وأنشد الجوهري للشاعر:

والحافِظو عَوْرَة العشيرة لا

يأتِيهمُ من ورائهم وَكَفُ

قلتُ: هو من أبيات الكتاب (يقصد كتاب سيبويه)، أنشده ابن السِّكيت لعمرو بن امرئ القيس الخزرجيّ، وهكذا رواه أبو زكريا التبريزيّ أيضاً، ويروى لقيس بن الخطيم، وقيل لشريح بن عمران القُضاعي، ورواه سيبويه لرجل من الأنصار» ثم يقول قاطعاً: (والصواب إنه لمالك بن عجلان الخزرجيّ).

وقد لا يقطع بهذه النسبة فيقول في (كسب/ ج٤): كُسَيْب اسم رجل، وقيل هو جد العجاج لأمه، قال له بعض مُهاجيه:

ياابن كُسَيْب ما عَلَيْنَا مَبْذَخُ

قَدْ غَلَبَتك كاعِبٌ تَصَمَّخُ

ثم يقول: (أراه جَريراً) ويعلق مُفسراً: (يعني بالكاعب ليلى الأخيلية لأنها هاجت العجاج فغلبته، وقد يكون ابن الكسيب. ولد الزنا وبه يفسر الشعر).

(الثاني)/ إنشاد الشاهد. ويتمثل في:

١- شذوذ المفردة عند الإنشاد مما يخلق تنافراً صوتياً. ومثاله ما جاء في (دعب/ج٢) فذكر الزَّبيديّ أنَّ: «دعتب: أهمله الجوهريّ. وقال ابن دريد: وقد جاء في شعر شاذٍّ أنشدناه أبو عثمان لرجل من بني كلب:

حَلَّتْ بِدَعْتَب أمّ بكر والنّوَى

مِمّا يُشَتّتُ بالجَمِيع ويَشْعَبُ

قال: وليس تأليف دعتب بصحيح» ثم يبدي رأيه «قلتُ: فاذا لا يَصحُّ استدراكه على الجوهري، لأنه ليس على شرطه».

٢- صواب الإنشاد من خلال سلامة المفردة، ومثاله ما نقله عن شيخه في جمع (الذُّرنُوح) بالنون مع ضم أوله وتجمع على

(ذرانح) كما حكاه أبو حاتم (السجستاني) في (ذرح/ج٦) وأنشد:

ولما رَأَتْ أن الحُتوفَ أجْتَنَبنِنِي

سَقَتني على لُوحٍ دِمَاءَ الذَّرانحِ

ثمَّ يقول: «قلتُ: وصواب الإنشاد:

فلما رَأَتْ أن لا يُجيبَ دُعَاءَهَا

سَقَتْه على لُوحٍ دماءَ الذَّرارحِ»

دون أن يُسند رأيه بمصدر.

٣- بنية البيت عند الإنشاد. ولنا فيه مثالان:

المثــال الأول/ ضبط حركة المفردة كما جاء في (عرب/ج٢) فيقول: «عَرَبَة التي نُسِـبَت إليها العــرب اختلــف فيهــا..» ثمّ يــسرد قائلاً: وفي مراصــد الإطلاع (لياقوت الحمويّ) إنها اســم جزيــرة العرب واضطر الشــاعر إلى تســكين رائها أي من عَرَبَة فقال مشيراً إلى أنَّ عربة هي مكة وساحاتها:

وَعَرْبَة أرضٌ ما يُحلُّ حَرَامَها

مِن النَّاسِ إلاّ اللّوذَعيُّ الحُلَاَئِلُ

المثــال الثانــي/ روايــة المفردة. كمــا جاء في (عقص/ج١٨) حيث ينقل عن الصحاح

ولو كُنْتُم تَمْراً لكنتُم حُسَافَةً

ولو كُنْتُم سَهْمًا لكُنْتُم مَعَاقِصَا

فيقــول: «قلــتُ: ورواه غيره مشــاقصاً (بدل معاقِصا) والبيت للأعشى. وفي بعض الروايات: نخلاً بدل تمراً، وجرامةً بدل حُسَافةً، ونبلاً بدل سهماً) ثمَّ يطرح رأيه قائلاً: (والصحيح أنهما بيتــان في قصيــدة واحدة على هــذه الصورة». وقــد أحــال إلى مادة (شــقص / ج١٨) وفيها يروى البيت:

فَلَوْ كُنْتُم نَخْلاً لكُنْتُم جُرَامَةً

ولو كُنْتُم نَبْلاً لكَنْتُمُ مَشَاقِصَا

أما رواية البيت في ديوان الأعشى فلا تطابق أيّا من الروايتين وهي:

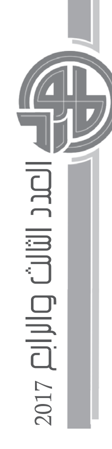
فَلَوْ كُنْتُم نَخْلاً لكُنْتُم جُرَامَةً

ولو كُنْتُم نَبْلاً لكَنْتُمُ مَعَاقِصَا

والاختلاف عن الرواية الأولى جاءت (فلو) بدل (ولو) و(نخــلاً) بدل (تمــراً) و(جُرَامَةً) بدل (حُسَــافة) و(نبلاً) بدل (ســهما). أما الثانية جاءت (معاقصــا) بدل (مشــاقصا). (ينظر: ديوانه/ ١٥١ق / ١٩).

(الثالث)/ توثيق النصّ. ولنا فيه مثالان:

المثــال الأول/ وجود المــادة في المصدر كقوله في (زنــب/ج٣): (إنَّ هذه المــادة كتبها المؤلف بالحُمْرَة، لأن الجوهريّ أســقطها تبعاً للخليل



في كتاب العين وابن فارس والزُّبيديّ (أبو بكر الزَّبيديّ الأندلسيّ في مختصر العين) وغيرهم. وهي في لسان العرب وغيره من أمّهات اللغة).

المثال الثاني/ عدم وجود المادة في المصدر، حيث يستشهد الزَّبيديّ في (محص/ج١٨) بهذا البيت:

وشَفُّوا بِمَمْحُوصِ القطاع فؤادَهُ
لهم قَتَراتٌ قد بُنِينَ مَحَاتِدُ

فينسبه إلى (أسامة بن الحارث الهُذَلِيّ، يصف الرُّماة والحمار) ثمَّ ينبَّه بقوله:«قلت ولم أجده في الديوان».

وما يُستفاد من توثيق الزّبيديّ في هذين المثالين:

١-مادة (زنب) لم تكن في كتاب العين للخليل أو في معجم مقاييس اللغة أو مجمل اللغة لابن فارس أو مختصر العين للزبيديّ الأندلسيّ، بل في لسان العرب لابن منظور دخلت في القرن السابع الهجريّ.

٢-أثبت الفيروز أباديّ في القاموس المحيط نقلاً عن ابن منظور هذه المادة، ومن ثمَّ نقلها الزَّبيديّ في تاج العروس.

٣-كتاب العين هو للخليل بن أحمد الفراهيديّ وليس كما أشاع الأزهريّ في معجمه (تهذيب اللغة) الذي بناه على نهج الخليل ومادته في العين.

٤- لا يمنع عدم وجود الشاهد الشعري في ديوان الشاعر من الاستشهاد بشعره وان احتاط في بعض الأحيان الزَّبيديّ بقوله: (لم أجده في ديوانه).

٥- الرجوع إلى مصادر الشعر، دواوين الشعراء عند الزَّبيديّ ظاهرة علمية عند تحقيق النصّ.



الهوامش

(١) تاج العروس/ مقدمة الزَّبيديّ.
(٢) في الأصل (البعض) والصواب ما ثبَّتناه لأن بعض معرفة بالإضافة.
(٣) الرواية الثانية دراسة تحقيق النصوص في مصادرها الثانوية/٢٠ وما بعدها.
(٤) التاج (م. س/كرر).

المصادر

١-تاج العروس: الزَّبيديّ، تحقـ: مجموعة محققين، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.
٢-ديوان الأعشى الكبير: تحق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، ١٩٥٠م.

٣-الروايــة الثانية: عبد العزيز إبراهيم، دار الشــؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨م.
٤-شعر الحســين بن مطير: تحق: د. محسن غياض، دار الشؤون بغداد، ١٩٨٩م.
٥-شــعر الحســين بن مطير، تحق: د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، د. ت.
٦-لســان العــرب: لابــن منظــور، تحق: عامــر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

Introductions and opinions of the owner (Al-Taj) Of his Evidence poetry

Abdul Aziz Ibrahim

Abstract

The search talking about style of Mohammed Mortadha Al-Husseini Al-Zubaidi (1145-1205) in his book (Taj Al-Arus Min Jawahir Al-Qamus) And how to build its glossary on a lexicon (Al-Qamus Al-Muhit) An explanation of his material and an extension of his evidence based on the dictionaries of the ancients, for example (Mejam Aleayn, Lisan Alarab, Jamhrat Ibn Dryd, Tahdhib Alazhry, Maqayis Ibn Faris, Sahah Sljawhari, Hawashy Ibn Bry, Eabab Alssaghany) This lexicon is the last dictionaries of the ancients And his goal was to fill the inability of the former and was the means in that preamble to the poetic evidence the course over this research, addressing the researcher to the owner of the evidence and the story of the evidence and ways to present the evidence.



مقامات الحريري
بين الاستدراك والانتقاد والانتصار
لمحات في دائرة نقد النقد

أ. د. ابتسام مرهون الصفار*

وردت مصطلحات في كتب التراث العربي القديم تحوم حول المصطلح النقدي الحديث «مصطلح نقد النقد»، ونخص هنا مصطلحات أطلقت على ما كتب عن مقامات الحريري، وأولها ما كتبه ابن الخشاب عن المقامات رسالة لم يسمها بنفسه ولذلك سميت بأكثر من اسم هي:

١ـ حاشية مقامات الحريري لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب

٢ـ الاستدراكات.(١)

٣ـ الاعتراض على الحريري واعتراضات ابن الخشاب.(٢)

٤ـ الرد.(٣)

وردت باسم «النكت والانتقاد» وهو الاسم الذي ارتضاه د. يوسف الجمل في تحقيقه ونشره لرسالة ابن الخشاب



وكتب ابن بري رسالة أخرى تصدى فيها لابن الخشاب ناقضا استدراكاته فكرة فكرة واعتراضا اعتراضا إلا بعض المواضع التي لم يعلق عليها مما سنقف عنده في دراسة الرسالة، وقد سميت بأكثر من اسم:

رد ابن بري على ابن الخشاب.(٤)

* أكاديمية عراقية / جامعة الزيتونة/ الاردن .

١- سمي الرد باللباب في الرد على ابن الخشاب[٥]

٢- وسميت تسمية ثالثة هي: انتصارابن بري للحريري.[٦]

ونقف قليلا عند هذه المصطلحات:

أما الاستدراك فهو الاسم الذي سميت به رسالة ابن الخشاب في نقده لمقامات الحريري

وهو من درَك الشيء لحِقَ به،[٧] واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه.

استدرك الشيء بالشيء إذا حاول اللحاق به .

واستدرك الرأي والأمر: إذا تلافى ما فرّط فيه من الخطأ أو النقص

واستدرك عليه القول: أصلح خطاه، وأكمل نقصه أو أبعد أو أزال عنه لبسا.

وفي الاصطلاح عند النحويين والأصوليين:

١ـ رفع ما يتوهم ثبوته من كلام سابق أوإثبات ما يتوهم نفيه.

٢ـ إصلاح ما حصل من القول أو العمل من خلل أو قصور أو فوات.[٨]

فالاستدراك لا يوحي بتتبع الأخطاء أو إبرازها فقط، وإنما هو محاولة العالم متابعة المؤلف الأول، لتصحيح خطأ أو بيان وجهة نظر أوإضافة.

وأما الاعتراض[٩] فهو مصدر من اعترض الشيء صار عارضا كالخشبة، واعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه.

والاعتراض عند العسكري في الصناعتين[١٠]: كلام في كلام لم يتم، ثم يُرجَع إليه فيتمه.

وقرن ابن الأثير الاعتراض بالذم حين توقع أن يعترض بعض الأغمار على ما ذكره[١١] وسمّى ابن أبي الحديد نقده للفلك الدائر اعتراضا: «أكثر قصدي في ذلك الاعتراض على المثل السائر»[١٢] فكان مجموع مطالعتي له واعتراضي عليه خمسة عشر يوما».[١٣]

فالاعتراض وفق هذه التعريفات قد يعنى ما يستوقف الباحث من تعابير أو ألفاظ، يتوقف عندها ويعترض عليها. وتعني محاولة إكمال واستدراك كما عند العسكري، وقد تأخذ جانب الذم فقط كما عند ابن الأثير .

وأما النكت والنكتة فهي في اللغة: النقطة في الشيء تخالف لونه.

وفي الاصطلاح: مسألة لطيفة أخرجت بدقة ونظر وإمعان فكر من نكت رمحه بأرضه إذا أثَّر فيها، وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها.[١٤]



أما الانتقاد فإنه يحمل معنى تقصّد تتبع الأخطاء والجوانب السلبية، بخلاف النقد الذي يعني إبداء الرأي في عمل أدبي وتحليله وبيان مافيه من إيجابيات وسلبيات، باختلاف المناهج التي يطبقها الناقد.

وهذا يعني أن تسمية رسالة ابن الخشاب بالنكت والانتقاد يحملان وجهين لنقده؛ الأول يذكر مسائل دقيقة، استنبطها بفكر ودقة. والوجه الثاني تقصد تلمس ابن الخشاب العيوب السلبية.

وردود ابن بري على ابن الخشاب تحمل رفض آرائه التي انتقد بها لغة الحريري فالردُّ لغة صرف الشيء ورجعه. وفي الحديث: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ والجمع ردود عليه. ردّ عليه قوله: راجعه .

وأما الانتصار ـ وهو اسم رسالة ابن بري فهو نقد موجه نحو وجهة واحدة هي الدفاع والانتصار لرأي أو نقد عِيب على الكاتب ولم يلتمس إلا الاساءة إليه فيحوله المنتصر إلى حسنة ويدافع عنه.

فهل تنضوي هذه المصطلحات تحت مصطلح نقد النقد؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل نقف وقفات قصيرة عند تعريف نقد النقد. يقول جابر عصفور معرفا نقد النقد بأنه «قول آخر في النقد يدور حول مراجعة القول النقدي ذاته وفحصه»[١٥]

وضمن هذا التعريف يمكن أن تنطوي استدراكات ابن الخشاب ورد ابن بري عليه ضمن مصطلح نقد النقد، لأنها تقوم فعلا على مراجعة القول النقدي الذي يمثله ابن الخشاب ويراجعه ابن بري ويتفحصه.

أما من أضاف إلى تعريف نقد النقد شرط إعادة تنظيم المادة النقدية بعيدا عن أي ادعاء بممارسة النقد الأدبي، فهو يبعد أمثال كتابات ابن الخشاب وابن بري عنه، لأن ابن بري لا يعيد كتابة المادة النقدية، وإنما يرد على كل فقرة وردت في استدراكات ابن الخشاب ويعتقد أنها تستحق الرد.[١٦]

وقد عدت الردود إرهاصات لنقد النقد وأنها شكلت معينا لإثراء الأدب العربي.[١٧]

وادخلت المعارضة معها.[١٨]

«ونقد النقد ينطوي بالضرورة على النقد والانتقاد، ونعني به نقد الأفكار والأسس والمناهج معا»[١٩]

أما النقد والانتقاد فسمتان متوافرتان في رد ابن

بري، وأما نقد المناهج والأسس فغير متوافرة فيه لأنه لم يناقش في ردِّه على ابن الخشاب منهجا ما. وقد سجّل باقر جاسم عددا من سمات نقد النقد كان منها: أنهــا تتخذ شــكل ردود واعتراضات وتصويبات لآراء الناقد الأول.[٢٠]

كل هذا يجعلنا نقــول إن ما كتب حول مقامات الحريــري مصطلحــات تحوم حــول نقد النقد وليست من نقد النقد تماما، لأنه مصطلح نقدي حديث، قائم على دراســة الظاهــرة التأويلية في ضوء علاقتها بالنــص الإبداعي، ومدى توفيقها في استنباط معاني المعاني وكشف خصوصياته، ودفعــت البعــض الآخــر إلى الاهتمــام بجوهــر الممارسة النقدية ذاتها، وتفكيك منطقها وفحص آلياتها وإجراءاتها، ومرجعيات أصحابها الفكرية والنظرية والجمالية».[٢١]

والواقع أن المصطلح استوقفنا لأن ما كتبه قليقلة عــن نقد النقد في التراث العربي، يدخل كثيرا من هذه الدراســات ضمن نقــد النقد، ومثله ماكتبه الدغمومي عن نقد النقــد في التراث العربي المثل الســائر نموذجــا ولهــذا أردنا الإشــارة إلى هذا المصطلح.

ونعود الى مقامــات الحريري وما كتب عنها من نقد، لنقف على ثلاثة عناصر تشكل قوام البحث: «الحريري ومقاماته، ابن الخشاب، ابن بري».

أما الحريــري، فمجرد ذكر المقامات يبرز أمامنا اسمه واســم؛ بديع الزمان الهمداني الذي سبقه وتتبعهما أســماء أخرى ســارت على نهجيهما، أو أخــذت الفكرة والشــكل الفني، وأخرجتها في مقامات قلّ عددها أوكثر، وتنوعت موضوعاتها أيضا. ولكننا نؤثر تسطير بعض التفصيلات عن حياة الحريري؛ لتنســجم منهجيــة بحثنا، لأننا سنترجم لابن الخشاب وابن بري أيضا..

١- الحريري: هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد المشــهور بالحريري وابــن الحريري عند بعض من ترجم له.

ولد ســنة ســت وأربعين وأربعمائة، وتوفى سنة ســت عشرة وخمســمائة، وقيل خمس عشرة في الرواية التي رويت عن ابنه أبي القاسم عبد الله بن أبي محمد الذي قال إن أباه توفى ســنة ســت عشرة وخمسمائة ببني حرام من البصرة، وكان له يوم توفى سبعون سنة.[٢٢]

ونالت المقامات شهرة واسعة واستحسانا كبيرا، والعجيب أن الحريري وقع بنفسه على سبعمائة نســخة قرأت عليــه، وهــو أمر لطيــف يذكرنا

بتوقيع الأدباء والمؤلفين في أيامنا هذه على نسخ مؤلفاتهم عند صدورها، حيث يتم التوقيع بحفل تقيمه دار نشر أومؤسسة ثقافية، أو في معارض الكتب.

حفل التوقيع هذا كنا نظنه من ابتداعات المحدثين في عصرنا، وإذا بالحريري يفاجؤنا بأنه كتب بخطه على نسخ المقامات ووقّع عليها، وحين أخذت عليه بعض المآخذ اللغوية، قام بتعديلها ولكن ما شاع بين الناس قد شاع، ولا سبيل الى تعديله وأن التعديل يتم بما يشبه في عصرنا هذا إصدارا ثانيا للكتاب، سنجد هذا في تعديله على وهم وقع فيه بشأن آية قرآنية، أخذ عليه ابن الخشاب ورودها في خطبة الكتاب.

وحدد بعض القراء سنة قراءته المقامات على الحريري نفسه وهو جابر بن عبد الله بن هبة الله بن علي حاكم ساقية سليمان الذي حدّث بأنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات سنة أربع عشرة وخمسمائة، أي قبل وفاة الحريري بسنتين، وأن هذا القارىء صحّف حرفا عند قراءة نسخته على الحريري، ولكن الحريري أعجبه التصحيف، ورآه أجود، وذلك في البيت الوارد في إحدى مقاماته:

قد دفع الليل الذي اكفهرا

الى ذراكم شعِثا مغْبَّرا

فقرأ القارىء «سغِبا مُعْتَرّا، ففكر ساعة ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف، فإنه أجود، فربّ شعث مغبر غير محتاج، والسغِب المعتِر موضع الحاجة، ولولا أني قد كتبت خطي على هذا اليوم على سبعمائة نسخة قُرئت عليَّ، لغيرت الشعث بالسغب والمغبر بالمعتر.

وهذا يدل على شهرة المقامات وانتشارها زمن مؤلفها. وابن الخشاب نفسه الذي كتب نقدا للمقامات قيل إن المقامات قُرئت عليه أكثر مما قُرئت على صاحبها.

وقيل إن شهرة المقامات امتدت في حياته الى الأندلس، فوفد فريق من علمائهاعلى الحريري ببغداد، منهم الحسن بن علي البطليوسي، والحجاج بن يوسف القضاعي، وأبو القاسم عيسى بن جهور، وقرأوا عليه بمنزله هذه المقامات، ثم عادوا الى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء وتناولوها رواية وحفظا ومدارسة وشرحا.[٢٣]

ومما قيل في الثناء على مقامات الحريري شهادة الزمخشري فيها في بيتين من الشعر:

أقسم بالله وآياته

ومشعر الحج وميقاته

إنّ الحريري حريّ بأنْ

نكتب بالتبر مقاماته[٢٤]

ووصفها المطرزي الذي شرح المقامات بقوله: لم أر في كتب العربية والأدب، ولا في تصانيف العجم والعرب كتابا أحسنَ تأليفا، وأعجبَ تصنيفا، وأغربَ ترصيفا، وأشملَ لعجائب العربية، وأجمع للغرائب الأدبية، وأكثر تضمنا لأمثال العرب، ونكت الأدب من المقامات التي أنشأها الحريري. إنشاء فاخر وكتاب باهر.[٢٥]

ويروي ابن خلكان أنه رأى في شهور سنة خمسين وخمسمائة بالقاهرة نسخ مقامات، وجميعها بخط مصنفها الحريري، وقد كتب أيضا بخطّه على ظهرها أنه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد.[٢٦]

ويشير ياقوت الحموي الى خبر يصفه بالعجيب، وهوأنه زار مدينة آمد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وسمع أن بها الأديب شميم الحلي وأنه كان من العلم بمكان مكين، إلا أنه لم يكن يقيم لأحد وزنا في العلم والأدب، ويزدري كل من يذكرأمامه منهم، مما أضجر ياقوت الحموي فأراد ان يستفزه قائلا:

أما كان في من تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟

فقال: لا أعلم إلاّ أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برزعلي، ولسقت فضيلته نحوي، ونسبتها إلي، والثاني ابن نباته في خطبه... والثالث ابن الحريري في مقاماته.

فقلت: فما منعك أن تسلك طريقه، وتنشأ مقامات تخمد بها جمرته، وتملك بها دولته؟

فقال يابنيَّ، الرجوع عن الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات، ثم أتأملها فأسترذلها، فأعمد الى البِركة فأغسلها. ثم قال: ما أظن الله خلقني إلا لإظهار فضل الحريري وشرح مقاماته.

وهذا يعني شهرة المقامات بين البلدان العربية والاسلامية، ووجود النقاش الدائر بشأنها، فرآها ياقوت في مدينة آمد، وناقش شميما الحلي بشأنها. أما شروح المقامات فهي كثيرة تجاوزت واحدا وأربعين شرحا، تنوعت وفق توجهات الشراح وبلدانهم وسنوات وفياتهم، وأقدم شرح



وجدناه لعراقي شرح المقامات في حياة الحريري وهو ابن حميدة المتوفى «ت ٥٥٠هـ».

وذكر حاجي خليفة أن أحد الشراح قرأه على الحريري حين قال: محمد بن علي بن عبد الله، أبو عبد الله الحلي «ت٥٦١هـ» كتب شرحا وقرأه على مؤلفها الحريري.

فهل يقصد أنه قرأ المقامات على الحريري ثم شرحها فيما بعد أم أنه شرحها في أواخر حياة الحريري وقرأ الشرح عليه.

وتنوع الشراح في انتماءاتهم فكثير منهم من العراق وفيهم المصري، والشامي، كما عني بشرحها المغاربة؛ من الأندلسيين والمغاربة والتونسيين كما يتضح من ألقابهم.

وامتدت الشروح من عصر الحريري نفسه ونشطت في القرن السادس والتاسع. ولم يكتف بعض الشراح بشرح واحد وإنما كتبوا شرحين أو ثلاثة، وكانت بعض الشروح مختصرات وبعضها مطولات فكان شرح الطيبي في ٦٠ جزءاً الى المقامة الرابعة والعشرين.[٢٧]

٢- ابن الخشاب:

هوأبومحمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، بغدادي المولد والمنشأ والوفاة.[٢٨]

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وتوفى سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بباب حرب، خلف قبر بشر الحافي .

قيل عنه: كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال إنه كان في درجة أبي علي الفارسي، بل قيل إنه فاقه، وأن قوما من نحاة بغداد يفضلونه على أبي علي الفارسي، زعموا أنه كان يعرف جميع ما عرفه أبو علي الفارسي، وزاد عليه في علم الأدب وغيره، لتفننه في جميع العلوم.

جمع كتبا كثيرة، وقرأ عليه الناس وانتفعوا به، وخرج به جماعة، وكان من انصرافه للقراءة والبحث أنه قلما يخلو كمُّه من الكتب وأنواع العلوم، وكان بينما هو يمشي في الطريق يخطر بباله قراءة شيء، فيجلس كيفما اتفق، ويخرج الدفاتر، فيطلع فيها.

أخذ العلم عن علماء عصره، كالجواليقي وسلامة بن عياض الكفرطابي[٢٩]، وأبي بكر المرزوقي وأبي بكر الأنصاري- وذكر جماعة من أهل الحديث منهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النجار أنهم قرأوا عليه جزءاً من أمالي أبي الحسن محمد بن محمد البزار.

وقد قُرئت عليه أحاديث، وقرأ هو كتبا في الحديث فنــال إعجــاب المتلقين، فقد قيل عــن الإمام أبي شــجاع عمــر بن أبي الحســن البســطامي قال ببخارى:

لما دخلت بغداد، قرأ عليّ أبومحمد ابن الخشــاب كتاب غريب الحديث، لأبي محمد القتبي قراءة ما سمعت قبلها مثلها في السرعة والصحة، وحضر جماعة من الفضلاء سماعها، وكانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتة لسان، فما قدروا.

وكان من شــدة تعلقه بالعلم راغبا في مثل هذه القراءات على العلماء مستغلا اي فرصة تسنح له، لكن هذه الرغبة دعته أحيانا إلى معاداة بعضهم، كمــا ذكر عن ابن الشــجري الــذي كان إماما في اللغة والأدب والنحو، أنه لما انتهى من إملاء كتابه «الأمالي»- في أربعة وثمانين مجلسا- حضر إليه ابن الخشاب والتمس منه سماعه عليه، فلم يجبه إلى ذلك فعاده وردّ عليه... الى آخر الخبر.[٣٠]

فهل كان رفض ابن الشجري لقراءة ابن الخشاب عليه لنفور كان بينهما، أم أنه أراد أن يتجنب ما يمكن أن يتوقعه من ابن الخشاب من نقد كتابه؟ وفعــلا ردّ ابــن الخشــاب على ابن الشــجري في مواضــع من الكتاب، فوقف أبو الســعادات على ذلك الــرد، فردّ عليه، وبين وجوه غلطه، وجمعه في كتاب سمّاه «الانتصار».[٣١]

وصف ياقوت الحموي ابن الخشــاب بأنه كان حســن الســيرة، ســالكا طريق الأوائل في هديه وسمته. لا يتكلف في شيء من أمر ملبوسه وهيئته وذكــر في موضع آخر بأنــه كان ثقة في الحديث، صدوقا نبيلا حجة، ومع ذلك نسمع منه وصفا آخر لا يتلاءم مع هذا المديح، بل ويتناقض معه، إذ يقــول مكملا العبــارة «إلا أنه لم يكن في دينه بــذاك» فكيف تجمع في شــخص صفــات النبل والثقة والصدق مع الطعــن بالدين؟ لا نظن إلا أنه أراد الطعن ببعض سلوكياته، فقد عرفت في ذلك العصر أعراف إجتماعية، وهي ليست دينية حتما. من هــذه الأعراف عــدم مخالطة العامة، أومشــاركتهم ألعابهــم وتســلياتهم، لأن للعالم شروطا تقتضي ســمة الوقار وعدم التبذل، وابن الخشاب كما وصفوه: قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم، يلعب بالشــطرنج مع العــوام على قارعة الطريق، يقف في الشــوارع على حلق المشعوذين واللاعبين بالقرود والدباب؟، كثير المزاح واللعب، طيب الأخلاق.

يبدو أن لابن الخشــاب نظرة ورأيا في مجالسة

العوام وتفضيل مجالسهم على مجالس الخاصة. وكان رؤساء زمانه ووزراؤه يودّون مجالسته، ويتمنون سماع محاضراته، فيتركهم، ومما عابه الناس عليه أيضا أنه كان يذهب إلى الرحبة أو إلى شاطيء دجلة، فيقف على حلق أرباب الحكايات والشعبذة وما ناسبهم. وفي كل هذه المخالطة له رأيه الواضح، فكان إذا لامه الناس أو العلماء يرد عليهم بقوله:

إنه يندر منهم نوادر لا يكون أحسن منها، ولا ألطف، في صحة قرائحهم وتصديهم لما هم بصدده وتراح النفس لذلك.

ومما يقربنا من شخصيته المخالفة لشخصية أقرانه إنه كان يعجب بمناداة عامة بغداد على معايشهم، وتفننهم فيها، وإتيانهم بالمعاني الغريبة، وكان يقول: كم خلف هذا الطرازدانات[٣٢] [٣٣]من الخواطر المظلومة لو اشتغلت بالعلوم بـرّزت على العلماء، ولو أنه اتبع منهج الجاحظ في تسجيله لأخبار العامة ونوادرهم، لأفادنا كثيرا، ولسجل الشيء الكثير من لغتهم ومفرداتها.

ويحكي ياقوت أنه سمع عن عدد كبير لا يحصيه، بأنه كان يعتم العمّة فتبقى أشهرا معتمة حتى تتسخ أطرافها من عرقه فتسودُّ، وكان إذا رفعها عن رأسه، ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق، فتارة تجيء عذبتها من تلقاء وجهه، وتارة عن يمينه، وتارة عن شماله، فلا يغيّرها، فإذا قيل له في ذلك يقول: ما استوت العمامة على رأس عاقل.

أما ما عرف به من مزاح، فإننا نجد أخباره مبثوثة في سيرته. من ذلك أن شخصا سأله وعنده جماعة من الحنابلة: أعندك كتاب الجبال؟ فقال له: يا أبله، أما تراهم حولي.[٣٤]

وقد يقسوعلى أصحابه في النادرة التي يسوقها، أو التعليق الذي يبادر ذهنه، خاصة إذا كان بينه وبينهم شيء من المجافاة، فقد كان بينه وبين ابن الشجري شيء من المناكفة، وألف في الرد عليه، وكان من أصحاب ابن الشجري محمد بن علي العتابي النحوي، فاتفق أن أهدي «ملك كيس» هدايا في جملتها حمار عتابي، فجعل من حضر مجلسه يتفاوضون في أمره، ويعجبون من حسنه فقال: ياقوم، لا تعجبوا من الحمار العتابي، فهو ذا عندنا عتابي حمار، فلا تعجبوا منه.

وقد أخذ عنه جماعة كبيرة صاروا فيما بعد أئمة من اللغة والعلم، منهم تاج الدين الكندي، أبو

اليمن زيد بن الحسن "توفى سنة ٦١٣هـ".[٣٥]

وأخذ النحو عنه العلاّمة العكبري.[٣٦]

وقرأعليه مكي بن زيان الماكسيني.[٣٧]

وجالسه العالم ابن الدهان ببغداد.[٣٨]

وصفت مكتبته بأنها كانت تضم جزازات ودفاتر.[٣٩]

وقد ترك ابن الخشاب جملة من المؤلفات،أشهرها ردود على علماء عاصرهم، أو شروحٌ لمؤلفاتهم،[٤٠] وذكر أن له ردودا كثيرة، لم تتم إذا تأملها العالم عرف موضعه من العلم[٤١]وأولها استدراكاته على مقامات الحريري.[٤٢] ونستعيد ما قيل إن له صفة عظيمة ملأى دفاتر وجزازات ومما يؤكد احتمال وجود مؤلفات له لم تصل إلينا أو لم يكملها وجود نقول عنه ينص أصحابها أنهم قرأوا بخط ابن الخشاب، ويذكرون الخبر الذي قرأوه[٤٣]

٣ـ ابن بري[٤٤]:

هو أبو محمد ابن أبي الوحش عبدالله بن بري بن عبد الجبار المقدسي أصلا، المصري المولد حيث ولد بمصر سنة ٤٩٩هـ.

عرف بابن بري النحوي اللغوي الأديب، كان لغويا نحويا شائع الذكر، مشهوراً بالعلم.

وذكرأن سمعته شاعت واشتهرت، ولم يكن للمصريين ممن تقدم أو تأخر مثله. وقال عنه السيوطي: كان قيّما باللغة والنحو والشواهد.[٤٥]

قرأ كتاب سيبويه على أبي بكر محمد بن عبدالملك الشنتريني المغربي النحوي .[٤٦]

وحين قدم عبد الجبار بن محمد المعافري مصر قرأ عليه ابن بري وتصدّر للإقراء في جامع عمرو بن العاص، توفى في مصر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.[٤٧]

وصف بأنه كان حذقا حسن الجواب عمّا يسأل عنه، ومواضع المسائل من العلماء ما يتعجب منه عمل في ديوان الإنشاء وكان عمله يقتضي تصفح ما يكتب في ديوان الإنشاء ويصحح الغلط واللحن. ويقال إن صاحبه ابن بابشاذ الذي تصدّر قبله العمل في ديوان الإنشاء قد ترك له ما عرف بين النحاة بـ"تعليق المعرفة" التي يقال لو أنها بيّضت قاربت خمسة عشر مجلّدا.[٤٨] ويقال إن كل من تنتقل إليه هذه التعليقة يعهد إليه بحفظها. لابد أن تكون هذه التعليقات في التصحيحات اللغوية.

وكانت عنايته التامة في تصحيح الكتب، وكتابة الحواشي عليها بالأحمر. يقول ياقوت الحموي:

فإذا رأيت كتابا قد ملكه، فهو الغاية في الصحة والاتقان" ولا ندري إن كانت ردا على استدراكاته على الحريري أو على كتاب آخر من ردود ابن الخشاب" وله حواش على كتاب الصحاح للجوهري.

ذكر من تلاميذه عيسى بن عبد العزيزبن يلبخت الجزولي النحوي، لقيه بمصر وأخذ عنه النحو واللغة والأدب، وقرأ عليه الجمل، وسمع عليه صحيح البخاري.(٤٩)

ويقال إن الملك العزيز ابن صلاح الدين- وكان نائبا عن أبيه في الديار المصرية سمع منه وأخذ العلم عنه.(٥٠)

وأخذ عنه أيضا الأفضل الأيوبي ابن صلاح الدين(٥١)

وأخذ عنه النحو من توجه فيما بعد إلى القضاء مثل مهلب البهنسي بن الحسن بن بركات، فقد قيل: عنه أنه ولي القضاء أيام العلوية، وبقي إلى انقراضها.(٥٢)

وأخذ عنه ابو العباس ابن حطيئة، وكان ثقة. وكان الجزولي من تلامذته،(٥٣) ويقال إنه نقل عنه كثيرا في كتابه الذي سماه المقدم.(٥٤)

ويبدو انه كانت بينه وبين ابن الخشاب صفات مشتركة مع كونهما من بلدين مختلفين، أهم هذه الصفات إهمال المظهر وعدم العناية بالملبس والنظافة. فقد كان مع علمه وغزارة فهمه، ذا غفلة وسلامة صدر، وكان وسخ الثوب، زري الهيئة واللبسة. وتحكى عنه حكايات عجيبة منها أنه اشترى لحما وخبزا وبيضا وحطبا، وحمل الجميع في كمه، وجاء الى منزله فوجد أهله قد ذهبوا لبعض شأنهم والباب مغلقٌ، فتقدم إلى كوة هناك تفضي إلى داره، فجعل يلقي منها الشيء بعد الشيء، ولم يفكر في كسر البيض وأكل سنانير اللحم إذا خلت به.

ومما نقل عن غفلته أن بعض المصريين قال: كنت يوما أسير مع الشيخ محمد بن بري، وقد اشترى عنبا، وجعله في كمّه، يحادثني وهو يعبث بالعنب، ويقبضه حتى جرى على رجليه، فقال لي: تحسُّ المطر؟ فقلت: لا. فقال لي: فما هذا الذي ينقط على رجلي؟ فتأملته فإذا هوماء العنب، فأخبرته فمضى واستحيا. وعدّه الدلجي من المفلوكين.(٥٥)

بين نقد ابن الخشاب ورد ابن بري:

توجه هذان العالمان الى المقامات التي كتبها الحريري، استدرك الأول على كاتب المقامات

ورد الثاني عليها.

لــم يكن نقد ابن الخشــاب منصرفــا الى اللغة فحسب- كما يتوقع- لكونه عالما لغويا ونحويا ضليعا، إلا أنه انصرف الى نقد كل ما اســتوقفه مــن قضايا قد تتعلق بالقــرآن الكريم أو اللغة أو الــصرف. ولم يكن ابن الخشــاب متعجلا في نقــده للحريري، فأغلب نقده يســوق له الدليل والحجة.

ابن الخشاب ناقد موضوعي:

يذكر ابن الخشاب في مقدمة نقده بأن الحريري حين قدم بمقاماته بغداد سنة أربع وخمسمائة، وأخذ المقامات عنه البغداديون، وكان بها إذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الأدب، والطالبين لكلام العــرب، فلم يتعلقــوا عليه فيها عند ســماعها «بمنكر» منــه، إلاّ بلفظة واحــدة نازعوه فيها، وخرجوا معه على الســواء؛ لانها وقعت في كتب اللغة على خلاف فيها وهي:

«النهار» فرخ الحبارى، «الليل» فرخ الكروان.

ولكن ابن الخشــاب استطاع بعلمه وتدقيقه أن يجد مآخــذ غيرها، مقرّا أنهــا لا تقلل من جهد الحريري الإبداعي، وأن أخطاءه قليلة إذا قيست بصوابه، ومامرّ من المحاسن في أثناء كتابه.

وابن الخشــاب هنا ينظر نظــر الناقد المنصف الذي ينظر الى العمل الإبداعي بمجموعه، وليس بإحصــاء أخطائه، وهو متأكد في الوقت نفســه بــأن الحريري لو روجــع فيها، لأقــرّ بخطئه، ويريد بهذا ان من واجبه أن يســجل ما رصده مــن أخطــاء أو تعابير يراها مجانبــة للصواب مادامــت المقامات قــد انتشرت بــين الناس ولا مجال للمراجعة.

ويلفــت ابــن الخشــاب الانتبــاه إلى ان العمــل الإبداعي المتميزهو الذي يثير الانتباه، ويحفزعلى النقد بتعبيرنا المعاصر.

ولــم يتحرج ابن الخشــاب مــن أن يبدي رأيه فيما رآه مخالفا للصواب لغة أو تركيبا أومعنى. وهذه المواقف النقدية لا تمنعنا من القول إن له شــطحات انفعل فيها وشــدد نقده للحريري. وقــد ظهر هذا في اتهامه بالتســلط على عبارات الجاحظ في مقدمة كتابه البيان والتبيين، وساق نقده بســخرية طريفة بأنه إنمــا أغار على ابن بلدتــه فالجاحــظ بــصري والحريــري بصري أيضــا، ولا حَرج على ابن الحريــري؛ فإنه أغار عــلى بلديّه ولم يحل حبوته في غــير نديّه اقتداء بقوله:



وأحيانا على بكر أخينا

إذا ما لم نجد إلاّ أخانا

وإذا كان ابن الخشاب قد أعلن بأن مساوىء عمل الحريري ليست بشيء إذا قورنت بمحاسنه، فإنه انفعل في موضع آخر حين بالغ باتهامه بأنه قد «خطف أكثرها من مواضع يدلّ تهديه إليها على فضل بارع، ولم يكن رحمه الله مدفوعا عن فطنة ثاقبة، وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة».[٥٦]

ونترك هذه الأحكام السريعة التي لا تسوَّغ إلا بما عرف به من حدّة في الطبع، لنقف عند نقده الموضوعي ورد ابن بري عليها.

لقد تنوعت نقود ابن الخشاب وردود ابن بري عليها.

وتدخل كثير منها في باب التصويب اللغوي و النحوي أو الصرفي، وتندرج الأخرى في دلالات الألفاظ والمعاني التي قصدها الحريري قصدا، وفهمها ابن الخشاب فهما خاصا ووجهها ابن بري توجيها آخر، بما يعضّد المعنى الذي أراده الحريري، وفي كلا التوجيهين نجد قدرة العالمين الجليلين في الإدلاء بالشواهد والأدلة دفاعا عن الرأي، وتثبيتا له.

ويبدو أن ابن الخشاب راجع أكثر من نسخة أو بتعبيرنا المعاصر أكثر من إصدار للمقامات فلا نعجب إذا وجدنا في نقده ما يصرح بمراجعته أكثر من نسخة .

من ذلك قوله مصرحا بتغاير نسختين من نسخ المقامات في نص غيّره الحريري بنفسه، حين قال:

ومن أخرى له في الخطبة، قال فيها فيما يقع في أكثر النسخ «٤الورقة»، وهي التي سارت عنه قبل التثقيف والتنقيح وهذا يعني أن الحريري عدَّل نسخا كثيرة من مقاماته بعد ان شاعت بين الناس والذي انتقده ابن الخشاب ما ورد في النسخ التي راجعها .

ذكر الحريري في تحميده ودعائه في الخطبة: فقلتَ وأنت أصدقُ القائلين: «إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين».[٥٧]

ظنّا منه أن المراد في هذه الآية الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، فبنى على هذا الظن "مدة"، ثم مضت عليه برهة بعد أن أخذت عنه المقامات وانتشرت، فعثر على أن ذلك، إنما هو وصف جبريل، عليه السلام، وهو المكين عند ذي العرش، فكرّ على النسخة مغيرا، اعتقادا منه

أنه اخطأ في الأول، وكيف؟ وقد غرّبت وشرّقت، وأشـأمت وأعرقـت، وكان تغييره في النسـخة الثانية.

وقـد راجعنـا فعـلا أكثر مـن نسـخة خطية فوجدناهـا من الإصـدارة الأولى أي قبل التغيير الذي عمد إليه الحريري.[٥٨]

أمـا ابن بـري، فلـه رأي آخر ردّ فيـه على ابن الخشاب، وانتصر لرأيه، يتمثل فيما يأتي:

١- أن الرجـوع عن الوجـه الضعيف إلى الوجه الأقوى ليس غلطا، بل هو فضيلة.

٢- لايمكن القطع بان الحريري لم يمرّ به جواز الوجه الاول من كتب التفسـير، وإنما تركه لأنّ أكثر أهل التفسير على خلافه، فعدل إلى ما ليس فيه خلاف عند أحد من الناس؛ ويقوي ذلك أنه إذا أنكر عليه في الوجه الاول، فلا بدّ له أن ينظر في كتب التفسـير؛ لينظر هل الأمرعلى ما ذكر أم على غيره؟

٣- إن الحريـري عـدل عن رأيه حـين رأى أنه الوجه الذي لم يختلف فيه.

٤- لـم يكن قول الحريري في فهم تفسـير الآية بدعا، إنما هو رأي قال به أكثر من مفسر.[٥٩]

وفي المقامـة الثالثـة والأربعـين، احتـج ابـن الخشـاب عـلى عبـارة الحريـري: «والمريخ قد ازدمل بنجاده»

قائلا: كذا وقع في النسـخة المقروءة: على نجاده بالنون، ولا وجه للازدمال بنجاد السـيف، لأنه لا يعـم المتغطي المتلفف عموم الثوب، فإن كان قال: ببجاده إي بكسائه فهو الوجه

أما ابن بـري فرأيه هو رأي ابن الخشـاب بأن الصحيـح بجـاده، وليس نجـاده، ودفاعه عن الحريري بإنكار وجود الرواية الثانية قائلا: الرواية بجـاده بالباء لا غير، والـذي ذكره ابن الخشـاب «بنجـاده» بالنـون غلط منـه أو في النسـخة التي قرأها[٦٠] وقـد راجعت أكثر من طبعـة للمقامات فمـا وجدت فيهـا رواية ابن الخشـاب التي أقام نقده عليها، ولعل النسخة التي راجعها حدث فيها تحريف في الكلمة.

وقد يجمع ابن الخشـاب بين نقد المعنى والنقد اللغوي، يظهر هذا في نقده لاستخدام الحريري للفظ الوفاض في قوله في المقامة الأولى:

«خاوي الوِفاض، بادي الأنْفاضِ»

فهـو يـرى أن الوِفاضُ: جمْـعُ وَفْضـة، وهي بمعنى الجُعبـة، والزاد لا يكون في الجُعبة. هذا من حيث المعنى أما النقد الآخر فرآه في استعمال

صيغة الجمع استخدام المفرد، والموضع يقتضي الإفراد.

وينبري ابن بري مدافعا عن لغة الحريري بأن ما أنكره ابن الخشــاب وارد في الحديث النبوي الشريـف حين أمر (صلّى الله عليه وسـلّم) بأن تجعل الصدقات في الأوفاض.(٦١)

وقـد شرح الفراء الأوفاض بأنهم الذين مع كل واحد منهم وَفضة، يلقي فيها طعامه وهي مثل الكنانة الصغيرة.(٦٢)

ويعلـق ابن بـري بأن نـص الفـراء يفيد بأن الوَفضـة التي يجعل فيها الزاد، وتكون الكنانة التي تجعل فيها السهام أيضا. فلا بدّ في الحديث مـن حـذف مضـاف تقديـره: أمـر أن تجعل الصدقة في ذوي الأوفـاض"أو أهل الأوفاض"، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه على حدّ قوله سبحانه وتعالى: «اسأل القرية»(٦٣)أي: أهل القرية.

وأورد ابن بري شرح ابن السيرافي لأحد شواهد الكتاب، بما يؤكد رأيه في معنى الأوفاض، وأنها مثـل الخريطة تكـون للفقراء يجعلـون فيها أزوادهم.

قـال: وزعمـوا أن أهـل الصفـة، كانـت معهم وفاض، ثم روى الحديث النبوي الشريف.

أمــا اعتراض ابن الخشــاب بشــأن اســتعمال الحريــري الجمــع اســتعمال المفــرد، فمردود عند ابن بــري. وأنه تحكم منــه، لأنه يجوز أن يكون(٦٤) معــه وفضة فيها كعك، ووفضة فيها سويق ووفضة فيها تمرٌ ودقيق.، وأورد شواهد من القرآن الكريم تؤكد جواز اســتخدام الواحد استخدام الجمع.

ويبــدو ابن بري متوســعا في نظراته الى دلالات الألفــاظ عــلى أكثر مــن معنى، فاعــتراض ابن الخشــاب عــلى اطــلاق الحريــري لفـظ الربع للدلالــة على المكان، أنه أطلــق في الكلام العربي عــلى المنزل في الربيــع خاصة، ولكـن ابن بري يرد عليه بالشــواهد الشعرية أن المربع هو اسم للمــكان غير مقتصر على زمن الربيع فحســب، وفسر ســبب من أطلقــه على المنــزل في الربيع خاصة، لأنه الأكثــر ورودا في كلامهم، وإلا فإن المربع اســم للمكان الذي ينزل فيه القوم صيفا أو شــتاء أو ربيعا، وأورد شواهد شعرية لذلك، وأنهــم ايضا أطلقوا المربع اســما للزمان أيضا. وبذا تتســع دلالة هذا اللفـظ، وفيه رد على ابن الخشاب، وانتصار للفظ الحريري.

ومن الالفاظ التــي اختلف في دلالتها ما ورد في المقامة الخامســة عشرة قــول الحريري "حتى كدت أُغلِطُ ُله في الكلام وألسعه بحمة الملام".

عدّ ابن الخشــاب اســتخدام الحمــة هنا غلطا من أغلاط العامــة؛ لأن اللغويين يرون أن: إبرة العقرب والزّنبور ما يلسـعان بهـا. فأما الحُمَّةُ فهي سمهما أو ضرّهما. ورأي ابن الخشاب هنا قصر الدلالة على الإبــرة بينما تركيب الحريري لا يدل عليهــا، فهو فيما يبدو أضاف الحمَّة الى المــلام، وهذا تعبير مجازي، يريــد به أنه يلذعه بلومه العنيف.

لكــن ابن بري ردّ رأي ابن الخشــاب من خلال قراءة أخرى فهم منها دلالة الحمة. منطلقا من إنكار ابن قتيبةّ إطلاق الحمّة على إبرة العقرب والزنبور، لأن الحمّة ســمُّهُما وضررُهما، وإنما خُصَّا العقــرب والزنبــور دون الحيّة؛ من قبل أن الحيّــة لا إبرة لها، ولم يذكر «لســعة الحية بحمَّتها».

ويقــول أيضا: مــؤولا فهــم دلالــة الحمة عند ابــن الخشــاب، بأنه ظنَّ أن اللَّسـعَ لا يكون إلا للعقرب، فلهذا حمل الحمّة على أنها الإبرة، ولو بنى على أن اللّســع يكون للحيّة لم يحمل كلام ابن الحريري على الغلط؛ لأن الحيّة لا إبرة لها.

ووقف ابن الخشــاب أكثر مــن وقفة على دلالة لفظ الخلاصة منها قــول الحريري إن خلاصة الجوهر يظهر بالسّك.

وقد خطّأ ابن الخشاب الحريري ورأى أنه دائما يســتعمل الخلاصة اســتعمال خالــص الشيء، وليــس الأمر على ذلك. خلاصــة الشيء ما يلقى عنه بعد التخليص، فهــي كالبِرارية، والنِحاتة، والقِلامة والقُمامة والنِّخالة والسِحالة والقِوارة، وبيّن أن الحريري مخطأ فيه.

أما ابن بري فهو كعادته متســامح في النظر الى دلالات الألفاظ، وترجيح كونها محتملة الدلالة على أكثر من معنى، فرأى أن قول ابن الحريري صحيح؛ لأن لفظة الخُلاصة لفظة مختلف فيها من جهة المعنى، فذهبت طائفة إلى ما ذهب إليه الحريري. وذهبت طائفــة إلى ما ذهب إليه ابن الخشاب.

قال الجوهري:

«خُلاصة السَّمن ما خلص منه؛ لأنهم إذا طبخوا الزبد؛ ليتخذوا منه ســمنا طرحوا فيه شيئا من سويق أو تمر أو أبعار غزلان، فإذا جاد، وخلص من الثفل، فذلك السّمن هو الخُلاصة.



والشاهد بصحته ما قاله الجوهري أنه يقال في الخِلاصة الخَلاص أيضـا، والخُلاص ما خلص من الذهب والفضة بعد السبك.

وأورد ابن بري قول الهروي في حديث سلمان أنـه كاتـبَ أهلَه عـلى أربعين أُوقيـة خـَلاص، الخَـلاص ما أخلصتـه النـار من الذهـب،(٦٥) وكذلـك الخُلاصة، فجعل الخَـلاص والخُلاصة بمعنى واحد.

وذكر الفارابي في كتابه المعروف بديوان الأدب: الخُلاصة ما خلص من الذهب».(٦٦)

وإذا ثبتـت صحـة ذلك لـم يكـن لتغليط ابن الحريـري وجه؛ إذ كان قوله موافقا لأقوال أهل اللغة الحذاق «المقامة الثانية والأربعون»

وقد يكون سـبب الخلاف بين العالمين الجليلين اعتماد احدهما رأيا قاله اللغويون مثل وقوفهما على لفظ بصيغة البناء للمفعول، وحقه على رأي الخشاب البناء للمجهول، كقول الحريري:

«ومتى اخترع خرع، وإن بَدَهَ شَـدَهَ». استخدم الحريـري لفظة شَـدَهَ عـلى البنـاء للمفعول، وخطّأه ابن الخشاب على رأي النحويين في كتب المختـصرات، بأن اللفظ يسـتخدم عـلى البناء للمجهول.

أمـا ابن بري فإنـه يرى أن ما ذهـب إليه ابن الخشاب معتمد على كتاب الفصيح لثعلب، وقد خطّأه ابن درستويه؛ لأن الأصل في الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي، فإذا لم يسـم فاعلها فهـي كلهـا مضمومة الأوائـل، ألا تـراه يقول: وقـد بينوا ذلـك في الكتـب المختـصرات يعني كتـاب الفصيح، ولـم يعلم بأن ابن درسـتويه أنكرما قاله ثعلب وغـيره من أهل اللغة، وعامة أهـل اللغة يزعمـون أن هذا البـاب لا يكون إلا مضموم الأول، ولم يقولوا أنه إذا سـمي فاعله، جاز بغير ضم. وهـذا غلط منهم، لأن الأصل في الأفعـال الماضية بذلك بعضها دون بعض، وقد بينا ذلك بعلّته وقياسـه، وذكر أنه يجوز عنيت بأمرك، وعناني أمرك، وشغلت بأمرك، وشغلني أمرك، وقد شـدهني أمرك. فهذا الذي ذكره ابن درستويه تصحيح لقول ابن الحريري، وإبطال لقول غيره. وفي ذلك كفاية تغني عن زيادة بيان وإيضاح.

ووقـف ابن الخشـاب معترضا على اسـتعمال الحريـري لبعـض الصيغ التى عدّهـا مخالفة للقواعد الصرفية المسموعة مثال ذلك في المقامة الحاديـة والعشرين اعترض ابن الخشـاب على

تعبير الحريري:

«ولا أدري أيُّ الجـرادِ عـارَه» لأن العرب برأيه لا تسـتعمل هـذا المثـل إلا في المسـتقبل، ولا يسـتعمل الماضي منه كما تقول: ما أطّت الإبل، وما وسـقت[٦٧]عيني الماء، فرب كلام هكذا لهم موقوف على طريقة واحدة لا يجوز تعديها، ولا القياس عليها غير مصيب

أما ابن بري فيخطّيء ابن الخشاب وأن قوله لم يـرد عند أحد من أهل اللغة، وأن الأمر بالعكس من ذلك عندهم؛ لأنه لا يسـتعمل هـذا المثل إلا في المـاضي دون المسـتقبل؛ لهذا قـال الأزهري: إن مسـتقبل عـاره في هـذا المثل قـد أميت، فلا يستعمل[٦٨]

ويخطّيء ابـن بري ابن الخشـاب في تصريفه الفعـل وأن قولـه إن المضارع منـه يعاره غلط فاحـش، وإنما مضـارع عاره يعـوره ويعيره أيضـا إذا أخذه، وأما يعـار، فإنما هو مضارع عار الظليم يعار إذا صوّت.[٦٩]

وقد لا يكون الاستعمال اللغوي مخطوءا، ولكن ذوق ابن الخشـاب يرفضه مثـل اعتراضه على قول الحريري شيَّعْتُهُ قاضيا حقَّ الرِّعايةِ، ورأى أن إضافة «حق» الى «الرعاية كلام معسـول إلا أنـه رديء في الاسـتعمال»، إذ لا يقـول مـن له ذوق في صحة الاسـتعمال: يا فـلان قد قضيتُ حقَّ رعايتِك، وإن كان ليس بالخطأ. فاستعمال «حقـا» غـير خطـأ، لكـن ذوق الحريـري لم يستسغه.

مـن هنـا كان ردّ ابن بري معتمـدا على الذوق أيضا, مادام جائزا في اللغة.

واعـترض ابن الخشـاب عـلى بعالتـي وردت عنـد الحريري متعدية وحقهـا اللزوم «المقامة السابعة عشرة»

وقد يكون اعتراض ابن الخشاب على الحريري لاسـتخدامه لفظا مخالفـا لما قالتـه العرب في صيغـة الجمع بصيغة لم تسـمع عـن العرب، حدث هذا في أكثـر من موضع من المقامات من ذلك جمع الحريري للفظ سـواد على أسـاود في قولـه في المقامـة الثانية والثلاثـين «فإن سرق أساود الدار؟»».

وهو مما اعترض عليه ابن الخشاب قائلا:

في الأسودة كما قدمت في الخامسة في قوله:

فأحضرنا الدواة وأسـاودها وأنها جمع سواد، ولو سمع جمع أسودة في هذا على أساود، فيكون كأسـقية وأسـاق، لم يمتنـع إلا أنـه يفتقر إلى

سماع؛ لأن جمع الجمع لا يقاس.

ورد ابن بري على هذا القول بأن الجمع على أساود لا يحتاج الى سماع، ويكفي أن ابن الأعرابي ذكره وحكى أن سواد الجمع على أسودة، ثم تجمع أسودة على أساود. فهذا نص على أنه مسموع.

ونص الجوهري وغيره على أن السواد الشخص والجمع أسودة ثم أساود جمع الجمع

وأنشد للأعشى:

تناهيتم عنّا وقد كان فيكم

اساودُ صَرْعَى لم يُوسّد قتيلها(٧٠)

يعني الأساود شخوص القتلى.

وحكى الهروي في حديث سلمان: وهذه الأساود حولي أراد الشخوص من المتاع، وكل شخص سواد من إنسان أو متاع أوغيره.

وحكى عن ابن الأعرابي أن سواد الجمع على أسودة، ثم تجمع أسودة على أساود. فهذا نص على أنه مسموع.

وردَّ ابن بري هنا يعتمد على اعتراض ابن الخشاب، فإذا كان الأخير يدعي افتقاد الجمع الى السماع فإن ابن بري بحث عن نصوص تدل على سماع هذا الجمع، ليدحض اعتراض ابن الخشاب.(٧١)

ومن اعتراضات ابن الخشاب على الحريري جمعه بين الوجل والزجل بقوله: ثم أنشَدَ إنشادَ وَجِلٍ بصوت زَجِل.(٧٢)

رأى ابن الخشاب أن هذا الاستعمال رديء لأن الوجِل الخائف، والخائف عنده لا يصدر أي صوت، ومن ثم فالتركيب الذي يجمع بين الوجِل وإصدار الصوت «الزجل» فاسد.

ورفض ابن بري هذا الرأي اعتمادا على أكثر من دلالة:

إن الخائف قد تصدر عنه أصوات، بأختلاف المواقف فلا إنكار على من وقف موقف وعظ وإنذار، ومخوفا من عقاب الجبار أن يرفع صوته بإنذاره مع شدة خوفه، ووجَلِه كما يشاهد من ركاب السفينة إذا أشرفت على الغرق، ولا شيء أخوف منهم، ولا أوجل لخوفهم على أنفسهم من الغرق والتلف، فهم يضجُّون ويجأرون إلى الله بالدعاء وغيره. والجؤار رفع الصوت في الدعاء.

ورد في الحديث الشريف: أنظر إلى موسى وله جؤار إلى ربه بالتلبية(٧٣) أي انظر إليه رافعا صوته بالتلبية.

فثبت بهذا أنه ليس الخوف والوجل مما يباين

رفـع الصـوت، وإنمـا يباينه سـقوط القوة أو مرض في آلة الصـوت. ألا ترى أن المرأة الحامل إن أصابهـا الطلق، يضرب بهـا المثل في ارتفاع صرختها، وإن كانت خائفة وجلة على نفسـها وولدها. وذلك في نحو قولهم:

كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها(٧٤)

والقَبيـل هاهنـا القابِلة، وإذا أسـلمت الحامل قابلتها كان أشـد لخوفها ووجلها، فإذا تطاول بها الطّلق، وسقطت قوتها قلّ ارتفاع صوتها.

قضايا نقدية

١ـ الحقيقة والخيال:

لم يسـم ابن الخشـاب ولا صاحبه ابن بري هذين المصطلحـين، ولكننا فهمناها من خطبة كتـاب الحريري التـي ردّ عليها ابن الخشـاب وذلك أن الأخير ذكـر أن هناك من حاول الغمز واللمـز في طبيعة عمله في المقامـات، وأن منهم من طعـن بدوافع كتابته للمقامـات وجدواها، واكتفى بعبارة «ويندِّدُ بأنه من مناهي الشَرْع»، وكأنـه يريـد أن يقـول أن هنـاك مـن طعـن بمقصدية عمله، وعدّه مخالفا للشرع. وكان ردّ الحريري أنها يمكن أن تسـلك في مسلك الآداب التي وضعت على لسـان الحيوانـات، والتي لم يجد أحدا عاب على مؤلفيها اعمالهم.

والغريـب أن ابن الخشـاب يؤيد مـن يقول أن المقامات مخالفة للشرع، وأنها لا تماثل التأليف على لسـان الحيوان مثل كليلة ودمنة، لأنه يرى أن الأخـيرة من باب الخيال، فينطـق الحيوان، لتضرب على لسانه العبر والأمثال.

أما ما جرى على لسـان الحارث بن همام وأبي زيد، فـلا يمكن عدّهما خيالا فحسـب، لأن من الجائز وجود مثل هاتين الشخصيتين في الحياة الواقعيـة، وهـو بهذا يرفض أن تكـون أحداث المقامـات ضربا مـن الخيال. وهـي كذب وقع به الحريـري؟ ولم يردّ ابن بـري على قول ابن الخشاب، لعله رأى رأيه غير قابل للنقاش، ولأنه معتقد حقا أنها عمل أدبي فيه شيء من الخيال وشيء من الواقع.

٢- التناقض:

انتقـد ابـن الخشـاب في أكثـر مـن موضع التناقـض الـوارد في مواضـع مـن المقامـات، كجمعـه بين النزاهة والاحتيال في شـعر أورده في المقامة الأولى، يفتخر فيها بطل المقامات بأنه كان يمنع نفسـه من الاحتيال على الناس، وأنه في بيت تال يفتخر بالتحايل للحصول على المال.

وكان رد ابـن بـري موافقا لرأي النقاد بشـأن التناقض قائلا وليس المعنى فيه على ما قاله ابن الخشاب، وإنما أراد أن الدهر ألجأه ألى السؤال والاحتيال، ولم يكن من أهل ذلك فيما تقدم، ألا تراه يقول قبل البيت:

وألجأني الدهرُ حتى وَلَجْتُ

بلطف احتيالي على اللَّيْثِ عِيْصَهْ

على أنّني لم أهبْ صرفةً

ولا نبضتْ لي منه فريصة

وهذه مسـألة نقديـة وقف عندهـا قدامة بن جعفـر ووقف عندها النقاد، وميزوا بينها وبين الاستحالة التي قد يوحي بها التناقض.[٧٥]

ومما عدّه ابن الخشاب تناقضا ما ورد في المقامة الرابعـة مـن وصف الحريـري لنزولـه مكانا ورفقته بعد أن نضا الليل شبابه، ثم ذكر أنه مع سكون الأصوات للنوم أو الراحة سمع مراجعة الرجلين وتناقضهمـا في الكلامين. وقد أخبرمن قبل أنهم نزلوا للتعريس مع الصبح.

ثم قال: «فلما لاح ابن ذكا، وألحف الجو الضيا».

رأى ابن الخشـاب ان التناقـض يظهر في كلام الحريري بأنهم نزلوا للتعريس بعد انتهاء الليل، ثم ذكر أنه سمع نجوى الرجلين يتسرب اليه مع الظلام. وابن ذكا أيضا هو الصبح. وهذا فسـاد في الوضع، لأنه لا زمن هناك يسـتراح فيه، ولأنه عـلى ما وصف أولا من انقضـاء الليل بالسّرى، يكـون زمن النزول أقـرب الى النهار من الزمن الذي أخذ يسـتقريء فيه صوب الصوت الليلي ويؤكـد ذلك أنه جعـل الصوت ليليـا، وأي ليل بقي مع أنه قد نضا الليل شبابه، وسلت الصبح خضابـه. وهذا ظاهر الفسـاد، فتأمله ويؤكده أيضا قوله:

فعلمت أنهما نجيا ليلتي.

وهنا أيضا لم يرد ابن بري على نقد ابن الخشاب وفي المقامة الخامسة تلمّس ابن الخشاب معاني وردت فيها وعدّها تناقضا، من ذلك قوله واصفا ليلة: بأن أديمها ذو لونين، والليل الأليل، والليلة الليلاء لا تكون ذات ضوء البتة. ووصفها أيضا بأن جنحها أبيض بقمرهـا، وقد انقضى بقوله «روّق الليل البهيم، ولم يبق إلاّ التَهويم». ولعله أراد جنـح ليلـة أخـرى، وعـد هـذا تناقضا في التصوير، ووصفه بأنه بارد فاسد.

أما ابن بري فقد فهم التناقض فهما فنيا دقيقا ورأى تعبير الحريـري صحيحا؛ لأنه لم يصف الليلة بأنها قمراء، بكـون القمر فيها من أولها

إلى آخرها، وإنما ذكر أن القمر في أولها، ألا تراه يقول فيها: «قمرهـا كتعويذة من لجين»، وهو مـا يجعل في قلادة الصبـي وغيره. فهذا يقضي بـأن القمـر كان ابن أربع أو خمـس، وإذا كان كذلـك كان غروبه سريعا، وإذا غاب القمر أقبل الليـل بظلمته. فالليلة قمـراء في أولها حتى إذا غاب القمير عادت سوداء، وأورد شواهد شعرية تؤكد رأيه.

وهذا تفسير وتأويل لطيف، ينفي وجود تناقض أو فساد في التصوير والتعبير.

ومن التناقض الذي رآه ابن الخشـاب في تعبير الحريـري بتركيب يدل على خـلاف مراده وهو قوله «وتمادَيْنا في الرّحْلةِ إلى أن أضعنا الزمان».

فتمادينـا في الرحلـة ضـد مـراده ومقصده، لأنه يريـد أنهم تمادى بهم المقـام، والرحلة لو تمادت لكانوا في سفر متصل، وذلك مثل قولك تمـادى فلان في غيـه وضلالته، إنمـا تريد دام غيه وضلاله، لا أنه كان في غير الغيّ والضلال، وكذلـك إذا قلت تمـادى فـلان في رحلته دامت رحلتـه، لا أنه كان في غير رحلـة، وهي الإقامة، فطال زمن إقامته، وهو الذي قصده الحريري، فعـبر بما يؤدي إلى ضد مراده، وهذا بين الغلط بما كشفته وأوضحته.

وقد رد ابن بري على هذا الرأي بقوله: هذا جائز في اتساع كلام العرب على حذف مضاف تقديره: تمادينا في انتظارالرحلة، وجاء بشاهد من شعر جرير[٧٦] وقال إن هذا الحذف والتقدير كثير في كلام العرب والقرآن الكريم. وبذا لا يكون هناك تناقض في الدلالة «المقامة الرابعة».

٣ـ الاستعارة:

انتقـد ابن الخشـاب الحريـري في أكثر من موضع الاسـتعارات الواردة في مقاماته، ويبدو أنه يحكـم على الاسـتعارة وصحتها من خلال موافقتها للمألوف من كلام العرب. وهو في هذا النقد يسـاير نظرة النقـاد العرب الملتزمين بما عرف بعمود الشعر العربي. الذي استقرت فيه المعايير التي يحكمونهـا في النظر الى القصيدة العربية، ومن بين هذه المعاييرالاسـتعارة. وابن الخشـاب طبق معايـير الاسـتعارة المقبولة في الشـعر على ما ورد مـن اسـتعارة في مقامات الحريـري وعيارهـا عنـد المرزوقي: مناسـبة المسـتعار منه للمسـتعار له ويريدون بها قوة المشـابهة بين طرفي الاسـتعارة اللذيـن هما في الأصـل طرفا التشـبيه. والعرب إنما تسـتعير

في كلامهــا المعنــى إذا كان مقاربــا أو مشــابها للمســتعار له في بعض أحواله إنما إســتعارت المعنــى لما ليس له إذا كان يقاربــه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المســتعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي اســتعيرت له وملائمة لمعناه.وحين أغرب أبو تمام وابتكر كثيرا من الاســتعارات التي لم تعرفهــا العرب، ولم تــرد في كلامهم عدّ خارجا على عمود الشعر.

وابــن الخشــاب لــم يســتخدم عبــارة عمــود الشــعر لأنه لم يكن ناقدا للشعر، إنما هو ينقد الاســتعارات الــواردة في المقامــات، ولكــن من خلال نقده نفهم ذوقه في رفضه للاستعارة غير المألوفة.

فيصف في المقامة الرابعة قول الحريري «ولاحتِ الشّمسُ في الأَطمار»

بالاستعارة البعيدة. دون أن يبين سبب رفضه لهــا ومــا ملامــح بعدها. ويبــدو فعــلا أنه لم يستسغها لأنها لم ترد عند غيره بهذه الصورة. أمــا ابن بري، فإنــه يقف عندهــا ويقول أن لا شيء أحســن من استعارة الأطمار للشمس عند غروبها، لأن الشفق قد صار عليها كاللباس لها وهي تضيء فيه، فكأنها قد لبست أطمارا وهي الثياب الخلقان..

وانتقــد الحريــري اســتعارة أخــرى وردت في المقامة الخامسة وهي قوله: فقضينا ليلة غابت شوائبها إلى أن شــابت ذوائبها. وكذلك قوله في موضع آخر:

إلى أن شــاب مفــرق الدجــى. يعني بــه أوائل الصباح.

هنا استعارة رفضها ابن الخشاب؛ لأن المألوف في كلام الأدبــاء والشــعراء في مثل هذه المواضع أن يستعيروا لأواخر الليل الأعجاز، ولأوائل الليل هواديه وتمثل بقول امريء القيس:

«وأردف أعجازا وناء بكلكل».[٧٧] أما الحريري فقد استعار لليل الذوائب، ووصفها بأنها شابت أي ظهر بياضها، ورأى ابن الخشاب أن الذوائب في أعلى الرؤوس وليست في مآخيرها وبذا خالف الحريــري في هذه الاســتعارة المألوف من كلام العرب الذين استعاروا لأواخر الليل الأعجاز.

ومــع هــذا الرفض وضع ابن الخشــاب تأويلا آخر يعطي وجها مقبولا لقراءة الاســتعارة إذا فهم منهــا أنه جعل الليل كالعمر له والشــيب، إنمــا يكــون في أواخر العمر « فعــلى هذا تقرب

استعارته»

أما ابن بري فرأى أن هذه الاستعارة من أحسن الاستعارات، وأن من ينكر حسنها ينكر غير منكر كما يقول.

وناقش ابن بري إنكار ابن الخشاب لاستعارة الحريري لفظ العول للزيادة في قوله في المقامة الحادية والعشرين "حتى كادت الشمس تزول، والفريضةُ تعول" ووصفها بأنها استعارة غير مستحسنة، وانها باردة في التأويل.

والعول من ألفاظ الفرضيين وناقش ابن بري ابن الخشاب بتأويله نفسه، بأن الحريري لم يرد بالعول زيادة في الوقت، وإنما زيادة الوقت،هي التي أعالت الفريضة؛ ركعتين على الركعتين اللتين هما فرض الجمعة.

٤ـ الضرورات الشعرية والنثرية:

الضرورة الشعرية مصطلح شاع على ألسنة النحاة واللغويين والنقاد قديما، ويريدون به خروج الشاعر في مواضع من أشعاره على القواعد والأنظمة اللغوية والصرفية، وأباحوا له هذا الخروج معللين بتقيده بالوزن والقافية اللتين تضطرانه اليه؛ ليستقيم له الشعر، وبنوا على هذا قاعدة أخرى، وهي: يباح للشاعر ما لا يباح للناثر، أو هو ما لخصه ابن الأثير بقوله: ما يستحب في الشعر مكروه في النثر.[٧٨] وقد أباحوا للشاعر الخروج على القواعد الصرفية واللغوية وأحيانا النحوية. من هنا ماكانوا يبيحون للناثر هذه الضرورات؛ لأن أسلوب النثر يمنح المترسل حرية اختيار الألفاظ والعبارات، فلا يضطر فيها الى الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر لكننا نجد وقفة نقدية مهمة في هذا الشأن وقفها ابن بري راداً على ابن الخشاب في واحد من استدراكاته.

عاب ابن الخشاب على الحريري قوله: فألفيت بها أبا زيد يتقلب في قواليب الانتساب، ويخبط في أساليب الاكتساب. ورأى أن القواليب خطأ وصوبه القوالب، وأن العرب لا تستعمله الا في الضرورة، وهذه الضرورة مباحة للشاعر دون الناثر.

وأورد شاهد الفرزدق الذي تمثل به النحاة:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدّراهيم تنقاد الصياريف[٧٩]

وقول أبي الطيب:

أفدي ظباء فلاة ماعرفن بها

مضغَ الكلامِ ولا صبْغَ الحواجبِ[٨٠]



فالدراهيم والحواجيب لفظان مخالفان للقاعدة الصرفية وصوابهما الدراهم والحواجب ولكن الشاعرين اضطرا اليها وأبيح لهما هذا الاضطرار. ويؤكد ابن الخشاب ماذهب اليه اللغويون من عدم إباحته في النثر قائلا:

ولا خلاف بينهم أن استعمال مثل هذا في الكلام المنثور لا يجوز، وإنما يجيء في ضرورة الشعر قليلا(٨١)، وتجاوز هذا الى ما يمكن للشاعر من وسائل التعبير كأن يلجأ الى الحذف والزيادة والمد، وكل هذا غير مباح للناثر.

أما ابن بري فيقرر قاعدة أخرى يخالف فيها من سبقه من النقاد واللغويين وهي قاعدة منبثقة عن طبيعة ما تطور إليه النثر العربي، وهي تقييده بنوع خاص من السجع الذي يمثل قيدا أيضا يضطر الناثر الى الخروج فيه عن القاعدة اللغوية، فأباح للناثر اللجوء الى الضرورات التي يلجأ إليها الشاعر:

إعلم ان للسجع ضرورة في النثر تضاهي ضرورة الوزن في الشعر من الزيادة والنقصان والإبدال وغير ذلك. وتابع هذه الضرورات في منافذ منها:

- تحريك الساكن كما يحركونه في الشعر، كقولهم في صفة ليالي القمر: ثلاث دُرَع وكان قياسه درْع بسكون الراء، وإنما حركوها إتباعا لقولهم ثلاثُ غُرَرٍ وثلاثُ ظُلَم.

- إباحة التنوين كما أباحوه في الشعر، كما حذفوه في الشعرفقالوا شهر َترى، وشهرٌ ثَرى، وشهر مرعى، فحذفوا التنوين من ثرى ومرعى إتباعا لقولهم ترى.

- إباحة الإبدال، كما أباحوه في الشعر، فأبدلوا الهمزة ألفا في نحو قولهم: أنكحنا الفرا فسترى، فابدلوا همزة الفراء ألفا إتباعا لقولهم سترى.

- إباحة إبدال الحرف المضاعف ياء كما أباحوه في الشعر نحو قولهم: الضيح والريح، فقلبوا الحاء ياء في الضيح، وكان أصله الضحّ بحاء مشددة؛ إتباعا للريح.

- إباحة إبدال الواو ألفا كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «إرجعن مأزورات غير مأجورات» فأبدل الواو في موزورات ألفا؛ إتباعا لمأجورات.

وتابع ما وجد في القرآن الكريم من ظواهر أسلوبية تتمثل فيها:

- الزيادة مثل قوله جلّ وعز: «فأ ضلونا السبيلا»(٨٢)

و"تظنون بالله الظنونا" فزيدت الألف كما

زادوها في الشعرعلى جهة الاطلاق

- النقص. منها قوله جلّ وعزّ "والليل إذا يسر"، حذفت الياء من يسري، إتباعا للوتر، وما تقدمه.

- الحذف مثل الياء من قوله جل وعزّ: «رب أكرمن»[٨٥] و"ربّي أهانن"[٨٦]، كما تحذف في الشعر كقول الشاعر:

وهل يمنعني ارتياد البلا

د من حذر الموت أن يأتين[٨٧]

وبعد ذكر ابن بري للشواهد النثرية والقرآنية خاصة التي حدث فيها تغيير في الأسلوب المعتاد والقواعد المقررة، وطرأ عليها حذف او زيادة او نقص يقرر القاعدة التي رآها مسموحا بها في النثر مثل ما سمح بها في الشعر، وهي الضرورة، ولنسمها الضرورة الأدبية. هنا يقرر هذه القاعدة بقوله:

فإذا ثبت هذا، فلا إنكار على ابن الحريري "في إتباع الكسرة ومطْلها في قوالب إلى قواليب؛ لتوافق سجعتها التي هي أساليب، كما يفعل ذلك في الشعر نحو قوله:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدراهيم تنقاد الصياريف[٨٨]

ومن ضرورات النثر «السجع» التي أباحها ابن بري قول الحريري:

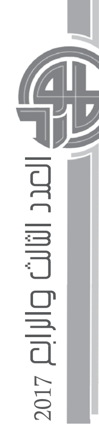
إلامَ تشيرُ لأقتفيه، ولا أقف لك فيه». فقد اعترض ابن الخشاب على اسكان الياء في الفعل المعتل المنصوب، وأنه لا يلجأ إليه إلا الشعراء في الضرورة.

في هذا الموضع أيضا يرى ابن بري أن ضرورة السجع في النثر كضرورة الوزن في الشعر ولما وجب إسكان الياء لإقامة الوزن، كذلك وجب إسكانها؛ لإقامة وزن السجعة فهذا مما يسامح به ابن الحريري، وله فيه شهادة مقبولة.

واحتج ابن بري بفواصل القرآن الكريم التي نزلت بمنزلة القوافي وذلك في مثل قراءة من قرأ «والليل إذا يسر»، بحذف الياء في الوقف، لتتفق أواخر الفواصل عند الوقوف على الراء- فيقرأ «والفجر وليال عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر»[٨٩]

٥- نقد الأساليب:

أستخدم الحريري أساليب وردت في كلام العرب على صيغ معينة وأساليب شائعة بتغيير دلالتها من خلال إجراء تغيير في أسلوبها، كأن يستخدمها في الإثبات، والجاري فيها النفي. مثال ذلك ما ورد في المقامة الحادية والعشرين:



«ولمّــا حَلَلْتُ بالـرّي، وقـد حَلَلْتُ حِبَـى الغيّ، وعرفت الحيَّ من اللّي».

قال ابن الخشــاب إن أهل اللغــة نصّوا على أن قولهم: فلان لا يعرف الحيّ من اللّيّ، وما جرى مجـراه من قولهـم: لا يعرف هرا مــن بر، من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في الجحد، ولا يجوز أن تستعمل في الإيجاب، فكما لو قال: هو يعرف الهــرّ من البر لم يجــز، وكذلك عرفت الحيّ من اللّي، وهو مشهور في كتب اللغة[٩٠]

أمــا ابن بري فقد أجاز تغيير هذا الاســلوب من النفي إلى الإثبات، ورأى كلام الحريري صحيحا لأنه أراد معرفة التفسير لهاتين اللفظتين، وهما الحي والـلي.

والحي الــكلام الظاهر، والـلي الكلام الخفي، أي عرفت بيّن الكلام من خفيه من قولهم: ما يعرف الحي من الـلي، وكذلك لو قيل: فلان يعرف الهرّ من البر، بمعنى انه يعرف تفسيرهما كان جائزا، ألا تــرى أنه إذا قال قائـل: والله ما يعرف فلان الحي من الــلي، ولا الهر من البر، ولا القبيل من الدبير، فأردت تكذيبه قلــت: والله، إنه ليعرف الحــي من الـلي، ويعرف الهــر من البر، ويعرف القبيل من الدبير، أي يعرف معاني هذه الألفاظ المستعملة في النفي.[٩١]

وقــد اعترض ابــن بري على رأي ابن الخشــاب ورأى أن الحريري مصيب فيه، لأنه يريد عرفت بيّن الكلام من خفيه، من قولهم: ما يعرف الحي مــن الـلي، وكذلك لو قيل: فــلان يعرف الهرّ من البر، بمعنى انه يعرف تفسيرهما كان جائزا، ألا ترى أنه إذا قال قائل: والله ما يعرف فلان الحي من الـلي، ولا الهر من البر، ولا القبيل من الدبير، فأردت تكذيبه قلت: والله إنه ليعرف الحي من الــلي، ويعرف الهر من البر، ويعرف القبيل من الدبير. وقد تبنــى الشريشي هذا التوجيه، ورأى أن الحريري تجــوز فيه، فالحي مدح والـلي ذم، فكأنــه إذا قال:عرفــت الحي من الــلي إنما قال عرفت الخير من الشر، وما يضر وما ينفع.[٩٢]

ومن الأساليب التي نقدها ابن الخشاب ما يتعلق بنقد صورة فنية، وذلك في قول الحريري:

«فاعتقبته أخطو متقاصرا وأريه لمحا باصرا»

فهم ابن الخشــاب بأنــه يتقاصر لئـلا يراه في اتباعه إياه، وهذا لا ينسجم مع قوله «أريه لمحا باصرا» أي يتأمله تأملا شــديدا ونظرا بتحديق لكــي لا يفوت بــصره. ومن خلال هــذا الشرح تبدو الصورة متناقضة غير منســجمة في نظر

ابن الخشاب.

أما ابن بري فقد قرأ الصورتين بما لا يوقعهما في التناقض أوعدم الانسجام؛ لأنه أراد أني أخطو خلفه متقاصرا، وأتبعه نظرا بتحديق لئلا أضلَّ عنه بتقاصر خطوي، فيفوتني. فالمتقاصر على هذا أشد تحديقا من غير المتقاصر.(٩٣)

٦- السرقات :

وهناك مواضع لم يرد عليها ابن بري، لعله لم يجد لها ردا، أو أنه رآها لا تستحق المناقشة والرد، وأظن أنَّ هذا ينطبق على اتهام ابن الخشاب للحريري بالسرقة والتسلط على تحميد الجاحظ «في الخطبة» واتهامه بالتسلط على رسالة لأبي العلاء المعري دون أن يذكر نص الرسالة أو اسمها «المقامة الأولى» فضلا عن اتهام ابن الخشاب للحريري، في استخدام ابن الخشاب لمصطلح الغصب، وهو أشد أنواع السرقة قائلا: «وأنبّه مع ذلك على مواضع أخذ منها، واستعان بها، وأنحى عليها، ولم يبين ابن الخشاب المواضع التي يصح إطلاق الغصب عليها»، ولا ذكر شواهدها، فيكون ابن بري محقا في عدم الرد عليه، أو الدفاع عن الحريري.

وكتب عبد اللطيف البغدادي المتوفى عام «٦٢٩هـ» كتابا أسماه الانتصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات.(٩٤)

وقد بحثت عن نسخة للكتاب فلم أوفق، وأخيرا وجدت إعلانا عن نسخة له في جامعة برنستون في أمريكا، وكاتبتهم بشأنه وفي انتظار ردهم بإذن الله.

وفي العصر الحديث وقف اكثر من باحث عند نقد ابن الخشاب ورد ابن بري عليه، ووقف معظمهم مع ابن الخشاب فمحمد بهجت الأثري رأى أن انتقادات ابن الخشاب غاية في القوة والأصالة، وإن ناقشه ابن بري.(٩٥)

وأما عبد الملك مرتاض فقد وصف ما كتبه ابن الخشاب بأنه نقد مر، وأن ردّ عليه ابن بري وحرص على الانتصار للحريري، وأنه كان يبحث عن المخارج لتسويغ أخطاء الحريري، وأن ابن الخشاب كان أكثر موضوعية، وإن اشتد في انتقاده للحريري، وجانب الصواب في بعض مآخذه.(٩٦)

وكتب خالد كبير علال عن نقد ابن الخشاب وعدّه رائد نقاد المقامات في عصره دون منازع، وأن ردود ابن جني ضعيفة، وخطّأها.(٩٧)

ومن تحليل الاستدراكات وردود ابن بري عليها



نجد دقة العالمين الجليلين ورغبتهما في الوقوف عـلى الصـواب والتنبيه على الخطـأ او التجاوز إلى مـا قالته العرب، وما أقرّه العلماء. وإذا كان ابن الخشاب دقيقا في ملاحظاته، فإن ابن بري بـدا حريصا في ردوده بالإتيان بالدليل والحجة والشاهد الذي يعضد رأيه ويرد فيه على صاحبه، وكلاهما عرف بقدرته على تتبع كتابات الآخرين والرد عليهـم، اوالتعقيب والاعـتراض. وتحوم هذه الجهـود النقدية كم ذكرنا حول المصطلح الحديث، « نقد النقد».

الهوامش:

١. نسـخة جسـتر بتي ومنها نسـخة في مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض رقم،٤١٩١.

٢. هكـذا وردت تسـميتها في طبعة المقامـات الأدبية، وطبعة مصر, ت١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م.

٣. كشف الظنون،ج٢، ص١٧٩١.

٤. كشف الظنون، ج٢، ص١٧٩١.

٥. بغيـة الوعـاة ج٢، ص٣٤ ووهم أحد النسـاخ حين عدّها ردا على ابن الخشـابفي رده على الحريري في درة الغواص.

٦. النسخة الخطية المحفوظة في جامعة الملك سعود.

٧. الصحـاح، لسـان العـرب مـادة «درك»، النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص ٨١.

٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٣، ص ٣٥.

٩. ينظـر: اعتراضـات الـرضي عـلى النخـاة قي شرح الكافية رسالة ماجستير، إعداد حسان محمد علي تايه، الجامعة الاسلامية، غزة، ت٢٠١١م.

١٠. الصناعتين، ص ٤٤١.

١١. المثل السـائر، ج٢، ص١٥٤، المثل السـائر تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبعة نهضة مصر، وملحق به الفلك الدائر.

١٢. الفلك الدائر ص ٣٣.

١٣. المصدر نفسه، ص٣٤.

١٤. التعريفات مادة «نكت».

١٥. مجلـة فصـول المجلـد الأول، العـدد الثالـث سنة،١٩٨١م: ٦٤قراءة في نقاد نجيب محفوظ.

١٦. ينظـر نقد النقـد وتنظير النقـد العربي المعاصر محمد الدغموي، الرباط،١٩٩٩م, ص ١٦١.

١٧. نقـد النقد في التراث العربـي / عبد العزيز قليقلة, ص٢٣١، القاهـرة، دار المعارف, ط٢, سـنة ١٩٩٣م، نقد النقد في التراث العربي، المثل السائر نموذجا ١٥.

١٨. نقد النقد في التراث العربي، المثل السـائر نموذجا، ١٥،٢٣ن ٢٤.
١٩. نقـد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم: ١١٨.
٢٠. نقـد النقد أم الميتانقد، محاولة في تأصيل المفهوم، ص١١٩، ١٢٠، وينظر: الأسـس النظرية لنقد النقد/ الرشـيد هارون، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد الثاني، العدد ١، حزيران، ٢٠١٢.
٢١. ينظر: الأسس النظرية لنقد النقد: ص ١٢٥.
٢٢. إنباه الرواة، ج٣، ص٢٧.
٢٣. شرح مقامات الحريري للشريشي، ج١، ص٣.
٢٤. كشف الظنون، ج٢، ص١٧٨٧. وقد وهم الدكتور يوسف الجمل فكتبها نثرا حين تمثل بها.
٢٥. كشف الظنون، ج٢، ص١٧٩٨.
٢٦. وفيـات الاعيان ج١، ص٤٢٠، «عن شرح المقامات المقدمة».
٢٧. من قايمة شروح المقامات في كتابنا استدراكات ابن الخشاب ورد ابن جني عليها.
٢٨. ترجمتـه هذه من معجم الأدبـاء لياقوت الحموي ج٤، ص١٤٩٤، فمـا بعدهـا، ومن غيره مـن المصادر أشرنا إليها في موضعها وترجمة ابن الخشاب في المنتظم لابن الجـوزي ج٩، ص٢٣٨، إنباه الرواة للقفطي ج٢، ص٩٩،مـرآة الزمان ج٨، ص٢٨٨، سـير أعلام النبلاء ج٢٠، ص٥٢٣, بغيـة الوعـاةج٢، ص٢٩، طبقـات الحنابلة ج١، ص٣١٦، الفلاكة والمفلوكون ص ٧٩.
٢٩. معجم الأدباء ج٣، ص١٣٨٠١.
٣٠. وفيات الأعيان ج٥، ص٣٥.
٣١. المصدر نفسه.
٣٢. لم نهتد الى معناها.
٣٣. عدّه الدلجي من المفلوكين، وذكر خلاصة ما ذكرناه من وصف شخصيته: الفلاكة والمفلوكون ص٧٩.
٣٤. المصدر نفسه.
٣٥.وفيات الاعيان ج٢، ص ٢٨٤ .
٣٦. وفيـات الأعيـان ج٣، ص٨٣، بغيـة الوعـاة ج٢، ص٣٨-٤٠.
٣٧. وفيات الأعيان ج٤، ص٤٨٠.
٣٨. وفيات الأعيان ج٤، ص١٥.
٣٩. معجم الأدباء ج٥،ص١٥٠٦.
٤٠. ج٦، ص٢٣٧٤.
٤١. تفصيلات هذه الترجمة عن معجم الأدباء ج٤، ص ١٤٩٥ - ١٥٠٦ ، وما أخذناه عن غير ياقوت نشير إليه بهامش خاص.
٤٢. قمنا بتحقيقها ودراستها مع ردود ابن بري عليها سندفعها للنشر إن شاء الله.
٤٣.ينظـر مثلا: معجم الأدباء ج١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ج٤، ص ١٨٣١ ، ج٣، ص ١٨١٩ ، ١٣٠٥ .
٤٤. ترجمته في معجم الأدباء ج٤، ص١٥١٩.
٤٥. بغية الوعاة ج٢، ص٣٤.
٤٦. وفيات الاعيان ج٣، ص١٨٦.
٤٧. سير أعلام النبلاء ج٢١.
٤٨. وفيات الأعيان ج٢، ص٤٢٢.
٤٩. البلغة ج٢، ٢٦٣.
٥٠. وفيات الأعيان ج٣، ص٢٢٠.
٥١. وفيات الأعيان ج٣، ص٣٦٧.

٥٢. المصدر نفسه ج٢، ص٣٨٥.

٥٣. معجم الأدباء ج٤، ص١٥١٠- ١٥١١.

٥٤. وفيات الاعيان ج٣، ص٤٢٩.

٥٥. الفلاكة ص ٧٩.

٥٦. مقدمة الاستدراك.

٥٧. سورة التكوير ١٩ ، ٢٠ .

٥٨. الورقة الثانية من مخطوط رفعته من مكتبة المصطفى يحمل رقم ٨١٤/ م٤، وكذلك نسخة دار الكتب المصرية ج٣، ص٣٧ ق١١.

ونسخة أخرى هي من الإصدارة الأولى قبل التصحيح وجدنا النص في نسخة أخرى في دار الكتب المصرية، كتبت في القرن الحادي عشر ورقمها ٨١٤/م.ج.

وفي الطبعة الهندية عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م في بندر، كلكتا «الهند».

وكذلك في الطبعة الحجرية مع شرح الشريشي في الهامش عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م.

٥٩. انظر مثلا: تفسير الطبري ج٤٢، ص٢٥٨ الكشاف ج٦، ص٣٢٥.

٦٠. المصدر نفسه.

٦١. قصة الحديث أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كل شيء لي فهو صدقة إلاّ فرسي وسلاحي. قال: وكانت له أرض، فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فجعلها في الأوفاض، رواه الإمام أحمد ج٦، ص٣٩، سنن الدار قطني ٢١ موقع مكتبة الحديث الشريف، المعجم الأوسط للطبراني ٨٧٣٩ .

ونقل الهروي النص الذي أورده ابن بري عنه:هم الذين مع كل واحد منه وفضة يلقي فيها طعامه وشرابه، وهو مثل الكنانة الصغيرة.

٦٢. كتاب الغريبين ص ٢٠١٩.

٦٣. سورة يوسف ٨٢.

٦٤. في يتكون.

٦٥. الغريبين ص٥٨٢، الخبر في غريب الحديث لابن الجوزي، وذكره ابن الأثير في النهاية ج٢، ص٦٢، ولسان العرب"خلص".

٦٦. في ديوان الأدب ج١، ص٤٥٠: الخُلاصة ما خلّص من السّمن.

٦٧. قولهم: «لا أدري أي الجراد عاره» مثل أي ما أدري من أهلكه ومن دهاه، وأتى إليه ما يكرهه. مجمع الامثال ج٢، ص٢٢٦.

٦٨. قولهم: "لا أدري أي الجراد عاره " مثل أي ما أدري من أهلكه ومن دهاه، وأتى إليه ما يكرهه. مجمع الامثال ج٢، ص٢٢٦.

٦٩. المصدر نفسه.

٧٠. الصحاح مادة «سود» والبيت ي ديوان الأعشيين ١٢٤ وقد شرح الأساود الجماعة من الناس الكثير؛ الأساود وأسودة.

٧١. ينظر اعتراضه على جمع معرو على عراة في المقامة التاسعة والثلاثين.

٧٢. شرح المقامات ج٣، ص١٠وبعدها أبيات من الشعر.

٧٣. الحديث في صحيح مسلم رقمه ٢٤٦، سنن ابن ماجة ج٢، ص١٠٩.

٧٤. البيت للأعشى كما في لسان العرب"قبل" وتاج

العروس «قبل» وديوانه ص ٢٢٥.

القبيل والقَبول: القابلة.

٧٥. ينظر: نقد الشعرص١٢٤-١٢٥ ومقدمة بوينابكر في مقدمتـه لكتـاب نقد الشـعر ص٤١، تاريـخ النقد الأدبي عند العرب/ احسان عباس ٢٠٢، محاضرات في تاريخ النقد عند العرب/ ابتسام مرهون، ناصر حلاوي ص ٣٠٨.

٧٦. من ديوان جريرج٢، ص١٢٥.

٧٧. من بيت لامرىء القيس في ديوانه ص١١٠.

٧٨. المثـل السـائر٤/٧، وينظـر في هـذا تفصيـلات الـضرورة الشـعرية في كتاب: لغة الشـعر، دراسـة في الضرورة الشـعرية محمد حماسـة عبـد اللطيف. دار الشروق القاهرة ١٩٩٦/ ١٤١٦.

٧٩. ديوان الفرزدق ج٢، ص٥٧٠.

٨٠. ديوانه ج١، ص٢٩٢.

٨١. تخريج البيتين وقول ابن الخشاب في الاستدراكات «تحقيقنا»: المقامة الأولى.

٨٢. سورة الأحزاب ٦٧ الاحزاب ١٠.

٨٣. سـورة النجم٤، وقال بعدهـا: وزادوا ألفا، فيكون المعنـى أي زاد النـاس في مثـل قولـه تعـالى: وتظنون باللـه الظنونا، وإلاّ يكون صوابـه: «فزيدت» على البناء للمجهول إن كان القصد الله سبحانه وتعالى.

٨٤. سورة الفجر٤-٦.

٨٥. سورة الفجر١٥.

٨٦. سورة الفجر ١٦.

٨٧. البيـت مـن شـواهد الكتاب ونسـبه للأعشى ج ٣، ص٥١٣ وهـو في ديوانـه ١٤ وبعـده في الجـزء الرابـع ص١٨٧.

ومن شانني كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

والبيتان شـاهدان على حذف الياء في الوقف من يأتيني وأنكرني.

٨٨. المقامة الثانية.

٨٩. المقامة السابعة.

٩٠. نقـل الأزهـري في تهذيب اللغة عـن ثعلب عن ابن الأعرابي: الحي: الحق، واللي الباطل، ومنه قولهم هو لا يعرف الحي من اللي، وكذلك الحو من اللّو في المعنيين. يضرب المثل للأحمق الذي لا يعرف شيئا.

٩١. قولهم في المثل: ما يعرف هرا من بر. قيل معناه :لا يعـرف من يهثره أي يكرهه ممـن يبره. مجمع الأمثال اللغة ،ج ٢/ ص٢٢٦.

٩٢. شرح مقامات الحريري للشريشي، ج٣/ص٦.

٩٣. جاء في اللسـان: أراه لمحا باصرا أي نظرا بتحديق، ولقي منه لمحا باصرا أي أمرا واضحا. وقال الليث: رأى فلان لمحا باصرا أي أمرا مفروغا منه.

٩٤. كشف الظنون ج١، ص١٧٤.

٩٥. جريدة القصر، قسم شعراء العراق، تحقيق محمد بهجت الأثري، ص ٦١.

٩٦. فـن المقامـات في الأدب العربـي، الطبعـة الثانية ص٥٣٦.

٩٧. موقـع صيـد الفوائـد: نقد ابن الخشـاب لمقامات الحريري الأدبية .

Muqamat Al-Hariri between perceptions, criticism and victory Countenances In a circle of critique the criticism

Prof. Dr. Ibtisam Marhoon Al-Saffar

Abstract

This research deals with a number of terms in the books of ancient Arab heritage hovering around the modern monetary term (critique the criticism), Is dependent on the terminology of what was written about the Muqamat Al-Hariri by some of the old scholars, most notably (Ibn Al-Khashab) Who received a message about the Muqamat did not identify himself, therefore named after more than one name. Many replies have been placed on that letter, Perhaps the most famous one made by (Ibn Bari).

And analysis of perceptions to Ibn Al-Khashab, Replies of Ibn Bari We find the accuracy of the Respectful scientists and their desire to stand on the right and alert the error or to exceed what the Arabs said, And what scientists approved. Both of them known his ability to follow the writings of others and respond to them, or comment and objection. This makes their criticism efforts close to the term (critique the criticism), which is discussed in modern criticism studies.

شذرات من التأريخ الاجتماعي في كتابين من كتب الحسبة

أ.د. علي عبد الحسين زوين*

التعريف بالتاريخ الاجتماعي وأهميته:

التاريخ الاجتماعي فرع مستحدث من فروع علم التاريخ يعنى بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ولاسيما تاريخ العلاقات والمنظمات الاجتماعية، ويطلق عليه من حيث التسمية والاصطلاح«Social history» ويعتمد على أسس يمكن توضيحها من خلال الملاحظات الآتية:

١. التاريخ الاجتماعي في مفهومه القديم كان يعنى بعادات الشعوب وتقاليدها وأخلاقها.

٢. التاريخ الاجتماعي في مفهومه المعاصر يهتم بتاريخ العلاقات والمنظمات الاجتماعية التي ينتمي إليها الأفراد .

٣. ارتبط التأريخ الاجتماعي في مفهومه المعاصر بالتاريخ الاقتصادي، وقد علق على ذلك «دنكن» قائلاً: «ارتبط التاريخ الاجتماعي بالتاريخ الاقتصادي ذلك الموضوع الذي يدرس أسباب ونتائج التغير الاقتصادي وما يتركه من آثار على الحياة الاجتماعية ومنظماتها والتي تتسم بالفوائد أو المضار الاقتصادية. ويمكن القول إن التاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي مكمل أحدهما للآخر طالما أن المواضيع التي يتخصصان بها مترابطة ومكملة الواحدة للأخرى، وفي بعض الأحيان لا يمكن فهم أحد المواضيع دون التطرق الى المواضيع الأخرى».(١)



* الجامعة المستنصرية/ مركز الدراسات العربية والدولية

٤. التاريخ الاجتماعي يحتاج الى المزيد من البحوث والدراسات والطرائق العلمية التي تساعده في أن يصبح موضوعاً مستقلاً بنفسه .

٥. يفتقر التاريخ الاجتماعي الى الكُتّاب والمتخصصين في أغلب الأقطار.

٦. لايهتم علماء الاجتماع بدراسة التأريخ الاجتماعي والتخصص فيه لاهتمامهم بدراسة حاضر المجتمع دون ماضيه.

والعلاقة بين التاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي علاقة سببية بمعنى أن وسائل الانتاج وطرائق توزيع الثروات تعد من العوامل المهمة المؤثرة في سير التاريخ «فالثروة الطبيعية لأي دولة من الدول هي التي تحدد شكل الإنتاج الزراعي والصناعي والتبادل التجاري، وكذلك فإن طريقة توزيع الثروة ومدى تركزها بيد طبقة معينة أو بين فئات مختلفة يؤثر في السياسة الداخلية للدولة ويؤثر في نظام الحكم فيها وفي مستوى الرخاء أو الفقر، وفي حياة الناس وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، كذلك تؤثر الظروف الاقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي سواء أكان ذلك على الصعيد الاقتصادي أم السياسي أم العسكري، وتؤثر الظروف الاقتصادية في مجرى التاريخ للدول».[٢]

وللتاريخ الاجتماعي علاقة ترابط أيضاً بعلم الاجتماع على الرغم من عدم اهتمام علماء الاجتماع بدراسته وله علاقة بمجمل علم التاريخ لأنه «يهتم اهتماماً كبيراً بالأفعال والعلاقات الإنسانية ويدرس المجتمع وبناءه ووظائفه وعملياته. وهذه تدخل أيضاً ضمن اهتمامات المؤرخ وهكذا فإن العلاقة وثيقة جداً بين علم الاجتماع والتاريخ». [٣]

وللانثروبولوجي ولاسيما الحضاري صلة بدراسة التاريخ وبخاصة التاريخ الاجتماعي لأنه «يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري وانتشار بني الإنسان على سطح الأرض ونشوء الثقافات الانسانية كما يدرس مؤسسات المجتمعات الأولى وأديانها وفنونها وطقوسها وشعائرها وقيمها ونظرتها الى الحياة وتقاليدها».[٤]

فالتاريخ الاجتماعي يتناول في أحد جوانبه العلاقات الاجتماعية ماضيها وحاضرها ومعرفة الطبقات الدنيا الشعبية لمجتمع ما،

تلـك الطبقات التــي تجاهلتها أغلــب المصادر والوثائــق التي اتخذهــا المؤرخ دليــلاً في فهم الحــوادث التاريخيــة وتحليلهــا والاســتنتاج منهــا . قال لــين وايت مبيناً قصــور المؤرخين في هذا الشــأن: «أخذ المؤرخون في العهد الأخير يتنبهــون الى مبلــغ تقيدهــم الكبــير بالوثائق التاريخيــة؛ فالمصــادر المكتوبة التــي اعتمدوا عليهــا فيمــا مــضى- إلاّ في القليل النــادر- قد نشــأت في الطبقات العليا، وهي تمثل المصالح والأمور التي يعنيهم التحدث عنها».[٥]

وتظهــر أهميــة البحــث في تاريــخ الطبقــات الشــعبية، المنســية من خــلال مــا تركته تلك الطبقات مــن أصالة الفكر والإبــداع والفنون والآداب في مجمــل الحضــارة الإنســانية، وقد أطلــق لين وايت مصطلح «مــا تحت التاريخ» على هــذا المنحى مــن الدراســة، ونقتبس منه بعض الجمل والفقرات لبيان أهمية الموضوع كما يأتي:

«هنــاك موضوع واســع يصح أن نســميه بـــ (ما تحــت التاريخ)، يشــبه موضــوع ما قبل التاريخ، ومن الواجب أن نعنى به إذا أردنا أن نكتــب تاريخاً للبشرية كلهــا لا تاريخ الطبقة الارستقراطية فقط».[٦]

« لقــد كان لهــؤلاء الذين لم يذكرهــم التاريخ نصيــب كبير مــن أصالة الفكر وقــوة الإبداع، وإن التغيرات التي حدثت فيما نسميه بالفنون الرفيعــة والآداب هــي معظمهــا- إن لم تكن كلها- ناتجة عن تهذيب الفن الشــعبي والأدب الشفوي لعامة الناس».[٧]

«عندمــا يتعمق الباحــث في موضوع (ما تحت التاريــخ) يجد بعض العلاقــات التي كان لها تأثير هائل في حضــارة البشر الراقية ولكن لم يسجلها التاريخ». [٨]

ويتلخــص ممــا تقــدم ذكــره أن التاريــخ الاجتماعــي لشــعب مــن الشــعوب أو لحقبة مــن حقــب التاريخ يعنــى بعادات الشــعوب وتقاليدهــا وأخلاقهــا، وبتاريــخ العلاقــات والمنظمات الاجتماعية التي ينتمي إليها الأفراد؛ ويرتبط بالتاريخ الاقتصادي من حيث أسباب التغــير الاقتصــادي ونتائجــه ومــا تتركه من آثار عــلى الحياة الاجتماعيــة ومنظماتها التي تتسم بالفوائد أو المضار الاقتصادية. ويستمد مادتــه من التاريخ الحضــاري وعلم الاجتماع والانثروبولوجــي ويهتــم بتاريــخ الطبقــات

الدنيا الشعبية التي أسهمت في الآداب والفنون والعلوم وتجاهلها أغلب المؤرخين.

لقد تبيّن لي من خلال قراءتي لكتابين من كتب الحسبة ما يصلح أن يكون رافداً يعتد به من روافد التاريخ الاجتماعي في التراث الاسلامي. وهذان الكتابان هما: نهاية الرتبة في طلب الحِسْبة لأبي عبد الرحمن بن نصر الشيزري، ومعالم القُرُبَة في أحكام الحسبة لمحمد بن أحمد القرشي المعروف بأبن الأُخوّة .

وقد وجدت في هذين الكتابين شذرات من المعالم والأخبار في هذا الشأن. وأما السبب الموجب لاختيار هذين الكتابين دون غيرهما من مصادر الحسبة على قلتها فلأهميتهما إذ يعد كتاب الشيزري أصلاً لما كتب وألف في هذا الفن وما تبعه عيال عليه، وما كتاب ابن الأخوة إلا نسخة منقحة ومزيدة من كتاب الشيزري.

وقسمت المادة التي تهيأت لي من الكتابين على موضوعات أدرجتها على النحو الآتي:

١- الحوانيت: تفقد المحتسب للحوانيت المنفردة مرة في كل أسبوع . قال الشيزري: « ... ويتفقد المحتسب أصحاب الحوانيت المنفردة في الحارات والدروب الخارجية عن الأسواق، ويعتبر عليهم بضائعهم وموازينهم في كل أسبوع على حين غفلة منهم؛ فإن أكثرهم يدلّس بما ذكرناه».[٩]

٢- اختبار المذبوحة والمَيْتة من الحيوان المأكول اللحم واختبار البيض السالم من الفاسد. قال الشيزري: «وإذا شك المحتسب في الحيوان هل هو ميتة أو مذبوح ألقاه في الماء، فإن رسب فهو مذبوح وإن لم يرسب فهو ميتة، وكذلك البيض إذا طرح في الماء فما كان مَذِراً (فاسداً) فهو يطفو، وما كان صحيحاً فهو يرسب».[١٠]

٣- ما يجب على القصاب أن يفعله بعد الفراغ من البيع: قال الشيزري: «وإذا فرغ القصاب من البيع وأراد الانصراف أخذ ملحاً مسحوقاً ونثره على القرمية (قطعة من الخشب يقطع عليها اللحم) التي يقصب عليها اللحم لئلا تلحسها الكلاب أو يدبّ عليها شيء من هوام الأرض، فإن لم يجد ملحاً فالأُشنان المسحوق يقوم مقامه»[١١]

٤-البيتوني: الخبز البيتوني هو ما يؤكل في البيت من الخبز، ويقتضي ذلك أنه يخبز في البيت خلافاً للخبز السوقي الذي يخبزه الخباز ويشترى من السوق .

قال ابن الأخوة: «ويؤخذ على طحّاني القمح البيتوني لمن يأكل في بيته، فإن أكثر الناس يفعلون ذلك ولا تميل أنفسهم الى أكل الخبز السوقي لأجل ما يحترزون عليه في البيوت ويباشرونه بأنفسهم».[١٢]

٥- كانوا يأخذون القمح في قُفَف الى الطحّان ليطحنه وعلى الطحان أن يكتب على كل قفة اسم صاحبها لئلا تختلط بغيرها.

قال ابن الأخوة: «وأن يكتب (أي الطحّان) على كل قُفّة اسم صاحبها ومكانه في يقطينه ؟ «لعلها: في قِطّه» ويعلّقها في أذن القُفّة حتى لا تختلط».[١٣]

٦-حَمْل السمك من بلد الى بلد وخزنه في المخازن. قال الشيزري: « .. وأما السمك الذي يحمل الى البلاد أو يُكسَد في المخازن فلا تُقشّر فلوسه ولكن يوثق بالملح».[١٤]

٧-خَتْم قِدْر الهريسة بخاتم المحتسب.

قال الشيزري: «ثم ينزل أي اللحم» في القِدْر بحضرة العريف (من أعوان المحتسب ويأتمر بأمره) ثم يختم بخاتم المحتسب، فإذا كان وقت السحر حضر العريف وكسر الخاتم وهرسوها بحضرة العريف لئلا يشيلوا اللحم منها ويعيدوه إليها من الغد، فأكثرهم يفعل ذلك إذا لم يختم عليه القدر».[١٥]

٨-نثر الملح والسُّمّاق على الرؤوس والأكارع .

قال الشيزري: «ويكون عنده (أي عند بائع الرؤوس) المِلْح والسمّاق مسحوقين لينثره عليها بعد البيع».[١٦]

٩-رشّ الشّواء المرضوض أي المدقوق من اللحم بالماء والملح وماء الليمون .

قال الشيزري: «وأما باعة الشواء المرضوض، فمنهم من يضع الماء والملح في قدح عنده ويضع عليه قليلاً من ماء الليمون ثم يفرقه على المشترين عند رضّ الشواء ويرشه عليه».[١٧]

١٠- وضع علامات على لحم المعز لتمييزه عن غيره، وهو ما كان يفرضه المحتسب على القصّابين لكي لا يبيعوا لحوم المعز على أنها لحوم ضأن.

قال الشيزري: «ويأمرهم (أي المحتسب) أن يفردوا لحوم المعز عن لحوم الضأن ولا يخلطوا بعضها ببعض؛ وينقطوا لحوم المعز بالزعفران لتتميز عن غيرها، وتكون أذناب المعز معلقة على لحومها الى آخر البيع».[١٨]

١١- وضع الفرّانين وهم الخبازون علامة على الخبز لكي لا يختلط خبز الناس بعضه ببعض.

قال الشيزري: «وإذا كثرت عنده (أي الفرّان) أطباق العجين للناس أخرج خبز كل واحد منهم بعلامة يتميز بها على غيره لئلا يختلط الجميع فلا يعرف».[١٩]

١٢- رشّ الخبز بالأبازير أي التوابل.

قال الشيزري: «وينبغي لهم (أي للخبازين) أن ينشروا على وجهه (أي الخبز) الأبازير الطيبة الصالحة له، مثل الكمّون الأبيض والشوُّنيز والسمسم والمصطكى ونحو ذلك» .[٢٠]

١٣- ومن أنواع الحلوى المعروفة عند الناس في الأمصار ولاسيما الكبرى منها كبغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وغيرها:[٢١] المقّرضة السكب، والصابونية «نوع من الحلوى تصنع من الدقيق المحّمص بالسمسم ثم يضاف إليه السكر واللبن ويعمل منه قوالب مثل الصابون»، والوزيرية، والخشخاشية وتسمى الخُشْكنَان أو الخشخاش أيضاً، والفستقية، وخَبِيصة اليقطين «تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج يضاف إليه بعد الطبخ وترفع عن النار لتجمد»، والقاهرية، والمُشّبك «يعرف في العراق بالزّلابية»، والقطائف، والعاصدية، ورأس العصفور، وساق الخادم، وزَلابية إفرنجية، وكعك تركي، وعاضدية، ولقيمات القاضي، وخدود الترك، وخدود الأغاني، وأسيوطية، ووردية مكشوفة، وكبابية، وهريسة الدجاج، وهريسة الورد ... الخ.

١٤- وعلى الشرابيّين معاودة الأشربة في أول كل شهر، والشرابيون هم صُنّاع الأشربة وهي الأدوية السائلة على اختلافها، مفردها شَرابِيٌّ .

قال الشيزري: « وينبغي أن يعتبر(المحتسب) عليهم الأشربة في رأس كل شهر، فما وجد فيها حامضاً لتطاول المُدّة عليه ومتغيراً فليس لصاحبه أن يعيده الى الطبخ ثانياً لفساد مزاجها وانحراف طبعها، سوى شراب الورد وشراب البنفسج، فإن تغيرهما يكون سريعاً وردهما الى الطبخ يزيدهما قوة وبقاء ونفعاً للمعدة».[٢٢]

وكثرت الأشربة في ذلك الزمان حتى زادت على السبعين اسماً كما ذكر ابن الأخوة، ومن أشهرها: [٢٣] شراب الجُلاّب وهو «السكر إذا

عقـد بوزنه وأكثر بماء الورد»وشراب اللّينُوفَر وهو «نبت مائي يعرف بمصر بعرائس النيل، يسـتعمل لقطـع الحُمّى والقـروح»، وشراب الورد العطري وشراب التفاح السـاذج وشراب التفـاح المخصـب، وشراب الليمـون السـائل، وشراب الليمـون المسـتوي، وشراب الليمـون المرمـل، وشراب السّـكَنْجَبيل السـاذج «وهـو شراب يتخـذ مـن العسـل والخـل»، وشراب الإجّاص، وشراب السـفرجل الممسـك، وشراب الرمان، وشراب الصنـدل الأبيض، و«الصندل شـجر بالصين يشبه شـجر الجوز»، وشراب الدينـار وشراب العـود وشراب التمـر هنـدي وشراب لسـان الحَمَـل وشراب العُنّاب وشراب الخشـخاش وشراب الآس وشراب الهليـون وشراب كزبرة البـير وشراب النرجس وشراب الخوخ وشراب الراوند ... الخ .

١٥- واشتهرت نساء بغداد باتخاذ أخفاف لها صَرٌّ عند المشي، وهو أمر مذموم لأنه يسـترعي الانتبـاه ولذلك كان على الأسـاكفة ألاّ يصنعوا أخفافاً لها هذه الصفة.

قـال الشـيزري: «ولا يعملـون الـورق واللبد وأشـباهه في أخفاف النسوان لكي لا تَصُرّ عند المشي كما تفعله نساء بغداد فإنه قبيح وشهوة لا تليق للأحرار».[٢٤]

١٦- وكان عـلى الصبّاغـين أن يكتبوا أسـماء الناس على الثياب .

قال الشـيزري: «وينبغـي أن يكتبوا على ثياب النـاس أسـماءهم بالحـبر لئـلا يتبـدل منها شيء»[٢٥]

١٧-إعارة الصبّاغين ثياب الناس .

قـال ابن الأخـوة: «وأكثر الصباغـين يرهنون أقمشـة الناس ويعيرونها لمن يلبسـها ويتزيّن بها».[٢٦]

١٨-حـذق الفصّادين في حلـب. والفصّاد من يفصد العِرْق في بدن الانسان للعلاج.

قال الشيزري: «ولم أرَ في صناعة الفّصْد أحذق من رجلـين رأيتهما بمدينة حلـب، افتخر كل واحد منهما على صاحبه بالحذق؛ فأما أحدهما فإنـه لبس غلالة وشـدَّ يده من فـوق الغلالة وانغمـس في بِرْكة ثم فصد يده في قاع الماء من فوق الغلالة، وأما الآخر فمسك المبضع بإبهام رجله اليسرى ثم فصد يده».[٢٧]

١٩- وعلى الأساكفة أن لا يُخلّوا بالمواعيد.

قال الشيزري: «ولا يمطلون أحداً بمتاعه إلاّ أن

يشرطـوا لصاحبه الى يـوم معلوم، فإن الناس يتضرّرون بالتردد إليهم».[٢٨]

٢٠-حفظ حرمة النسـاء على أبواب الحوانيت، ومنها حوانيت القطّانين.

قال الشيزري: «وينهاهم المحتسب أن يُجْلسوا النسـوان على أبـواب حوانيتهـم لانتظار فراغ الندف وينهاهم عن الحديث معهنّ».[٢٩]

٢١- ومـن الدنانـير والدراهـم المعروفـة قديمـاً:[٣٠]

الدنانير المصرية، وهـي «الدنانير التي ضربت في عهد الفاطميين الأوائل»، والدنانير الصُّورية، وهـي « الدنانـير التي اسـتعملها أهل الشـام والعـراق في معاملاتهم منذ أيـام الفاطميين، وكان ضربهـا بمدينـة صـور بالشـام، ولـذا نسـبت إليها. ثم سـقطت تلك المدينة في أيدي الفاطميين سـنة (٥١٨ هـ) ولم يبطل ضرب الدنانـير الصورية فيها إلا بعـد وفاة الخليفة الآمر الفاطمي وظلت متداولة بين المسلمين مدة طويلة ونقشت صور ملوكها على وجوهها».

ومنهـا: الدراهم الأحديـة، ولعل المقصود بتلك التسـمية الدراهم التـي ضربهـا الحجاج بن يوسـف في العـراق بأمر عبد الملـك بن مروان إذ المعـروف أنه نقش عليها «قل هو الله احد» ونهى عن أن يضرب أحد غيرها.

والدراهم القروية، وقد «سـاد اسـتعمال هذه الدراهـم في السـند والملتـان مـن بـلاد الهند واختلطت بالدراهم القاهرية والقهرية».

والدينار السـابوري، نسـبة الى مدينة سابور بفارس وهي مدينة أسسـها سابور من ملوك الفرس وكانت فيها دار لضرب النقود.

والقراطيس الإفرنجية، وهي عملة فضية كان الصليبيون يتعاملون بها في الشام.

٢٢- وكان التعامـل في البيـع والـشراء فيمـا يوزن بـأوزان لها أسـماء ومقاديـر مختلفة، وقد تباينت مقاديرها بين إقليم وآخر، وأشـار ابـن الأخوة الى ذلك قائـلاً: «وقد اصطلح أهل كل إقليـم عـلى أرطـال تتفاضـل في الزيـادة والنقصان»[٣١]،

ومـن أشـهر الأسـماء التـي اطلقت على الأوزان ما يأتي[٣٢]:

القِنْطار= ألـف ومائتي أُوقّيـة. ألف ومائتي مثقال. مـلء مسـك ثـورٍ «أي جلده»ذهباً أو فضـة. ألف دينار. اثني عشر ألف درهم. مائة رطل «وهو المتعارف بين الناس».

الرطل = اثنتي عشر أوقية.

الأُوقِيّة = اثني عشر درهماً.

الرطل الحجازي = مائة وعشرين درهماً.

الرطل المصري = مائة وأربعة وأربعين درهماً.

الرطل البغدادي = مائة وثلاثين درهماً.

الرطل الدمشقي = ستمائة درهم.

الرطل الحموي = ستمائة وستين درهماً.

الرطل الحلبي = سبعمائة وعشرين درهماً.

الرطل الحِمْصي = سبعمائة وأربعة وتسعين درهماً.

الرطل الحرّاني = سبعمائة وعشرين درهماً.

الرطل الغزّاوي = سبعمائة وعشرين درهماً.

الرطل القدسي أو الخليلي أو النابلسي = ثمانمائة درهم.

وينبغي ان نشير الى أن كلمة درهم المذكورة في مقابل الرطل والأوقية فيما تقدم يراد بها وزن الدرهم لا العملة. وذكر ابن الأخوة تفاوت مقادير الأرطال بين بلدة وأخرى، وبيّن نسبة الأوقيّة من الرطل قائلاً: « ... ولم أسمع أن بلدة وافق رطلها لبلدة أخرى إلا نادراً، أو قرية لقرية لا يؤبه بهما. والأوقية من نسبة رطلها جزء من أثني عشر جزءا».[٣٣]

٢٣- ومن الأوزان الخفيفة:

المثقال وهو درهم ودانقان ونصف، أو هو أربع وعشرون قِيراطاً. والدانق سدس الدرهم في الوزن.

اما القيراط فهو ثلاث حبّات وأربعة أسباع حبة، والمثقال خمس وثمانون حبة وخمسة أسباع حبّة من حبوب الخردل البري المعتدل.[٣٤]

٢٤- ومن أقيسة الطول الأذرع وأنواعها ولها أسماء مختلفة شاعت في الأمصار الإسلامية، وأهمها ما يأتي:[٣٥]

قال ابن الأخوة: «الأذرع سبع: أقصرها القصبة ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الكبرى وهي الزيادية ثم العمرية ثم الميزانية».

القَصَبة = «تسمى ذراع الدُّور، وهي أقل من ذراع السواد بإصبع وثلثي إصبع. وأول من وضعها ابن أبي ليلى القاضي».

اليوسفية = «وهي التي يذرع بها القضاة الدور بمدينة السلام «١٨٢هـ»، وهي أقل من ذراع السواد بثلثي إصبع، وأول من وضعها القاضي أبو يوسف».

السوداء = «وأما ذراع السوداء فهي أطول

بإصبـع وثلثـي إصبـع، وأول مـن وضعهـا الرشـيد وقدّرْهـا بذراع خادم أسـود كان على رأسـه، وهي التي يتعامل بهـا الناس في ذراع البر والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر» .

الهاشـمية الصغرى= «وأما الذراع الهاشـمية الصغرى وهي الثالثـة فهي أطول من الذراع، إنه ذراعٌ جَدّهُ أبو موسى الأشعري وهي أنقص مـن الزيادية بثلاثة أرباع عـشر، وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة».

الهاشمية الكبرى = هي «ذراع الملك، وأول من نقلها الى الهاشـمية المنصـور، وهي أطول من ذراع السـوداء بخمس أصابـع وثلثي إصبع، أو تنقـص عنها الهاشـمية الصغـرى بثلاثة أرباع عُشْرها. وسـميت زيادية لأن زياداً مسح بهـا أرض السـواد، وهي التي يـذرع بها أهل الأهواز» .

الذراع العمري = «وهي ذراع عمر بن الخطاب «رض» التـي مسـح بها أرض السـواد، وهي ذراع وقبضـة وإبهام قائمـة». قال الحكم «ت ٣٢ هـ»: « إن عمر عمـد الى أطولها وأقصرها فجمع منها ثلاثة وأخذ الثلث منها وزاد عليها قبضة وإبهاماً قائماً وختم طرفيها بالرصاص وبعـث بها الى حذيفة وعثمـان بن حنيف «ت بعـد ٤١هـ» حتى مسـحا بها أرض السـواد. وكان أول من مسح بها بعده عمر بن هبيرة».

الـذراع الميزانيـة = «يكـون بالذراع السـوداء ذراعـاً وثلثـي ذراع وثلثي إصبـع . وأول مَنْ وضعها المأمون، وهي التي يتعامل بها الناس في ذراع البريـد والكُوَر والسـوق وكذا الأنهار والحفائر» .

الهوامش

١- معجم علم الاجتماع: ص ٢٨٨ .

٢- عبد الواحد ذنون: أصول البحث التاريخي: ص٤٠.

٣- أصول البحث التاريخي: ص ٤١.

٤- أصول البحث التاريخي : ص ٤١.

٥- التاريـخ: الماضي المتغير «مجمـوع آفاق المعرفة»:

ص ١٢٩.

٦- التاريخ: الماضي المتغير: ص١٢٩-١٣٠.

٧- التاريخ : الماضي المتغير: ص١٣٠.

٨- التاريخ : الماضي المتغير: ص ١٣٢.

٩- نهاية الرتبة: ص ٦٠.

١٠- نهاية الرتبة: ٢٨.

١١- نهاية الرتبة: ص ٢٨. الأُشنان: شجر ينبت في الأرض الرملية، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي، الإفصاح في فقه اللغة: ص ٣٨٧.

١٢- معالم القربة: ص ١٥٣.

١٣- معالم القربة: ص ١٥٣. القُفّة: ما يتخذ من خوص كهيئة القَرْعَة تضع فيه المرأة القطن ونحوه، الجمع: قُفَفٌ. الإفصاح: ص ٥٨١. «القِطّ : كتاب المحاسبة والصّكّ. الجمع: قُطوط». الإفصاح: ص ٢٢٤.

١٤- نهاية الرتبة: ص ٣٣.

١٥- نهاية الرتبة: ص ٣٦ .

١٦- نهاية الرتبة: ص ٣٢.

١٧- نهاية الرتبة: ص٣١.

١٨- نهاية الرتبة: ص ٢٨.

١٩- نهاية الرتبة: ص ٢٤.

٢٠- نهاية الرتبة: ص ٢٣.

٢١- ينظر: معالم القربة: ص ١٨١، ١٨٢.

٢٢- نهاية الرتبة: ص ٥٧.

٢٣- ينظر: معالم القربة: ص ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩.

٢٤- نهاية الرتبة: ص٧٣ . الخُفّ: «ما يُلبس في الرَّجْل من جلد رقيق . الجمع: أخفاف وخِفاف». الإفصاح: ص٣٩٣. واللَّبْد: «ما يتلبّد من شعر أو صوف». المصباح المنير: ص ٥٤٨. (نشر المكتبة العلمية- بيروت د.ت).

٢٥- نهاية الرتبة : ص ٧٢. وينظر: معالم القربة: ص ٢٢٤.

٢٦- معالم القربة: ص ٢٢٤.

٢٧- نهاية الرتبة: ص ٩١.

٢٨- نهاية الرتبة: ص ٧٣.

٢٩- نهاية الرتبة: ص ٧٢.

٣٠- ينظر: نهاية الرتبة: ص ٧٤، ٧٥ . وهوامش المحقق فيهما .

٣١- معالم القربة: ص ١٣٧.

٣٢- ينظر: معالم القربة:ص ١٣٨،١٣٧، ١٣٩.

٣٣- معالم القربة: ص١٤٠.

٣٤- ينظر: معالم القربة: ص١٤١.

٣٥- ينظر: معالم القربة : ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.



Nuggets of social history in two books of recompense

Prof.Dr. Ali Abdul Hussain Zwain

Abstract

The researcher deals with the definition of social history and its importance as it is an innovative science branch of the history and its connection to a people or a period of history, highlighting the customs, traditions and ethics, Its association with the history of social relations and organizations to which individuals belong; And the connection of social history to economic history in terms of the causes, consequences and impact of economic change on social life and its organizations that enjoy economic benefits or disadvantages. And derives its material in all of the history of civilization and sociology and anthropology as well as interested in the history of the lower classes of the people that contributed to the arts and sciences and ignored by most historians.

Through my reading of two books of recompense, I have discovered what is supposed to be a significant tributary of social history in the Islamic heritage. These two books are: Nihayat Alrutba Fi Talab Al-Hisba To I›abi Eabd Al-Ruhmin Bin Nasr Al-Shiyzari, And Maealim Al-Quruba Fi ‹Ahkam Al-Hasba To Muhamad Bin ‹Ahmad Al-Qurshii known as bi›abn al›ukhww.



الملــف ..

دراسات في
التراث العراقي القديم وتاريخه





* هذا الملف :

عدت حضارة (وادي الرافدين) واحدة من أقدم حضارات الإنسـانية ، تلك التي أرسى إنسـانها قيمه ومعتقداته وآدابه وفنونه التي بقيت تمتاح لتغنى وتتسـع وتزداد من ذلـك التزاحم البشري الذي تلامس وجوده وفعله وثقافته مع تراب هذه الأرض وتغلغل بين مساماتها ، لتتنفسه أجيال تلي أجيال.

ولعل الحديث سـيكون معاداً مكروراً حين نشـير إلى التكوينـات البشرية التي حفرت اسـمها ومراحل وجودها على أرض العراق ، وما تهيأ لبعضها أن تنجزه من ممارسات أخذ ت مسـيرة الإنسـانية باتجاه نقلات نوعيـة حقيقية نحو التطـور المعرفي والنماء العقلي والثقافي ، فوضعتها على مسـار إقامة حضارات مشـهودة كان لها فيها الريادة بابتكار الكتابة والحرف والتدوين ، والتأسـيس المتيقن لكثير من المعارف والعلوم ، بما أبقـى ذكرها خالـداً ، وحضارتها ـ طبقاً لما تخيّره أحد الباحثين الغربيين عنواناً لكتابه ـ (نوراً لا يخبو).

لقد سـعينا أن نضمن هذا العدد من (المورد) ملفاً خاصاً عن تاريخ العراق القديم ومنجز إنسـانه الحضاري ، مسـتذكرين ـ ومذكّرين ـ ما كان لهذه الأرض من متحقق حضاري مشـهود ، وما انتابها من وقائع صنعت تاريخها السـياسي والثقافي الخاص . مجاورين ذلك بما انجزه الدرس المعرفي المعاصر من قراءات تناولت علوم تلك الحضارة وآدابها وما اندس في ترابها من شـواخص آثارية باقية وضعت عنها دراسـات معمقة، وبأقـلام باحثـين ومؤرخين وعلماء آثار قـرأوا تراثها الأدبي والعلمـي وأعادوا تدوينه، موثّقـين ما كان لأهـل أرض الرافدين القدامـى من إنجاز معرفي وجمـالي مؤكد العمق والخصوصية والارتقاء الذهني بعيد المدى .



تناول الأدب العراقي القديم
في جهود الدارسين المحدثين

أ.د. علي حداد*

في البدء:

تتجسد في تراث العراق القديم جملة من الانجازات والتوصيفات التي جعلته جديراً بالاهتمام والاستعادة، بدءاً بأولية ذلك التراث وريادته لآفاق من الإنتاج المعرفي والثقافي الناضج، منسجمة مع قدمه التاريخي، وتقدمه على كثير من منجز الإنسانية التي عاصرته. وبذا فإن استعادة الحديث عنه إنما تحمل في طياتها اعترافاً بمكانة ذلك التراث واعتزازا بما تحقق فيه من توصلات قيمية وجمالية عالية.

وتتبدى نصاعة ذلك الانجاز الثقافي- في واحد من مجالات ما أعلن عنه- في الأدب ذلك الذي اشتغل على موضوعته كثير من الدارسين، ولاسيما أولئك المختصين بدراسة تاريخ العراق القديم، والباحثين في آثاره ومعالم حضارته.

ومع أن حديث الأدب عند كثير من أولئك الدارسين- عراقيين وأجانب- قد ورد في طيات تداولهم تاريخ بلاد الرافدين وما نشأ فيها من حضارات، فقد بدا بيّناً توقفهم عند مساحة طيبة من أمر المنجز الأدبي يدرسونها فيه بإمعان تفصيلي وتقصٍ ناضج.

لقد جاء مسعى الكتابة عن التراث الأدبي القديم عند معظم أولئك الدارسين من منطلق الرصد التاريخي لمنجز الإنسانية وتراثها الذي كان لأسلافنا الذين استوطنوا العراق حصة طيبة منه. ولعل مكنونات ما حققه ذلك التراث وما انماز به هو الذي أثار إعجاب كثير منهم، فشغلوا بها رصداً وتأملاً، وتوقفوا عندها بعيون من الدهشة والإعجاب.



*مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

أما عند الدارسين العراقيين فسينضاف إلى ما مر ذكره سبب له مسحة الانتماء الوطني، والانشداد المشتمل على الفخر بالانتساب إلى هذه الأرض، وتبني نزوع التواصل مع تراثها- والأدبي منه بخاصة- وذاك ما قاد بعض أولئك الدارسين إلى تخير (موضوعة) ما كان الدارسون من غير العراقيين قد استوقفتهم بالتوسع والاستفاضة، كما وجدنا الأمر في كتابات العراقيين. وكأن في ذلك استجابة نبيلة لما كان الأستاذ (طه باقر) الباحث الأبرز في مجال دراسة حضارة العراق القديم قد نادى به يوماً حين قال: «نحن العراقيين علينا أن نكتب تاريخنا بجهودنا وبالمنطق الذي نحمله». [١]

(١)

تتعدد المسميات التي تحملها الإجابات الذاهبة لتلبية السؤال: ما المقصود بالعراق القديم؟ إذ يستجلب ذلك ملاحقة متقصية للمراحل التاريخية التي استنبتت كل منها تسميتها الخاصة، متصلة بأطوار من الوقائع التاريخية التي محضتها توصيفاتها المائزة عما سيأتي بعدها. وهكذا فقد جرى تداول أكثر من تسمية، تستمد دلالتها من طبيعة المرحلة التاريخية التي ربما حددتها وثائق من (الرقم الطينية) التي خلفها أهل هذه المرحلة أو تلك، وهو ما يعني أن راهن تداول تلك التسميات متصل بما تهيأ لأبناء تلك المراحل من معرفة للكتابة والتدوين التي سنقف عند دورها الفاعل في تكريس تلك المسميات- ضمن ما أعلنت عنه من كشوفات حضارية- وهو ما يؤشر مساحة من الموثوقية في هذا الجانب، فضلاً عما يعنيه من انعدام المعلومات عن سكان العراق قبل تلك المراحل، واللجوء إلى شيء من الافتراض والتخمين الذي قد يأخذ جانباً غيبياً لا يركن إلى موثوقيته العلمية تماماً. [٢]

يمكن القول إن أقدم تلك التسميات هو ما وصفت به المنطقة الواقعة في أقصى جنوب العراق بأنها (بلاد سومر) ذلك المسمى الذي أطلق على أغلب الظن بحدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ومنذ أواخر عصور فجر السلالات [٣] لتأتي بعد ذلك، وفي حدود أواسط الألف الثالث قبل الميلاد تسمية المنطقة ذاتها بـ (بلاد أكد). [٤]

ومنذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد سيجري تداول تسمية (بلاد بابل) للدلالة على بلاد (سومر وأكد)، وهي التسمية التي تعني القسم الجنوبي

والوسطي من العراق بصورة عامة.[٥]

وبالمقابل فقد حظي القسم الشمالي من العراق القديم هو أيضاً بتسميات أخرى خاصة، فقد عرف في بادىء أمره باسم (بلاد سوبارتو)[٦] ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد وحين تم للأشوريين استيطان هذا الجزء من العراق فقد شاع استخدام مصطلح (بلاد أشور).[٧]

وحين تحقق للإغريق أن يرودوا هذه المنطقة فقد تخيروا لها تسمية بلاد مابين النهرين (ميزو بوتاميا)، وهم يقصدون بها الجزء الواقع بين دجلة والفرات حتى حدود بغداد جنوباً. [٨] وقد شاعت هذه التسمية لدى الكتاب اليونان منذ القرن الرابع قبل الميلاد. كما تبناها الرومان. ويبدو أن تلك التسمية مشتقة مما ورد في(التوراة) من تسمية للأراضي الواقعة بين الفرات والخابور، ثم شاع استخدام المصطلح للدلالة على العراق بصورة عامة وتبنته اللغات الأوربية الحديثة، بعد ترجمة التوراة إليها.[٩]

لقد أثارت تسمية العراق بـ (بلاد مابين النهرين) (ميزوبوتاميا) بعض الدارسين فأبدى تحفظه عليها، فرأى بعضهم أن هذا المسمى «غامض بحد ذاته».[١٠] ولعل الباحث العراقي البارز في دراسة تراث العراق القديم الأستاذ (طه باقر) كان من أشد الرافضين لتلك التسمية، منادياً بتسمية (بلاد الرافدين) عوضاً عنها، وهي التسمية التي تداولها في مؤلفاته كلها،[١١] ليتبنى ذلك معه معظم الدارسين العراقيين المحدثين.[١٢]

غير أن دارسين آخرين رأوا أن «استخدام مصطلح (العراق القديم) هو أقرب المصطلحات للواقع وأكثرها التصاقاً بتاريخ الحضارات التي قامت في هذا الجزء المهم من العالم».[١٣]

ومع أن أصل اشتقاق كلمة (العراق) وبداية استخدامها لازال موضع جدل الباحثين [١٤] فإن اسم العراق قديم، وقد جرى تداوله«منذ أواخر العصر الساساني ... وأطلق على الأقسام الجنوبية والوسطى من العراق»،[١٥] في حين أطلق مسمى (الجزيرة) للدلالة على الأراضي الواقعة بين النهرين حتى حدود بغداد جنوباً.

(٢)

تتجلى حركية الفعل الإنساني الذي يكتنف الأفراد والمجتمعات في بعدين دالين، يتنافذان ويتخلق أحدهما نامياً من خلال الآخر، الأول: (ثقافي)، حيث تشخص ممارسات وسلوكيات لها طبائع خاصة هي نتاج مماحكة الإنسان للمكان،

وما ينتج عن تكيفه فيه من (الثقافة) التي عرفت بأنها «ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الاجتماعية وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في جماعة».[١٦]

أما البعد الآخر فيتمثل بمستوى المتحقق (الحضاري) الذي بدت فيه تمثلات ذلك الوجود الثقافي وما طوره المجتمع في مجمل فعالياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعمرانية، إذ (الحضارة) هي «مختلف أنشطة الإنسان وسلوكياته تلك التي لا تعتبر أفعالاً انعكاسية فطرية أو غرائزية»[١٧] بل تشتمل على مظاهر متعددة، كـ«النظم والعادات والتقاليد القانونية والاجتماعية والفنون على اختلافها والصناعة وكل ما يجب على الإنسان أن يتعلمه من أفراد مجتمعه»[١٨] ويبدع فيه ويطوره نحو الأفضل.

وإذا ما بدا شيء من التداخل بين تجليات البعدين (الثقافي) و(الحضاري) ومساحة اشتغالهما، فلعلنا نستطيع التفريق بينهما من خلال القول إن لكل مجتمع محدداته (الثقافية) التي تميزه عن سواه، وربما يلتقي ببعض جوانبها مع غيره. في حين تستحيل (الحضارة) تعبيراً عن مستوى ما أرتقت إليه تلك الممارسات الثقافية، وأعلنت عن نفسها، ودعت غيرها- أو أجبرته بتفوقها- كي يمتاح منها. وعلى هذا فلكل مجتمع هوية ثقافية ينماز بها، ولكن قد لا يتوافر بعض تلك المجتمعات على ما يرتقى به منها إلى مصاف (الحضارة)، إذ هي«مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، تتجسد عبر إحراز التقدم في ميادين الحياة والعلاقات الاجتماعية، وفي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي التي تنتقل في المجتمع من جيل إلى جيل»،[١٩] بحيث تبدو أكثر تطوراً ورقياً عن سواها من الثقافات المحايثة لها، حتى أن تلك الثقافات لتتأثر بها وترنو إليها رغبة في مجاراتها.

يتحدث الباحثون في أمر نشوء الحضارات الإنسانية وتطورها عن نوعين منها، فيصفون الأولى بأنها (أصيلة) أو (أصلية)[٢٠] ويعدون الأخرى (فرعية) منها. فالأصيلة هي«تلك الحضارات التي نشأت من حياة بدائية بسيطة من دون احتكاك أو اتصال بشعوب أو أمم أخرى أكثر تمدناً أو حضارة[٢١]، ويعدون حضارة (بلاد الرافدين) على رأس تلك الحضارات الأصيلة أو الأصلية».

يشـير أحد الباحثين الغربيين المهتمين بتاريخ الحضـارات الإنسـانية الأولى إلى الأماكـن التـي استوطنها الإنسان القديم ومارس الزراعة فيهاـ بوصف الزراعة فاعلية اقتصادية أسست لمرحلة مهمة من تطور الحياة البشرية- فيذكر سفوح جبال زاجروس وفلسـطين، وجنوب الأناضول، والهلال الخصيب[٢٢] وهناـ طبقاً لرأيه- ظهرت إلى الوجـود أولى المجتمعات الزراعية . ولكن تلك المناطـق- على أهمية ما تحقـق فيها من تحول اقتصادي- لم تكن هي من أرهصت بالحضارة الإنسـانية الناضجـة الأولى، إذ «لـم تتطـور الحضارةـ بالمعنى الذي تسـتخدم فيه الكلمة- حيـث ازدهر المزارعـون والفلاحـون الأوائل بل تطـورت في جنوب بلاد الرافديـن»[٢٣]، فهناك- وعلى سـهول النهرين التوأمـين دجلة والفرات- تهيأ لأولى الحضارات أن تعلن عن نفسـها، وأن ترهص بوجودها الحقيقي، ثم تطور معطياته، وتراكـم عطاءه، مشرعـة أفق التمثـل المضاف لعدد من الحضارات التي راحت منجزاتها تترى متلاحقـة في المـكان ذاته. من خـلال همة ودأب شعب حيوي ومكافح هم السومريون- وبعدهم الأكديـون- الذين كانـت عبقريتهـم هي التي اخترعت العجلـة والزجاج، والبرونـز، والكتابة والتقويم[٢٤]، فـكان لهم- وبجهودهم الخلاقة- أن«دخلت البشرية إلى طور الحضارة الناضجة لأول مرة في تاريخ الإنسان بانتقال وادي الرافدين من عصور ما قبل التاريخ (في أواخر الألف الرابع ق.م) إلى حياة التحضر والمدنية، بمختلف عناصر الحضارة الأساسية المميزة، كظهور المدن وأنظمة الحكـم والكتابـة والتدوين والقوانـين المنظمة للحياة الاجتماعيـة والفنون المختلفـة والآداب، والممارسات الدينية ومؤسساتها العامة كالمعابد والكهنة، وأسـس العلوم والمعارف، والممارسات التقنية، وأجهزة الري والزراعة، وبداية السيطرة على البيئة وتسخير إمكاناتها»[٢٥]، ليصنعوا بذلك تاريخاً جديداً للإنسانية تجلى فيه دورهم المؤثر فيما حولهم، فقد«أثار انتباه الشـعوب المجاورة مـا كان يجري من التفجير المـادي والروحي في جنوب بلاد الرافدين ووسـطها، وهذا قد شـكل حافزاً لتحريك الدوافع الداخلية لتلك الشـعوب كـي تندفع باتجاه منابع الثروة والمسـاهمة مع مبدعي مركزها في إدارتها، مع إضافة المزيد من الألوان الحضارية الجديـدة ... كل هؤلاء إضافة إلى أهل البلاد من السومريين والأكديين والبابليين

والآشـوريين قد أسسـوا ذلك النوع من التلاقح والتناسـج ضمن كيـان ملون جعـل المؤرخين والآثاريـين في العالم ينظـرون إلى حضارة بلاد مابـين النهرين على أنها كيان متميز ومسـتقل عن الكيانـات الحضارية المجـاورة ذات الكيان الاجتماعي الواحد الذي يتكلم لغة واحدة» .(٢٦)

وهكذا بدا لحضـارة وادي الرافدين- فضلاً عن غناها- أنها لم تكن لتستبد بسواها وتجبره على مجاراتهـا، قدر أنهـا شرعت أبوابهـا للتواصل والتحـاور والتمثـل، وتطويـر صنيعهـا نحو الأفضـل، حـد أنها تركـت- في أحايـين كثيرة- الفرصـة للآخريـن أن يسـطوا عـلى منجزها، فيجيرونه لصالحهم من دونها.(٢٧)

(٣)

يجمع الدارسـون على أن المتحقق الحضاري قد أرهـص بقيمه عـلى أرض وادي الرافدين في ذلـك اليوم الذي عرف الإنسـان العراقي القديم فيه الطريق إلى (التدويـن) من خلال (الكتابة) تلك التي عدت أس (الحضارة)، فالكلمة المدونة ـ طبقاً لرأي الأسـتاذ طه باقر- «كانت ولا تزال جوهـر الإنسـانية، وفكرهـا الـذي يميزها عن المملكـة الحيوانية. وإذا كانـت (الكلمة)- وهي سر الوجـود، وأصـل الوجود- وجـدت منذ أن وجد الإنسـان وميزته عن سائر المخلوقات، فإن معجزة تدوينها قد تحققت في (وادي الرافدين)، لأول مرة في مسيرة الإنسانية المضيئة».(٢٨)

ويواصل أحد الباحثين الغربيين ترسيخ الفكرة ذاتها، فقد «كانت آلاف السنين قد مرت على دخول الإنسـان وادي الرافدين لأول مرة، وتوالت عليه الثقافات ماقبل التاريخية كلها متشابهة، وليست فيها واحدة تباين أية ثقافة في أي مكان من العالم عند ذاك ... ولكن مـا تكاد فترة الكتابة البدائية تطل حتى تغيرت الصورة، فكأنما حضارة وادي الرافدين قد تبلورت بين عشـية وضحاها. وإذا بالشكل الأساسي أو الهيكل الذي ستعيش البلاد في ضمنه وتحت سـيطرته، والذي سـيثير فيها أعمق أسئلتها، ويقيم نفسه كما يقيم الكون لكل العصور اللاحقة ينبثق فجأة تام النمو في سماته الرئيسة»،(٢٩) وذلك ما ينص عليه أيضاً الدكتور (أحمد سوسـة)، فـ «لاشك في أن الحضارة التي ازدهرت في بلاد سـومر وأكد لم تتكون وتزدهر لولا توافر الكتابة. كما أن المعلومات التي توصل إليها الباحثون في مدى تقدم تلك الحضارة الغابرة ما كانت لتتوفر لولا وجود الكتابة التي سـجلت

بهـا مآثر تلك الأقوام من علـوم وطقوس دينية وشرائع وعقود ورسائل وما إلى ذلك من نشاطات حضارية ثقافية أخرى»،[٣٠] بل إنها- وفضلاً عن ذلك- أنتجت«فناً جديراً باسمه، وما صنعه هؤلاء الفنانون الأوائل يضاهي بروعته أجمل ما صنعه الفنانون في العصور المتأخرة»[٣١]

إذا كان العراقيـون القدامى قد اخترعوا الكتابة، «وكان غرضها الأول تسـهيل تدوين الحسابات الآخذة بالتعقيد، كلما توسعت اقتصاديات المدن والهياكل»[٣٢]، فإن ذلك لم يكن نهاية المسـعى، إذ «سرعان ما تطورت الكلمة المدونة في حضارة وادي الرافدين فصارت أدباً وتاريخاً وعلماً».[٣٣]

وفي سـياق تفسـير العراقيين القدامى لمجمل ظواهر الكون والوجود من حولهم، وتشـخيص مصدرها الغيبي مرتبطاً بإله محدد له سطوته وتحكمه بهذه الظاهرة وذلـك الوجود فقد كان من الطريف أن يندرج أمر الكتابة في مجمل تلك التصورات والتفسيرات، لا من خلال الكتابة ذاتها بل عبر تأمل فعـل أداتها، تلك التي راح الكتّاب، يستعينون بـعيدان (القصب) لصناعتها. يقول أحـد الباحثين الغربيـين مفسراً هـذا الأمر: «إن مـا لدينا من نصـوص يدل دلالـة واضحة على أن (الأقصــاب) بحـد ذاتها لم تكـن إلهية قط، فالقصبـة الواحدة مـا هي إلا نبتـة، أو شيء ... ولكن للقصبة المحسوسة الواحدة على الرغم من ذلك صفات عجيبة توحي بالدهش والمهابة، ففي نموها الممرع في الأهـوار قوة غامضة. وللقصبة قـدرة على إتيان العجب، كالموسـيقى الصادحة في ناي الراعي، أو العلامات المليئة بالمعاني التي تتركها قصبـة الكاتب، فتتحـول إلى أقاصيص وقصائد».[٣٤]

وهكذا فقد نظر إلى القصبة وما تنجزه من فعلين كتابي(أدبـي) خاصة، عبر قلـم الكاتب، وفني (موسـيقي)- عبر نـاي الراعي- عـلى أنها هبة إلهية ليست كغيرها من الأشـياء المادية الأخرى التي يعايشها الإنسان العراقي القديم. ومن هنا كان لابد أن يكون مصدر هذا الإلهام الذي يوجد في كل قصبـة وقدرته التي لا تتغير آلهة بعينها، اختاروا لها مسمى (نيدابة)«فنيدابة هي الآلهة التـي جعلت الأقصـاب تمرع في الميـاه. وإذا لم تكن بالقرب من الراعي عجز عن تشنيف الآذان بالنـاي. وإذا مـا رأى الكاتـب أن عبارة صعبة جميلة خرجت من أطراف قصبته حمد (نيدابة) عليها».[٣٥]

أدت الكتابة دورها في الارتقاء بجوانب حياة العراقيين القدامى السياسية والاقتصادية والثقافية ووثقتها. ولاشك في أنها- مساوقة لذلك- قد فتحت أبواباً لتطور لغتهم وغناها، سواء فيما استجد لها من آفاق معرفية واحتياجات تداولية، أو فيما تكيف لها من أساليب أدائية تختلف بين مؤداها النفعي المباشر والممارسة الأدبية التي ترتقي بالسلوك اللغوي إلى فضاءات من الانشغال الدلالي والجمالي المعتنى بهما، والمتخيرين لذاتهما. ولنا أن نتأمل الأمر بعين تلك الاحتياجات الإنسانية التي عايشوها، لنقول إنهم- وإن دونوا بعض ما عنّ لهم من الشؤون الاقتصادية والسياسية والتاريخية- فلاشك أنهم لم يدونوا ذلك كله، مثلما لا يمكن تصور أنهم وثقوا الذي تكلموه وعايشوه في حياتهم اليومية، فمن المحال أن يدون الكلام كله. ومن هنا فلابد من الانتقاء والتخير في تدوين ماله الأهمية من شؤونهم، وما له مساحة متسعة من التلقي أكثر من سواه. ولعل الشأن الأدبي أكثر شؤون التدوين تمثلاً ووجهة اهتمام وعناية، ولاسيما حين جرى تمثله من قبل فئة تجيد الكتابة وتمتهنها، فكان أن «بقيت عملية التدوين في العصور القديمة كافة حكراً على طبقة معينة من النساخ أو الكتّاب. وكان هؤلاء على مراتب بحسب خبرتهم ومهارتهم المكتسبة في فنون الخط المسماري. وفي كثير من الأحيان نجد أن حرفة الاستنساخ أي الكتابة كانت تبقى زمناً طويلاً في العائلة الواحدة، يتوارثها الأبناء عن الآباء».[٣٦]

ولعل تلك الفئة- ونظراً لكثرة أعدادها وسعة ما كانت تقوم به من أعمال التدوين والتوثيق، ومن خلال مهارتها الكتابية تلك- أصبحت فئة نخبوية لها مستواها الثقافي المميز عن سواها من العامة.

ويبدو أن الأمر قد أخذ بعداً ثقافياً له صلته بطبيعة عملية التداول اللغوي السائدة في حياة العراقيين حينذاك، فقد انبنى على مساحة التباين بين اللغة المحكية في الممارسات اليومية وما جرى التدوين به حالة من (الازدواج اللغوي) عكست كشوفاتها في الآفاق التداولية والثقافية التي يعايشها المجتمع.

لقد كانت حاجتهم إلى تسمية منجزات حضارتهم وتدوينها سبباً في تطور لغتهم وثراء مفرداتها التي ما يزال بعضها متداولاً حتى عصرنا الراهن[٣٧]، غير أن تلك اللغة عايشت طبائع

الازدواج، وعلى مساحة شاسعة من التمثل. يقول الأستاذ (طه باقر)«كان الطابع الثقافي والسياسي المميز في الأدوار القديمة من حضارة وادي الرافدين الثقافية السومرية-بلغتها وآدابها ومعارفها المختلفة- ولكن سرعان ما برز كيان الساميين السياسي، كما برزت لغتهم في التدوين بشكلها الأكدي في عهد السلالة الأكدية السامية»، الأمر الذي بدا عليه حتمية أن يكون هناك ازدواج لغوي بين لغة للكتابة وأخرى للتعامل اليومي[٣٨]، وهو الرأي الذي يقول به الدكتور (أحمد سوسه) ولكن على نحو مختلف من الإشارة إلى الحقبة التاريخية لذلك التمثل اللغوي، فعنده «إن النتاج الأدبي الذي ظهر في العصر السومري الحديث... ناجم عن اقتباس السومريين الكثير من مقومات الحضارة السامية، بعد أن احتك السومريون بالساميين خلال حكم الأكديين الساميين الذي شمل كل البلاد ودام حوالي ٢٠٠ سنة».[٣٩]

وإذا كان في ذلك الأمر ما يشرع الباب لمجادلة يثيرها استقراء وقائع التأثير وتاريخية السبق فيها، فإن الذي يعنينا منه ما استتب عليه الحال من ازدواجية لغوية بينة المعالم، فـ «مع زوال السومريين من الناحية السياسية فقد ظلت لغتهم-مثل اللاتينية في أوربا-لغة العلم والثقافة، ومستعملة جنباً إلى جنب مع البابلية والآشورية سواء أكان ذلك في استمرار تداول النصوص الأدبية والدينية والعلمية المدونة بالسومرية أم في استعمال المصطلحات السومرية الكثيرة في النصوص الأكدية الصرفة، بحيث يصح القول أنه لا يمكن فهم النصوص المسمارية- ومنها الأكدية- إلا بمعرفة المصطلحات السومرية».[٤٠]

(٤)

ميز العراقيون القدامى- في تداولهم اللغوي- وبنضج عال بين لغة الشؤون العامة، وخصوصية التعبير التي تصنع من النص- المقال أو المكتوب- أدباً، حد أنهم تخيروا له مسماه الاصطلاحي الذي ماتزال اللغة العربية الراهنة تتبناه، فقد تصدرت كلمة (أدب ـADAB) بعض أغانيهم وترانيمهم المدونة.[٤١]

وحين قام الباحثون بتفحص سمات تلك الآداب فقد وجدوا أن ذلك النتاج الأدبي- فضلاً عن عده «مرآة صادقة تعكس كثيراً من المعتقدات والأفكار والعادات والتقاليد الاجتماعية »[٤٢] فإن له قيمته التوثيقية الدالة، كونه«في مقدمة المصادر الأساس لمعرفة الحضارات القديمة».[٤٣]

وبـدت نماذجـه- التـي وصلتنـا- مطابقـة لاشتراطات التمثل التي أقرت- على مر العصور- لـلأدب تمييزاً له عن سـواه من أنمـاط الكتابة الأخـرى. وفي ذلـك يقول طـه باقر«وعلى الرغم مـن أن هذه كانت أولى المحاولات في تاريخ تطور الإنســان الأدبـي، بيـد أن ما يدهـش الفاحص لأدب وادي الرافدين هو أنه- مع إيغاله في القدم وسـبقه جميع الآداب العالميـة يتميز بالصفات الأساسـية التي تميـز الآداب العالمية الناضجة ، سواء كان ذلك من حيث الأساليب وطرق التعبير، أم من ناحية المحتوى والموضوعات التي تناولها، أم مـن ناحية الأخيلة والصـور الفنية والعرض القصصي».[٤٤]

ويسـتطرد الأسـتاذ طه باقر في تشخيص تلك السمة الخصيبة في أدب العراق القديم، فعنده أن ما يرتكز عليه النص الأدبي من خصائص- وفي الآداب الإنسانية بعامة يتمثل في:[٤٥]

ـ الموضـوع أو الفكرة التـي تعبر عنها القطعة الأدبية.

ـ الأسلوب الأدبي الفني، سواء كان شعراً أو نثراً أدبياً ، المتميز بطراز خاص من النظم والتأليف المؤثر في مشـاعر القارىء أو السـامع. ولتبيان تلـك الخصوصية الأسـلوبية يـؤشر الباحث ما جاءت عليـه مقدمة (مسـلة حمورابي) وكذلك خاتمتها من خصوصية تعبيرية إنشائية تختلف كلياً عما جـرى تداوله في المتن القانوني لموادها: «ففي القســم الثاني- أي القسم المخصص لمواد الأحكام- نقف على أسلوب الصياغة النثرية، من حيـث الالتزام بمباديء تأليـف الكلام على وفق قواعـد اللغـة الأكدية في عصرهـا البابلي القديم (الألف الثانــي ق.م) ... حيث الانتظام والاطراد في التزام قواعد هذه اللغة. وبالمقابلة مع الأسلوب اللغوي الخاص بقسم مواد الأحكام من الشريعة نجد أن القسمين الآخرين- أي المقدمة والخاتمةـ تسودهما التعابير الشعرية المؤثرة».[٤٦]

ـ اختيار الحوادث والمواقف المؤثرة بالنسـبة إلى مفاهيـم وعرف الحضـارة التي أنتجـت الأدب المبحوث فيه.

ويخلص الباحث إلى القول أن ذلك كله ينطبق على تلك النصوص الأدبية «من حيث أسلوب التأليف اللغوي كوسـيلة للتعبير الفني في نقل التجارب والخبرات والأحاسـيس والصور إلى القارىء أو السامع».[٤٧]

وعند رصد الباحثين لسمات الأدب العراقي القديم

فقد وجدوا له منها ما يعلي من شـأن تميزه بين آداب الأمم التي تجاريه أو تقترب منه في تاريخية وجودها.

وكان أول مـا أقـروا به له هي سـمة القدم فهذا الأدب- طبقـاً لما أقره له أكثر مـن باحث- أقدم آداب الأمـم، حتـى ليجعـل أحد أهـم الباحثين الغربيين في تراث العراق القديم من تلك الأسبقية عنوانـاً لواحد من كتبه الذي جعله: التاريخ يبدأ من سومر.[٤٨]

ولعـل قدم هـذا الإنجـاز الأدبي عندهـم يأتي متطابقـاً مع قـدم المتحقق اللغـوي- بنمطيه المحكـي والمكتوب- ومـا طوروه مـن إمكانات تعبيرية، لاشـك في أنهـم توارثوها عن أسـلاف سابقين لهم[٤٩] وبذا تكون واحدة من سمات أدب وادي الرافدين قد أعلنت عن نفسها متمثلة بسمة (القدم)، لتلحق بها سـمة أخـرى تحققت لهذا الأدب نتيجة لحرص أهله على تدوينه، إذ قدر له أن يحافظ على بقائه يتنفس حضوره الدال عليه عـلى الرغم من العصور والأزمنـة الطويلة التي مرت عليه.

لقد كان ذلك الأدب واحدة من «أبرز وسـائلهم لتدوين شـؤون حياتهـم ومعالجاتهم الفكرية والقيمية التي تجسدت في نصوص لها خصوصية التمثل والتعبير، فكان أن «احتفظت آلاف الألواح والتماثيل والأعمدة الحجرية والمزهريات وأحجار الطوب ومحاجر الأبواب ومستودعات المؤسسات بنصوص شعرية ونثرية رفيعة تحوي الكثير من المعلومات حول التاريخ والدين السومريين».[٥٠]

وكان لخصوصيـات الطبيعة من حولهم دورها الشـعوري الفاعل في تشكيل تلك الفضاءات من التأمل الجمالي الخلاق، فربما «شكلت الأهوار في أقصى الجنـوب دوماً الحاضنة المادية لابتكارات النـاس وهواجسـهم الروحية فأطلقـوا آدابهم وأسـاطيرهم وحكاياتهـم، وأقوالهـم المأثورة، ارتباطاً بالامتدادات المائية الشاسعة، معبرين عن ولعهم بالأسرار الحياتية والكونية التي يختزنها الماء والطين والزروع الخلابة».[٥١]

وفضلاً عن صفة القدم المتحققة في الأدب العراقي القديم فهناك ميزة أخرى له على الآداب العالمية القديمـة تلك هي أن تلـك الآداب كلها«قد عانت الكثير من التحوير والإضافة على أيدي الجامعين والنسـاخ والشراح، في حين أن الأدب السـومري والبابـلي قـد جاء إلينـا على هيئتـه وبنصوصه الأصليـة تقريبـاً، كما دون بأقـلام كتبة العراق

القديم على ألواح الطين قبل أربعة آلاف عام»[٥٢]، وعلى نوع خــاص وصفه طه باقر بـــ (الألواح الأدبية) التي هي- طبقــاً لما حدده لها- الألواح التي دونت فيها النصوص الكتابية التي لا تتعلق بشؤون الحياة الاعتيادية مثل المعاملات التجارية والقانونية والرسائل وغيرها بل بالجانب الأدبي تحديداً.[٥٣]

وقد لفت انتباه الباحث نفسه الحرص التوثيقي البــين من قبــل مدوني تلــك الألواح عــلى تبني المســؤولية عنها، إذا جاء إلينا بعض النصوص الأدبية، وهي مذيلة بأســماء أشــخاص كانوا في الغالب «نســاخاً أو جامعــين. وقد يكون بعضُ منهم- ولاسيما في حالة النسخ القديمة- مؤلفي تلــك القطــع الأدبيــة أو واضعيهــا أو منتجيها بأشــكالها النهائيــة. ولعله يمكن تفســير هذه الظاهرة... بأن القســم الأعظم من النتاج الأدبي في حضــارة وادي الرافدين نشــأ ونما على هيئة تراث قومي شــاركت في إنتاجه أجيال كبيرة من الشعراء، ولم ينفرد بإنتاجه أديب واحد».[٥٤]

(٥)

يدهــش المتلقي لأدب العراق القديم أن يجده قد تداول معظم الأغراض والمضامين التي يمكن لأي أدب إنســاني حقيقــي أن يتناولهــا. وبــذا يكون هذا الأدب- فضلاً عن ســبقه الزمني- قد حقق أوليــة في الوعي والمدرك العاطفي والحسي والجمالي المتمكن من أدواته ووعيه، وهو يتداول أنواعــاً أدبيــة عــدة، يقــدم في كل منهــا خبراته ومواقفه وعواطفه الإنسانية الراقية، ليؤشر بذلك نضجاً في الشــخصية الحضاريــة ورقي وعيها لأهمية الأدب وقيمته في تمثل التجربة الإنســانية وإغناء مجالاتها المتنوعة به، إذ «إن أدب حضارة وادي الرافديــن (الســومري والبابــلي)، وبــكلا نوعيه (الشعر والنثر الفني)، قد تناول مواضيع عديدة كانت تشغل بال القوم في حياتهم العامة والخاصة، مثل نظرتهم إلى الكون والحياة وأصل الوجود والأشــياء، والمجتمع الإنساني ومشاكله، وســلوك الفــرد والقيــم الاجتماعيــة، وحياتهم الروحية والعاطفية، ومشكلة الموت وعالم ما بعد الموت والخلود، وقضية الخير والشر».[٥٥] وسواها من التأملات الإنسانية التي لا تتوقف انشغالات الإنسان عن معايشتها. وهذه الآفاق الأدبية الثرة «لا تقتصر على أنها خــير ما يصور لنا حضارة وادي الرافدين بجميــع أوجهها ومقوماتها، وفي أدوار ازدهارهــا وحيويتهــا وركودها وأزماتها،

بل هي كذلك على قدر كبير من الأهمية في تاريخ تطـور الإنســان»[٥٦] ومواقفه وتمثلـه التعبيري لها بمستويات أداء متعددة، تمتزج فيها الرؤى الأسـطورية بما هو نضـح المكابدة الإنسـانية للحيـاة بتجلياتهـا الواقعيـة، ومتضمنة كذلك الموقـف التاريخي والمكابدة المسـتوعبة لظرفها المعيش.

وتأتي أفكار العراقيين القدامى وتأملاتهم- وهي تتكيف أدبياً- في مجالات يصلح كل منها أن يكون غرضا أدبياً قائماً بذاته، وهو ما سعى الباحثون إلى تبويبـه عـبر تقسـيمات بدت فيها السـمة (الموضوعاتية) أكثر وضوحاً من كونها أغراضاً محددة [٥٧]، ولاسـيما مع تداخل الشـعر والنثر في إنتاج تلك الأنواع الأدبية. غير أننا- مستعينين بالخبرة الراهنة في تحديد الأنـواع- بإمكاننا أن نضعها في التبويب الآتي:

***أدب قصصي:**

ويشـتمل على القصص التفسيرية عن الخليقة وأصل الكون والوجود والأشياء، والآلهة وأعمالها، ومـن يتماهى معها من أشـباه الآلهة والأبطال، وقصص الطوفان وأسـاطير عالم ما بعد الموت وقصص الحيوان[٥٨]..وكذلـك أخبار الملوك وما سجل لهم من انجازات عمرانية وحربية. [٥٩]

*** الملاحم:**

كملحمـة (جلجامـش)، و(صعـود إينانا إلى السـماء)، و(قصة تموز وعشـتار) ونزولها إلى العالم السـفلي، وملحمة (آدابا) وسـواها. وهي وإن كانت ذات طابع قصصي فإن الأداء الشعري واللغـة التعبيرية العالية الغالبـة عليها، وكذلك النزعـة الاحتفاليـة التي جعلت منها ممارسـة خاصة من الأداء التمثيلي الذي يجري الاحتفاء به واستعادته، ذلك كله يحيلها فناً أدبياً قائماً بذاته، ولعل تناولها في مجال الشـعر هـو الأجدر بها، وذلك ما سنعتمده في هذه القراءة.

*** أدب الصلـوات والابتهـالات والتراتيـل والأدعية والترانيم:**

كانت ولا تزال «تمثل ضرورة للشرط الإنسـاني منـذ أقدم العصور للاتصـال بالقوى الفوقية»، بوصـف تلـك الصلـوات- وما تنبنـي عليه من أداء لغـوي وطقس تعبـيري- تعد«(نصاً)، أي مجموعـة من الكلمـات التي يراد بهـا الاتصال المباشر مـع كائن روحـي. .. و(فعـلاً) يراد به الاتصال بالمقـدس... و(موضوعاً) أي امتداداً أو مظهراً من مظاهر التدين الذي يلتقي مع الإيمان

بالفلسفة الدينية والميثولوجيا».[٦٠]

لقد تضمن الأدب العراقي القديم على نتاج متميز في مجال الصلوات والأدعية. ويبدو أن قضية الازدواج اللغوي التي كانت سائدة لدى أبناء الرافدين حينذاك كان لها حضورها فيها، إذ كان الصلوات تقام في المعابد العراقية القديمة من قبل الكهنة باللغة السومرية وحتى وقت قريب من ولادة السيد المسيح، في حين تمكنت اللغة الأكدية من فرض نفسها في الصلوات الخاصة بدءاً من ١٨٠٠ ق م حيث كان الشاعر الأكدي هو من يقوم بصياغة أبياته الشعرية في هذا المجال[٦١]

*** أدب الغزل والحب**

ويبرز غالباً في تلك النصوص المتعلقة بـ(الزواج المقدس)، «أي الزواج بين إله وإلهة الخصب وقيام الحاكم أو الملك وكاهنة عليا لتمثيل الإله والإلهة في ذلك الاقتران المقدس الذي ينتج عنه إحلال الخصب والخير في البلاد».[٦٢]

*** أدب الحكمة**

ويتضمن الأمثال والنصائح والأقوال ذات البعد التأملي الحكيم في مختلف مجالات الحياة وشؤونها المعيشة. وللحكمة صاحبها الذي «خبر الدنيا، وتعلم منها التجارب ، وأصغى إلى أحكام سواه، حتى عد مرجعاً يعتد الناس برأيه». [٦٣]، وهو من يؤسس لمنطوقها الذي يتداوله الآخرون من حوله، لتصبح تلك الحكمة ملكاً لهم جميعاً . «وقد صنف أدب الحكمة السومري هذا شكلياً إلى مابين خمسة وأحد عشر صنفاً رئيساً، والاختلاف يعتمد على ما إذا ضمت بعض الأشكال الأدبية كالحكم والوصايا والأمثال والنصائح تحت العنوان العام(الأمثال) أم أنها اعتبرت أصنافاً مستقلة».[٦٤] ولعل في أن تكون الأمثال أكثر أصناف أدب الحكمة شيوعاً في لغتهم [٦٥] الدليل على نضج التجربة الإنسانية لدى العراقيين القدامى، فضلاً عن التطور في الأداء اللغوي الذي تحققت مقدرته عندهم في الإيجاز البليغ الذي يقتضيه المثل.

لقد استوعبت حكمهم وأمثالهم الدعوة إلى تفضيل العلم وأهله والسعي إلى العمل وبذل الجهد لتحقيق الحياة الإنسانية الأفضل. كما تضمنت إشارات إلى مايرتجى من العلاقات الاجتماعية المحمودة، وإلى مكانة المرأة عندهم، وسواها من الانشغالات الإنسانية العامة. [٦٦]

*** أدب الرثاء**

نال هذا الغرض اهتمام العراقيين القدامى، حتى ليعده بعض الدارسين «من المواضيع الواسعة والمتشعبة، حيث يغطي حقبة زمنية طويلة، شملت معظم العصور الحضارية لبلاد الرافدين»،[٦٧] وبما يجعله«نمطاً خاصاً قائماً بذاته ضمن الأدب العراقي القديم».[٦٨]

لقد تمثلت في هذا الغرض الأدبي طبائع تعبيرهم المنفعل ومشاعرهم الحزينة تجاه الحوادث المختلفة، سواء ما كان منها في النطاق الذاتي أم في الكوارث السياسية أو الطبيعية التي تحيق بوجودهم المجتمعي بعامة. وربما أمكن- ومن خلال تأمل ماوثقه هذا المنجز الأدبي الوقوف على تصور وقائعي لبعض الأحوال والظروف التي مرت بهم، حتى ليمكن عد ماحواه هذا الغرض نوعاً «من كتابة التاريخ بأسلوب أدبي مؤثر له بعد وطني واضح».[٦٩]

ويمكن رصد ماحواه هذا الغرض الأدبي- فضلاً عن المراثي الشخصية- فيما جرى تدوينه من رثاء المدن، ومراثي الآلهة والملوك.[٧٠]

(٦)

يطرح الأستاذ (طه باقر)ـ بشأن الشعرـ التساؤل الآتي:

ـ «كيف نستطيع أن نميز التراكيب والمفردات الشعرية في أدب العراق القديم وقد مضى على النتاج الأدبي الذي جاء إلينا من القوم قرون كثيرة من السنين تبعدنا عن تفهم أذواق ذلك العصر اللغوية والأدبية؟».[٧١]

ويسارع بتقديم الإجابة التي يراها الفصل في هذا المجال ، فيقول: «إن التعرف التام على لغة تلك الحضارة والإلمام بأسرار أساليبها اللغوية، واتباع منهج المقارنة بين الأساليب النثرية والأساليب الشعرية فيها، كل هذا يمكّن الباحث المختص أن يميز مابين الأسلوبين الشعري والنثري الاعتيادي».[٧٢]

ولاشك في أن حديث الشعرـ وبعيداً عما أشره كلام الأستاذ (طه باقر) آنف الذكر- يذهب بنا إلى استعادة الرأي الذي توصل إليه الباحثون بإجماع عن كونه الأقدم بين ما زاوله الإنسان من الفنون الأدبية، كونه خطاباً عاطفياً رافق طفولة الإنسان، وتطور مع تطور نزعته في التعبير اللغوي الخاص عن مشاعره وأحاسيسه، سابقاً في ذلك النضج المعرفي الذي تبنته معارفه وعلومه ذات النزعة العقلية. وهنا فنحن لا نعني نفي أسبقية الأداء اللغوي (النثري) المباشر والنفعي

الذي مارسه الإنسان شفاهياً وطوره بعد ذلك، ليؤطره مدوناً بأشكال كتابية تطورت هي أيضاً، بل نشير إلى قصدية تخيره لأنماط لغته بين علميتها وأدبيتها المكرسة في الشعر التي تؤكد أسبقيته التي جاءت مؤصلة له من خلال الغناء والإنشاد الشعبيين إذ «أن الكلمة التي تطلق على الشعر في أدب حضارة وادي الرافدين، وهي كلمة (شيرو) البابلية، و(سير) أو (شر) السومرية- التي ظهرت في نظام الكتابة المسمارية منذ أول ظهور الكتابة [٧٣]- تعني في أصلها الغناء والإنشاد والترنم»،[٧٤] وهو الرأي الذي يأتي دعمه عند الأستاذ (طه باقر) من خلال القول: «إن هذا المصطلح اللغوي موجود في جميع اللغات العربية القديمة (السامية) مثل (شير) العبرانية، و(شور) الآرامية (وكلها فقدت حرف العين). ومن ذلك المصطلح العبراني (شير هشريم) وهو (نشيد الإنشاد) المنسوب إلى سليمان في التوراة. ومن قبيل ذلك ما جاء في المآثر العربية عن أصل العروض والوزن في الشعر أنه من الغناء وحداء الإبل، والمصطلح الأدبي المألوف في رواية الشعر: (أنشد فلان)».[٧٥]

لم يتوقف أمر الشعر عند العراقيين القدامى بحدود معرفة المفردة الدالة عليه وتداولها، فهم قد توافروا على كثير من أنواعه وقوالبه، وأساليب الأداء من خلاله، وهو ما يفصل الأستاذ (طه باقر) فيه على وفق اشتراطات الوعي الراهن، حين يقول: «نسير في تحديد مفهوم الشعر في النصوص الأدبية التي جاءت إلينا من حضارة وادي الرافدين على الأسس والمبادىء المأثورة (الكلاسيكية) المتبعة في دراسة الآداب العالمية وتصنيفها إلى شعر ونثر أدبي»،[٧٦] وهي بحسب تراتبيتهاعنده:

- وجود الإيقاع الخاص، الذي يعد الوزن أو العروض أسه الخاص، إذ « يعتمد الوزن- أي العروض-في الشعر البابلي مثل أشعار بعض الأمم الأخرى- كالشعر العربي واليوناني واللاتيني وغيرها- على مبدأ تجزئة الكلمات إلى مقاطع تتناوب مابين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة، أي- بحسب العروض العربي (الأوتاد) و(الأسباب) التي أساسها الحركة والسكون،. وفي بعض الأشعار الأخرى (النبرات) أي التشديد والتخفيف .[٧٧] وبجمع عدة مقاطع يتألف ما يصطلح عليه في الشعر العربي (التفعيلات)، أي مايضاهي (foot) الشعر الانكليزي. ثم بجمع عدة

تفعيلات يتكون شطرا البيت. وعلى هذا الشكل جاء إلينا الشعر البابلي مدوناً على ألواح الطين. وقد يترك الكتبة فواصل مابين شطري البيت، أي مابين الصدر والعجز، ومابين الوحدات الشعرية الأكبر في بعض الأحايين ».[٧٨] وهو ما يؤشر أنهم اعتمدوا نظاماً خاصاً في تأليف هذا الكلام الموزون «من حيث تقسيمه إلى وحدات صغيرة وضم هذه الوحدات في مجموعات أكبر منها ، كالبيت والبيتين والأربعة أبيات والقصيدة».[٧٩]

وفضلاً عن الوزن فقد انضاف للإيقاع الشعري عندهم مايمكن تسميته بـ (اللازمة) أو (القرار) الذي يمثل (عبارة) تتكرر على نحو متواصل في القصيدة أو الأغنية.[٨٠]

ولعلهم- وللاتساع الدلالي في لغتهم قد توصلوا إلى قيمة (الجناس)- الذي يعتمد فيه واحدية المفردة وتعدد معانيها[٨١]- لينجزوا شكلاً شعرياً رأى فيه بعض الباحثين مايجعله قريباً من (الأبوذية)[٨٢] المتداولة في الشعر الشعبي العراقي، بل ربما عد ذلك القديم تأصيلاً لها،[٨٣] ولاسيما حين لا نجد من يتداول هذا الشكل الشعري سوى العراقيين، وأهل الجنوب منهم تحديداً.

ـ انتقاء مفردات لغوية خاصة بلاغية، أي ما يسمى بالألفاظ الشعرية- من حيث الجرس اللفظي والمعنى بالنسبة إلى مقاييس اللغة التي ينظم فيها الشعر. ويدخل في هذا تركيب خاص في الكلام يختلف عن الاستعمالات المتبعة في النثر.

ـ الموضوع والمحتوى الذي يتناوله الشعر والتعبير عن ذلك بتعابير مؤثرة في السامع أو القارىء.

ـ أما المبدأ الخامس وهو القافية (rhyme) فعند الباحث أن الشعر العراقي القديم لم يلتزم بها، فكان هذا الشعرـ سواء أكان سومرياً أم بابلياًـ موزوناً، ولكنه غير مقفى.

وحين تتأمل الموضوعات التي تداولتها الشعرية العراقية القديمة فسنجد أنها لاتكاد تغادر أياً من أغراض الأدب وموضوعاته عندهم، بل لعل الصياغة الشعرية هي الغالبة على إنتاجهم الأدبي بآفاقه كلها، وبه قدموا كثراً من ترانيمهم وأدعيتهم وصلواتهم وقصصهم وأساطيرهم. وحين تهيأ لهم أن يواشجوا بين السرد وكثير من منجزهم الشعري، فقد قدر لهم أن يقدموا للبشرية واحدة من أهم الأنواع الشعرية وأخصبها:الملحمة.

(٧)

تعـد (ملحمة جلجامش)[٨٤] المثال الأرقى لما وصل إليه الأدب العراقي القديم، بل لعلها- طبقاً لرأي أحد الباحثين الغربيين-«وبالمفهوم الحديث المحـدد لكلمـة (أدب) أعظـم- وبالتأكيد أطول تأليف أكدي».[٨٥] كما أنهـا «أقدم نوع من أدب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات العالم القديم».[٨٦]

ومـن هنـا فقـد تناولهـا بالاسـتعادة والتأمل والتـدارس كل من اهتـم بتراث العـراق القديم وآدابه مـن العراقيين والعرب والأجانب، سـواء بترجمتها أو إعادة صياغتها نثراً أو شعراً.[٨٧]

احتوت الملحمة على صنوف الأدب وأنواعه كلها، فهي سرد وشعر وأمثال وحكمة ووقائع وأسماء وتاريخ، وذلك كله يأتي بصياغة أدبية خاصة بها وحدها، جعلتها مثالاً متميزاً ومتقدما على سواها من الملاحم الشعرية الإنسانية التي جاءت بعدها. وكمـا تداخلت فيهـا الأنـواع الأدبيـة كلها فقد تعاضد في تجسيدها وجود كوني مشتبك، فهناك الآلهـة والبشر والطبيعة والحيوان والنبات. إنها فضاء اتسـع لحيوات الموجودات والأشياء كلها، ولعلها من هنا استمدت توصيفها بالملحمة الذي اسـتوقف أحد الباحثين الغربيـين فرأى أن هذا الشـكل الأدبي اسـتحق وصفه بالملحمة وليس الأسـطورة «نظـراً لأن المسـاهمين فيها هم من البشر أكثر من كونهم من الآلهة».[٨٨] التي تتماهى الأساطير في التعبير عن شؤونها وحدها.

لا يتسـع المجال- في قراءتنا هذه- للإشـارة إلى وقائـع (ملحمة جلجامـش) وتفصيلاتها فهي مـن التداول والشـهرة بمـا يجعل ذلـك حديثاً مكـروراً، لا يضيف جديـدا .[٨٩]، ولذلك نكتفي بالقـول أنهـا جسـدت- وعـلى نحـو عـال من النضج- وعي الإنسـان العراقـي القديم لظاهر وجوده وما يكتنفه من حيويـة فعل وأدوار من الحياة يعيشها، لتجيء خاتمة ذلك كله الحقيقة الصادمة عن نهاية ذلك كله بين يدي الموت الذي لايفرق بين البشر فهـو مآلهم جميعاً، حاكمهم ومحكومهـم، غنيهـم وفقيرهم. ومـن هنا بدت فيهـا نزعة (الثورة على المـوت) التي «نلقاها في صورة سخط مكتوم وإحسـاس دفين بالظلم. وهي إحساس أكثر منها تفكير. ولكن مما لايرقى إليه الشـك هو أن هذا الإحساس منشؤه الفكرة الجديدة عن حقوق الإنسان والمطالبة بالعدالة في

الكون. فالموت شر، وهو في قسوته أكثر شراً من أي عقاب بل هو العقاب الأكبر».[٩٠] ومن هنا فإن أي مسعى لمغادرة النواميس المقدرة على البشر سيكون مآلها الفشل والخسران، وليس للإنسان إلا أن يقتنع بحصته المقدرة من الحياة ، يحياها، ويشبع فيها لذائذ جسده من المشاعر والعواطف واحتياجات الجسد . هكذا تلخص (صاحبة الحان) الأمر لجلجامش الذي تسربل بعناده، باحثاً عن الخلود:

«إلى أين تسعى ياجلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
أما أنت ياجلجامش
فليكن كرشك مليئاً على الدوام
وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين أحضانك
وهذا هو نصيب البشرية»[٩١]

وخلاصة القول «إن ملحمة جلجامش تبقى أبرز نتاج أدبي فاضت به قرائح الشعراء والأدباء، وهي بحق درة النتاج الأدبي في حضارة بلاد وادي الرافدين، وأقدم نموذج من أدب الملاحم في تاريخ الحضارات».[٩٢]

ويبدو أن حضور هذه الملحمة الفاتنة لعصرها والعصور اللاحقة لم يتوقف عند وجودها النصي اللغوي، بوصفها «قصيدة شعرية طويلة مدونة بالخط المسماري واللغة البابلية»[٩٣]، بل تعداها إلى أن تستدرج الفنون الأخرى (التمثيلية والتشكيلية) لاستثمار مضامينها في تمثلات فنية مثيرة، فإذا «كانت لعبة التمثيل الدرامي لقصة الخليقة البابلية بكل تفصيلاتها وتسلسلها قد أصبحت من المظاهر الملازمة لاحتفالات رأس السنة، وهو احد الأدلة البارزة في وجود الحس الدرامي في بلاد الرافدين، فإن هناك إشارات مثبتة لا تقتصر دلالتها على أن الاحتفالات كانت تضم فقط هذا النشاط التمثيلي في تقديم قصة الخليقة وإعادة تقديمها على شكل درامي فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى تقديم أجزاء من (ملحمة جلجامش) في احتفالات العام الجديد»[٩٤].. وعلى هذا يمكن القول أنها« أول ملحمة في

تاريخ العالم القديم تمثل أحداثها بصورة درامية وباستخدام الأقنعة والملابس التنكرية المختلفة». (٩٥)

أما على صعيد التجسيم التشكيلي لهذه الملحمة في الخزف العراقي القديم «فهناك الكثير من الأختام الاسطوانية والألواح الطينية، وشواهد أثرية أخرى صورت لنا مشاهد مختلفة من الملحمة» (٩٦)

الهوامش والإحالات:

(١) طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم،ص٦.
(٢) ينظر: فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، ص٢٣٩. و:غلين دانيال، الحضارات الأولى-الأصول والأساطير، ص ٥٣، و:عامر سلمان ، محاضرات في التاريخ القديم (مشترك)، ص٢٧.
(٣) وقد كتب بالعلامات المسمارية التي تقرأ (ki.en.gi) وتعني حرفياً (أرض سيد القصب، وكتب المصطلح باللغة الأكدية على هيئة (مات شوبيرم) أي (بلاد السومريين). ومن أهم المدن في بلاد سومر: نفر والوركاء ولارسا وابسن وأدب وشورباكوأور وأريدو. (ينظر: سليمان، ص٢٥).
(٤) المصدر نفسه، «ويكتب المصطلح بالعلامات المسمارية التي تقرأ (ki.uri) التي لايعرف معناها بالضبط، بينما يكتب باللغة الأكدية على هيئة (مات أكديم) أي بلاد الأكديين، نسبة إلى مدينة أكد .. ومن أهم المدن إضافة الى العاصمة أكد: سبار، كوثا،بابل، كيش، بورسبا» . سليمان، ص٢٥.
(٥) ينظر : المصدر نفسه، ص٢٦. و: دانيال، ص٥٤، قوله : أن سومر هي الأرض التي أطلق عليها بعد ٢٠٠٠ ق م، اسم بلاد بابل.
(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٦، حيث قوله: «نسبة الى السوبارتيين، وهم من جملة الأقوام الجبلية التي استقرت في القسم الشمالي من البلاد في منطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة وقد ورد مصطلح (بلا سوبارتو) في النصوص البابلية مرادفاً لمصطلح (بلاد أشور).
(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٧.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧. و :عبد العزيز لازم ،أدب الحكمة والنصيحة في العراق القديم ،ص٧. وسهل بلاد شنعار هو أراض مابين النهرين التوأمين (دجلة والفرات). (ينظر: دانيال، ص٥): «وقد أطلق الإغريق على هذه الأرض اسم (ميزوبوتاميا)، وهي كلمة تعني بلاد مابين النهرين ... في هذه المنطقة، وبالذات في الجنوب منها تحققت الحضارة السومرية في الوجود في النصف الثاني من الألفية الرابعة قبل الميلاد».
(١٠) هاري ساكز، عظمة بابل، ص٢٣.
(١١) من أهم مؤلفات طه باقر:
- موسوعة تاريخ الحضارات القديمة (جزآن).
- المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة (ستة أجزاء).
- مقدمة في أدب العراق القديم
- موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة.
- ملحمة جلجامش.
- من تراثنا اللغوي القديم- ما يسمى بالعربية بالدخيل.
(١٢) يكاد الباحثون العراقيون يجمعون على تداول ما كرسه الأستاذ (طه باقر) من مسمى، في حين يصر كثير من الباحثين الغربيين على استخدام وصف (بلاد مابين النهرين) .

(١٣) ينظر: سلمان، ص٢٦.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(١٥) المصدر نفسه.
(١٦) ينظر: رايموند ويليامز، الثقافة والمجتمع، ص ١٠.
(١٧) سلمان، ص١١.
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) أحمد خورشيد النوره جي، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ص١١٩ .
(٢٠) يذكر طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص١٠ أن هذه التسمية من تعبير المؤرخ (أرلوند توينبي)، ويصفها بأنها «الحضارات التي لم تشتق من حضارة سابقة لها، بل نشأت وتطورت من ثقافات عصور ما قبل التاريخ. والحضارات الأصلية قليلة العدد في تاريخ الإنسان، وفي مقدمتها حضارة وادي الرافدين، وحضارة وادي النيل، وحضارة الشرق الأقصى (الحضارة الصينية) وحضارة (المايا والأزتيك) في أمريكا الوسطى، وحضارة وادي نهر السند» .
(٢١) سلمان، ص١١.
(٢٢) ينظر: دانيال، ص ٥٥حيث يقول:«ابتكر المستشرق الأمريكي الكبير(جيمس برستيد) عبارة (الهلال الخصيب) لتطلق على المروج والروابي التي تمتد من مصر وتمر بفلسطين إلى شمال بلاد الرافدين وغرب إيران».
(٢٣) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٢٤) هامش: يقول أحد الباحثين الغربيين «ربما كان هناك شيء خاص في تكوينهم، لكنني لا أجد أفضل من أنهي هذا الفصل بجملة من كريمر: «إن العامل النفسي المسؤول إلى حد ليس بقليل عن كل من الانجازات المادية والثقافية لدى السومريين كان دافعاً يتخلل كل شيء ويتأصل في الأعماق من أجل البروز والتميز والنصر والنجاح»دانيال، ص١٠٣.
(٢٥) طه باقر، ملحمة جلجامش، ص٩.
(٢٦) لازم، ص١١.
(٢٧) ينظر: باقر مقدمة في أدب العراق القديم، ص٣٥ . و: فاضل عبد الواحد ، ص٢٣٩ وما بعدها .
(٢٨) باقر، ملحمة جلجامش، ص٣١.
(٢٩) مجموعة مؤلفين، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ص١٤٨.
(٣٠) د. احمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، ص١٥٧.
(٣١) طه باقر، ملحمة جلجامش، ص٣١.
(٣٢) مجموعة مؤلفين، ص١٥٠.
(٣٣) المصدر نفسه.
(٣٤) المصدر نفسه ، ص١٥٣.
(٣٥) المصدر نفسه .
(٣٦) عبد الواحد، ص١٢٣.
(٣٧) ينظر: طه باقر، من تراثنا اللغوي، ص٩ ومابعدها. و:علاء اللامي، الحضور العربي والآرامي والعربي الفصيح في لهجات العراق والشام العامية، ص٨١ ومابعدها.
(٣٨) ينظر: باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٣٧, ينظر: ملحمة جلجامش، ص٢٥ وما بعدها.
(٣٩) سوسة، ص١٥٤.
(٤٠) باقر، ملحمة جلجامش، ص ٢٧. ويؤيد هذا الرأي قول عبد العزيز لازم ،أدب الحكمة والنصيحة، ص١١١: «لقد استمرت اللغة السومرية لغة التعليم خلال الفترة البابلية والآشورية أيضاً. وقد سجل الحكيم البابلي في جملة من الأقوال المأثورة التي راح يتداولها سكان العراق في ظل الحكم البابلي. يقول الحكيم: «الكاتب الذي لايعرف اللغة السومرية كيف يستطيع إيصال الترجمة بشكل دقيق» .
(٤١) ينظر: باقر، ص ٤٩ .
(٤٢) عبد الواحد، ص١٤٥
(٤٣) باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٥ .
(٤٤) باقر، ملحمة جلجامش، ص١١ .
(٤٥) باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص١٥.
(٤٦) المصدر نفسه، ص٣٩ وينظر: فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، ص١١٣.
(٤٧) باقر، ملحمة جلجامش، ص٣٠ .
(٤٨) ينظر: صاموئيل نوح كريمر، التاريخ يبدأ من سومر. ص ١٣. وباقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٣٢.
(٤٩) هامش: يقول طه باقر، ص٣٥: «ومن الطريف ذكره بهذا الصدد أنه مع هذا القدم الموغل في الزمن فإن أدباء العراق عدوا أنفسهم حديثي العهد في

الحضارة، وأنهم ورثاء ماض مجيد متقادم العهد، تخيلوه على هيأة عصر ذهبي كان الخير والسلام يسودان الأرض فيه فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع الإنسان البقاء».
(٥٠) لازم، ص١٤.
(٥١) المصدر نفسه، ص٨ .
(٥٢) باقر، ملحمة جلجامش، ص١٣.
(٥٣) ينظر: باقر، المصدر نفسه، ص ١٥.
(٥٤) باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٥٢.
(٥٥) باقر مقدمة أدب العراق القديم، ص٦٩، و: فاضل عبد الواحد، ص١٤٥.
(٥٦) المصدر نفسه، ص٦٩.
(٥٧) ينظر: باقر، ملحمة جلجامش، ١٦-١٧.
(٥٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ٧١ ومابعدها.
(٥٩) يقول طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص٤٠: «اعتاد الملوك الآشوريون أن يصطحبوا في حملاتهم الحربية- بالإضافة إلى المهندسين وآلات الحرب والعربات الحربية الضخمة- عدداً من الكتاب لتسجيل سير المعارك. وإن أولئك الكتاب الأدباء المجهولة أسماؤهم هم الذين خلفوا لنا تلك القطع الأدبية الرائعة في النثر الأدبي أو الشعري. «فإن» الكتبة البابليين خلفوا لنا أيضاً نماذج من النثر الفني في تصوير زحف الجيوش وأهوال السير واحتدام المعارك».
(٦٠) فالح مهدي، صلوات الإنسان من سومر إلى الإسلام، ص٨ .
(٦١) ينظر: المصدر نفسه، ص١٧.
(٦٢) باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص١٨٨ .
(٦٣) حسب الله يحيى، ذاكرة القراءة، ص١٥٦.
(٦٤) ساكز، ص ٤٨٤.
(٦٥) ينظر: المصدر نفسه.
(٦٦) لازم، ص٢٦.
(٦٧) حكمت بشير الأسود، أدب الرثاء في بلاد الرافدين، ص ١١.
(٦٨) المصدر نفسه.
(٦٩) المصدر نفسه.
(٧٠) المصدر نفسه.
(٧١) باقر، ملحمة جلجامش، ص٣٧.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٣٨.
(٧٣) المصدر نفسه، ص٢٩، وقوله: «لايمكن الجزم هل أن أصل كلمة الشعر السومرية (سر أو شر) مأخوذ من الكلمة البابلية (شيرو) أو العكس .
(٧٤) باقر، ملحمة جلجامش، ص ٢٨.
(٧٥) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٧٦) المصدر نفسه، ص٣٠ وما بعدها.
(٧٧) يقول طه باقر، ملحمة جلجامش، ص٣٠«لا يمكن الوقوف على أوزان الشعر السومري بوجه مضبوط بحسب معرفتنا الراهنة. على أن الحال يختلف بالنسبة إلى اللغة البابلية وشعرها بسبب ... من وشائج القربى القوية مابين اللغة البابلية وبين أخواتها من اللغات السامية المعروفة التي لا يزال بعضها محكياً، وفي مقدمتها العربية والعبرانية والآرامية».
(٧٨) المصدر نفسه، ص٣١.
(٧٩) المصدر نفسه.
(٨٠) ينظر: الأسود، ص٢١. وينظر مصدره .
(٨١) يسميه ابن رشيق، العمدة ج١، ص٣٢١، (المماثلة)، «وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى».
(٨٢) ينظر: الحاج هاشم الرجب، الأبوذية، ص٩.
(٨٣) السياب، مجلة الفنون، بغداد العدد٢٢، آب ١٩٥٧م، ص٨ يقول السياب:»لقد قرأت بعض القصائد البابلية القديمة، واستطعت أن أمسك ببعض العروق التي تصل الشعر البابلي بالأبوذية العراقية، ومنها موضوع التكرار... إن الأبوذية ما هي إلا امتداد للشعر العربي البابلي القديم نتج عن طبيعة الحوافز المؤثرة عليها تأثيراً متشابهاً» .
(٨٤) عن صيغ لفظ الاسم في الكتابات المسمارية، ينظر: باقر، الملحمة، ص٥١. وقد تداول هو الاسم (جلجامش)، في حين جعله عبد الحق فاضل (قلقميش)، أما (غلغامش) فورد عند جبرا في ترجمته، ص ٢٤٦ وما بعدها. ويقول ساكز، ص ٤٤٥: إن الملحمة «تسمى بالأكدية باسم السطر الأول منها (شي نقب امر sa nagba imuru)- أي الذي رأى العمق».
(٨٥) ساكز، ص ٤٤٥ .

(٨٦) باقر، ملحمة جلجامش، ص٤١.
(٨٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٨ ومابعدها .
(٨٨) ساكز، ص٤٤٦.
(٨٩) ينظـر: باقـر ملحمـة جلجامـش، ص٧٣. عبد الحق فاضل، ص١٧٦.
(٩٠) مجموعة مؤلفين، ص٢٤٦.
(٩١) باقر، ملحمة جلجامش،ص١٣- ١٣٨.
(٩٢) عبد الواحد، ص١٤٧.
(٩٣) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(٩٤) محمد صبري، المسرح العراقي القديم، ص٣٧.
(٩٥) المصدر نفسه، ص٤١.
(٩٦) المصدر نفســه، ص٣٩. وينظـر: باقر، ملحمة جلجامش، ص٥٢ ومابعدها.

٭مصادر الدراسة ومراجعها:

٭ الأسود، حكمت بشير:
ـ أدب الرثـاء في بـلاد الرافديـن، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨م.
٭ باقر، طه
ـ مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦م.
ـ ملحمـة جلجامـش، دار الحريـة للطباعـة، بغداد ١٩٨٠م.
٭ دانيال، غلين:
ـ الحضـارات الأولى- الأصـول والأسـاطير، ترجمـة سعيد الغانمي، كتاب دبي الثقافية، دار الصدى للطباعة والنشر، دبي، ٢٠٠٩م.
٭الرجب، الحاج هاشم محمد:
ـ الأبوذية، مركزالتراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة، ١٩٨٨م.
٭رشيد، د. فوزي:
ـ الشرائـع العراقيـة القديمة، دار الحريـة للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م .
٭ابن رشيق، أبو علي الحسن:
ـ العمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه ونقـده، تحقيـق محمد محيي الدين عبـد الحميد، دار الجيل، بيروت،١٩٧٢م.
٭ ساكز، هاري:
ـ عظمــة بابل، - موجز حضــارة وادي دجلـة والفرات القديمة، ترجمة وتعليق الدكتور عامر سليمان، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت.
٭ سلمان، د. عامر:
ـ محـاضرات في التاريـخ القديم (مشـترك)، مطابع جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٨م.
٭سوسة، د. احمد:
ـ حضارة وادي الرافدين بين السـاميين والسومريين، دارالحرية للطباعة، بغداد،١٩٨٠م.
٭السياب، بدر شاكر:
ـ مجلة الفنون، بغداد العدد٢٢، آب، ١٩٥٧م.
٭ صبري، محمد:
ـ المسرح العراقي القديم، مطبعة المعارف، د.ت.
٭ عبد الواحد، فاضل:
ـ من ألواح سـومر إلى التوراة، دار الشـؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
٭فاضل، د. عبد الحق:
ـ هـو الـذي رأى ـ ملحمـة قلقميـش، دار الحريـة للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.
٭ لازم ،عبد العزيز:
ـ أدب الحكمة والنصيحة في العراق القديم، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢م.
٭اللامي، علاء:
ـ الحضـور العربـي والآرامـي والعربـي الفصيح في لهجات العراق والشام العامية، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ٢٠١٢م .
٭مجموعة مؤلفين:
ـ ماقبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٭كريمر، صموئيل نوح:
ـ التاريـخ يبدأ من سـومر. ترجمة ناجية المراني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
٭ مهدي ، فالح:
ـ صلـوات الإنسـان مـن سـومر إلى الإسـلام، المركز العلمي العراقي، بغداد،٢٠١٠م.
٭ النوره جي، أحمد خورشيد:
ـ مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية

العامة، بغداد، ١٩٩٠م.

* **يحيى، حسب الله:**

ـ ذاكـرة القـراءة، دار آراس للطباعـة والنـشر، أربيل،٢٠١٢م.

The ancient Iraqi literature reception in the efforts of modern Researchers

Dr. prof. Ali Haddad

Abstract

The ages of the ancient Iraqi civilization, which on the land of Mesopotamia produced a rich and varied literary offer, The various literary arts included poetry with its narrative and lyrical content, Its purposes, and the literary narratives that are represented in myths, stories, proverbs and wisdoms.

After the strenuous efforts of exploration missions, It has extracted many of the old Iraqi heritage and put it within the reach of reading, study and research has found many contemporary researchers of Iraqis and foreigners between the available in their hands of the number of that civilization and its blogs a large area of literary work, which they cared about and highlighted the contents, And translated from the original language into modern languages, including Arabic This research came to check their efforts and reflect them and reflect their ideas about them and the nature of the impact that is still present in the types of Iraqi literature, especially popular in his stories and hymns and its ilk .



سقوط مدينة بابل على عهد الملك نبونائيد آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة:

دراسة في عوامل الأنهيار

أ.د.ابتهال عادل ابراهيم الطائي*

* تمهيد تأريخي:

شهدت بلاد وادي الرافدين في أواخر الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد تغيرات سكانية كبيرة تمثلت بدخول العديد من القبائل الآرامية اليها وأستقرارها فيها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد أستطاعت بعض هذه القبائل تأسيس امارات مستقلة أخذت مع الزمن تنافس الممالك الأخرى الموجودة سابقا في جنوب بلاد وادي الرافدين، فاستقرت بعض القبائل الآرامية والتي عرفت بقبيلة كلدو[١]

والتي خضعت في أول أمرها لنفوذ الدولة الآشورية ولكن بعد ضعف الوجود الآشوري استغل هذ الضعف نبوبلاصر(٦٢٦-٦١٥ق.م) زعيم هذه القبيلة فأستولى على السلطة هناك ونصب نفسه بشكل رسمي في بابل عام (٦٢٥ق.م) ومع مرور الزمن وطد سلطته في كل أنحاء البلاد ثم أسهم في التحالف مع الملك الميدي كي أخسار(٦٢٥-٥٨٥ق.م) في الأجهاز على ما تبقى من الدولة الآشورية وأحتلال العاصمة نينوى عام (٦١٢ق.م) ثم حران آخر المعاقل الآشورية عام (٦١٠ق.م) وأسس بذلك سلالة جديدة حكمت بلاد بابل وسيطرت على معظم البلدان والأقاليم التي كانت تابعة للآشوريين لمدة تناهز القرن وعرفت في المصادر التاريخية بأسم المملكة البابلية الحديثة أو المملكة الكلدية.[٢]

* جامعة الموصل/ كلية التربية/ قسم التاريخ

تمثـل آخر عهـود الحكم الوطنـي في العراق القديـم وقـد أسـتمر حكمها مـدة قصيرة لم تتجاوز القرن الواحد (٦٢٦-٥٣٩ق.م) وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي حكمت فيها المملكة البابلية الحديثة الا ان عهدها كان بحق مـن العهود المجيـدة في تاريخ العـراق القديم من الناحيتين السياسـية والحضارية فأما من الناحيـة السياسـية فقد ورثـت كل ممتلكات المملكة الآشـورية وحلت محلها فضمت جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم تحت سلطانها بل وأمتدت بنفوذها الى سـواحل البحر المتوسـط شمالاً كما أمتدت سيطرتها الى سواحل الخليج العربي جنوباً كما كان لهذه المدة أهمية خاصة في دراسـة التغيرات الجذريـة التي حصلت في مدن بلاد سـوريا وفلسـطين لا سـيما بعد ان قضى نبوخـذ نصر عـلى دويلة يهـوذا ورحل سـكانها الى بابل. أما مـن الناحية الحضارية فقـد وصلـت مدينـة بابـل الى قمـة مجدهـا وأزدهارهـا الحضـاري وغدت أروع وأوسـع مدن العالـم القديم قاطبة بل فاقت بسـعتها وعظمتها وشـهرتها جميع العواصم الآشورية كما فاقـت مدينة أثينـا وروما والأسـكندرية وغيرها وغدا أسـمها يطلق عـلى العراق بأسره قديماً وكانت جميع الآثار المكتشـفة في مدينة بابـل مـن بقايـا معماريـة وغيرها تعـود إلى العصر البابلي الحديث[٣]

الأوضـاع السياسـية «عـصر الركـود السياسي (٥٦٢- ٥٥٥ ق.م)»

لـم يكن نبونائيد من العائلـة المالكة الحاكمة، ولكنه ينحدر من عائلة بابلية رفيعة المسـتوى فهو نجـل الحاكم والأمير المدعـو نبو- بلاطو أقبـي، الذي كان حاكما على حران أما أمه فقد كانـت أدد- كوبـي الكاهنة العليـا لمعبد الإله سـين إله مدينـة حران وربمـا كانت من أسرة آشورية أرستقراطية أو أنها من العائلة الملكية الآشـورية حيث أن أحد النصوص المسـمارية يشـير الى أنها كانت قد ولدت في منتصف عهد الملـك آشـوربانيبال ومن المعـروف أنه في تلك الحقبة كانت كهانة المعابد

الرئيسـة تعهد الى أمراء وأمـيرات من العائلة المالكة كما يشـير النص نفسـه الى أنها عاشت عمراً طويلاً ١٠٤ سـنوات وعاصرت عدداً من الملوك الآشـوريين والبابليـين وتوفيت في عهد أبنهـا نبونائيـد الـذي ورث عن أمـه الأهتمام

بالشـؤون الدينيـة وخاصة عبادة الإله سـين (القمر) الذي كرست حياتها له.[٤]

كان على نبونائيذ وهو آخر الملوك البابليين بعد توليه الحكم أن يواجه الاضطراب الداخلي الذي حدث بعد وفـاة الملك نبوخذنصرالثاني والذي خلفه على العرش ملوك ضعفاء لم يسـتطيعوا أن يحكموا البلاد أكثر من ست سنوات ونصف ولـم يتمكنوا من خلالها السـيطرة على حدود البلاد فكان عهدهم عهد ضعف أضطربت فيه الأحوال الداخلية وقامت فيه التمردات [٥]، توفي نبوخـذ نصر في المدة الواقعة بين ٢٦ ايلول و٦ تشرين الاول عـام (٥٩٣ ق.م).[٦] واول هؤلاء الابناء اميل مـردوك(٥٦٢-٥٦٠ ق.م) (أويل مـردوخ ٢ملـوك ٢٥ : ٢٧؛ ارميـا: ٥٢-٣١) الذي قتل في ثورة بعد حكم قصير دام سـنتين ولا يعـرف عنه الا الشيء القليـل الى جانب ما ذكـره العهد القديم (٢ ملـوك ٢٥ : ٢٧-٣٠) من انـه اظهر حسـن معاملتـه الى يهوياكين حاكم دويلة يهوذا الذي كان مسجونا في بابل.[٧] وقد اطلق سراحه ربما لرغبة الملك في جذب الاعوان أو كاشارة ود الى مصر لان هذا الحاكم ووالده كانا حليفين لمصر.[٨] وكان للكهنة دور في تلـك الأضطرابات فقد ثاروا عليه لسـماحه لليهود بممارسـة طقوسهم الدينية بكل حرية وعلى نطاق واسع فلهذا أقدموا على قتله[٩] وقد دبرت المكايد ضده للاطاحة به بعد مؤامرة من قبـل زوج اخته وأبن عمه نرجلسـار (٥٦٠-٥٥٦ ق.م) (نرجـال- شـار- اصر ارميا ٣٩: ٩) والذي كان احـد القادة الذين قاموا بمهمة عسـكرية كبيرة في عملية حصار اورشليم على يـد نبوخذ نصرالثاني لذلـك فقد كان يحظى بأحترام ومكانة خاصـة في نفس نبوخذ نصر وهـذا ما جعله يحظى بشرف الزواج من ابنته ولهذا يمكن القول انه سار على خطى السياسة التي كان ينتهجها نبوخذ نصر واستمر حكمه للبلاد حوالي ثلاث الى أربع سـنوات.[١٠] وهناك شخصية يجب التوقف عندها بالتازار هل هو أبـن نبونائيد أم حفيد الملك نبوخذنصر الثاني من زوجتـه الأميرة المصريـة نيتوكريس حيث كان قد عين مسـاعداً للوصي منذ السنة الثالثة من حكم أبيـه الملك نبوخذنـصر الثاني وكان هو الآخر حاكماً في عهد نرجلسار وهذا يوضح الخلـط الذي وقـع فيه الكتاب الكلاسـيكيون بـين الملـك نبوخذنصرالثاني والملـك نبونائيد

وبالتــازار من جهــة أخرى وقد خلـط المؤرخ اليونانــي هيرودتس(الــذي عــاش في القــرن الخامــس قبل الميــلاد) بين الأثنــين خلفه على العرش ابنه لاباشي مردوك وكان لايزال صغيراً فقــد أغتيل هو الآخر[١١] ويبدو أن كتاب النبي دانيال الذي يتحدث فيه عن أحلام نبوخذنصر الثاني ينطبق خير الأنطباق على قصة نبونائيد وقد فسر أحــد أحلام الملك وكأنــه يتزعم فترة حكم الملك من قصره ويعيش سبع سنوات مع الحيوانــات وتخبرنــا النصوص بــأن نبونائيد بقي مدة ســبع ســنوات في تيماء وأن بالتازار أدار الحكم في بلاد بابل وقاد الجيش بنفسه[١٢] وتؤشر لنــا مدة حكمه ندرة في النصوص التي وصلــت الينا من عهده حيث كانت قصيرة ولم تتجاوز الثلاثة اشــهر وواجــه فيها معارضة واســعة ادت الى عصيان كبار موظفي المملكة وتنحيته عن العــرش بتأييد ومباركة من قبل رجال الديــن والكهنة مرة أخــرى[١٣] ونصب بدلا منه نبونائيد (نبونيدس) الدبلوماسي الذي كان قــد بعثه نبوخــذ نصرالثاني بالمفاوضات بين الليديين والميديين عام(٥٨٥ ق.م).[١٤]

كان نبونائيد من الشــخصيات البابلية البارزة إذ تشــير النصوص المســمارية أنــه قام بدور الوســيط لتسوية الخلاف بين الميديين ومملكة ليديا في عهد الملك نبوخذنصر الثاني وقد ســاد الأعتقاد بين أوساط الباحثين بأن الملك نبونائيد من الشخصيات الضعيفة والمهزوزة حيث كان همــه الأول الأهتمام بالبحث عن الماضي وآثاره وجمع النصوص القديمة وأستنســاخها حتى عده الباحثــون أول آثاري في العــراق؛ غير أن مانشرته النصوص التأريخية قد بين أنه فضلا عن أنه كان ملكاً ذا ثقافة عالية فأنه كان رجلاً بارعاً في السياســة ذا قابلية فائقة وقد شــعر بالمشــكلات والمخاطر التي كانــت تهدد كيان الدولة في الصميم فعمل جاهداً لتخليص البلاد من مشــاكلها وأيجاد الحلــول الناجحة لذلك.

كانــت معلوماتنا عــن الملــك نبونائيد تنحصر فيمــا ورد ذكره في المصادر البابلية وخصوصاً حوليــات الملــك وتقاريــره التــي تحدثت عن أنتقالــه الى تيمــاء وتحركاتــه السياســية والعسكرية في شمال الجزيرة العربية لكن بعد أكتشــاف مجموعة مهمة من النقوش العربية القديمــة والتي كتبت من قبل ســكان المنطقة ولغتهم ســلطت الضــوء على حقائــق جديدة

عن طبيعة العلاقة بين القبائل العربية هناك وبين الملك البابلي هذا من جانب ومن جانب آخر فقد أوجدت تلك المصادر توازناً متنوعاً في المصادر والمعلومات التأريخية شمل كل جوانب وحيثيات الموضوع وأتاح الفرصة من أجل التحقيق في صحة المعلومة التي يسوقها كل طرف عن نفسه(١٥) لقد واجه نبونائيد عند أعتلائه العرش أثر الأنقلاب الذي جاء به الى العرش البابلي المشاكل الداخلية والخارجية وقد تحدد وأنحصر الارتباك والاضطراب الداخلي في مشكلتين أساسيتين الاولى الناحية الاقتصادية والثانية الناحية الدينية.

المشكلة الأقتصادية:

ترك لنا عصر الملوك الكلديين القصير الأمد ذخيرة من سجلات التاريخ والنصب والمدونات الملكية والرسائل التجارية القادرة على أعطاء صورة شبه متكاملة للدولة البابلية الحديثة ومن هذه المجموعات تظهر صفتان متميزتان تضفيان على كامل الحقبة خصوصية متفردة أولاهما التحديث الديني المقرون بنشاط عمراني واسع النطاق، وثانيهما أستعادة المعابد لدورها كمؤسسة أجتماعية وأقتصادية كبيرة. كانت الظروف والطبيعة الجغرافية وأرادة الحكام قد حتمت على الدولة الآشورية أن تتحول الى دولة عسكرية ولقد أدت هذه العوامل الفاعلة خلال الف عام من التدهور السياسي الى جعل بابل الوريث الشرعي والحامي الحقيقي للتراث السومري والأكدي لذلك فقد أتخذت النهضة البابلية في القرن السادس قبل الميلاد شكل أحياء وتحديث ديني حيث كرس الملوك الكلديون وقتا وجهودا وأموالا طائلة لأعادة وأحياء الطقوس القديمة والأحتفال بالأعياد الدينية بعروض فخمة وفي نصوصهم الملكية جرى التأكيد على أنجازاتهم العمرانية أكثر من أعمالهم الحربية فالكثير من المخلفات والنقوش التي بقيت من عهد نبوخذ نصر الثاني لا تشير الى حملاته الحربية بل أن غالبيتها تتناول أنجازاته في مجال التعمير والبناء.(١٦)

كانت القصور البابلية على العكس من القصورالآشورية، فلم تكن الأبواب تحرس بمنحوتات حجرية ضخمة كما لم تكن هناك منحوتات حجرية أو مصورات بارزة تزين جدران القصور بسبب أنعدام الأحجار في

القسم الجنوبي وكثرة الأعمال الفنية على الآجر وخير دليل على ذلك هو ظهور الأعمال الآجرية في مدينة بابل إبان سلالة بابل الأخيرة أو ما بعد العصر البابلي الحديث، حيث تضمنت هذه الأعمال صورا لحيوانات وتخطيطات لبنايات وأعمدة بالألوان المختلفة على الواح الآجر المصقول؛[١٧] وخير تعليل لظاهرة التوسع العمراني الكبير الذي شهده هذا العصر، أن مآثر الملوك البطولية في المعارك لم تعد تحتل المكانة الأولى لدى ملوك هذا العصر بل جاءت أعمالهم الدينية في بناء المعابد وأعمالهم الدنيوية في بناء القصور خير شفيع لهم لتخليد أمجادهم.[١٨] فهذه النشاطات العمرانية الواسعة التي أضطلع بها الملوك وتحديداً الملك نبوخذنصر الثاني في مدينة بابل وغيرها من المدن كانت لها آثارها السلبية على الناحية الأقتصادية نظراً لأنها أرهقت خزينة البلاد على مشاريع لاتعود بالفائدة الى البلاد وسحبت أعداداً كبيرة من الأيدي العاملة للعمل في تلك المشاريع غير المنتجة كما كان للحملات العسكرية المتكررة ومشاركة أعداد كبيرة من الأيدي العاملة فيها عامل آخر في تردي وسوء الأوضاع الأقتصادية.[١٩]

لقد كان اعتماد ملوك الدولة الاشورية على المعابد بدرجة كبيرة جدا لضرورة ألجأتهم إليه الحاجة لكسب الدعم والثبات السياسي، حيث شملها أشراف إداري صارم.[٢٠] لكن الظروف التي أدت الى سقوط الدولة الاشورية قد حررت المعابد من التدخل الحكومي الى حد بعيد. فقد كانت سياسة الملكين نابولاصر ونبوخذنصر الثاني (٦٢٦-٥٦٢ق.م) تعتمد على التمسك والاخلاص للتقاليد الدينية القديمة المتوارثة، فعمدا الى بناء المعابد وتزيينها، وامتنعا عن التدخل في شؤون المعبد واكتفيا باجتزاء نسبة ٢٠٪ من مواردها.[٢١]

لم يقتصر عودة تعاظم المعبد في العصر البابلي الحديث على الحياة الدينية بل شمل كذلك الحياة الاقتصادية للمجتمع البابلي بدرجة تضاهي اهمية المعبد الاقتصادي في عصر فجر السلالات قبل نحو الفي عام وعلى عكس ما لاحظنا من اتجاه العصر البابلي القديم ولاسيما عصر حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) إلى تقليص سلطات المعبد وتعاظم سلطة القصر والفصل بين السلطة الزمنية والسلطة

الدينيــة وتشــير الوثائق الدينيــة الكثيرة التي وجـدت في معابـد هـذا العـصر مثـل منطقة المعبـد في مدينـة الوركاء(أي-أنـا) إلى ازدياد أملاك المعبد واتساع نشاطه التجاري في داخل البلاد وخارجها، بحيـث كان مركزا اقتصاديا واجتماعيـا مسـتقلا عـن الحكومـة تقريبـا، واسـتطاع المعبد أن ينافس سلطات الحكومة والملـك ويسـتقل عنهـا والحقت بـه أصناف عديدة من الموظفين مدير الشؤون الاقتصادية Shatammu والناظـر Qipu والمسـجلين والكتبة إذ اتسـعت اعمال المعبـد الاقتصادية فشـملت اسـتئجار العمـال والمعبـد وحـرث الحقـول وحفـر القنـوات في الارض الزراعية العائـدة إليـه وكري أنهار الـري الى غير ذلك من أوجه النشاط الاقتصادي الواسع وبضمن ذلك الاعمال المصرفية الكثيرة.[٢٢]

عانـت بابل مـن صعوبات ماديـة، فقد كرس الملوك الكلديـون وقتا وجهـودا وأموالا طائلة لإعادة بنـاء المعابد واحيـاء الطقوس القديمة والاحتفال بالأعياد الدينية بعروض فخمة وفي نصوصهم الملكية جرى التأكيد على انجازاتهم العمرانيـة.[٢٣] يضـاف إلى ذلـك أن الدولـة البابليـة الحديثة كانت مواردها المالية اقل من الدولـة الاشـورية كما أن الدولة الاشـورية لم تحتفـظ بجيش جاهز للمعركـة وانما حددت الضغـط عـلى قواتهـا البشرية وذلـك بالقيام بالحملات العسـكرية لعدة أشهر من كل سنة فقط.[٢٤] أما الدولـة البابلية فكانت تعمل منذ عهد نبوخذنصر الثاني على وجود جيش جاهز للمعركة قد يبقى لعدة سـنوات كما هو الحال في حصار صور الذي أشـار إليه حزقيال(٢٩: ١٧-١٨) والذي أسـتمر دون نجاح لمدة ثلاث عـشرة سـنة؛[٢٥] بالأضافة الى الامـوال الكثير اللازمـة إلى إعالة جيش دائمي وعلى الرغم من بقاء سـوريا وفلسـطين بأيدي البابليين إلا أن التمـردات القائمة بأسـتمرار فيها جعلت تلك البقاع البعيدة مصدرا للأعباء الثقيلة أكثر من كونها مصدرا للعون والرفاهية.[٢٦] فلم تسـد الثروة الزراعية الواسعة الحاجات الضرورية، وممـا زاد في تفاقـم الوضـع تناقـص الموارد التجاريـة التي كانت من أهـم مصادر الرخاء في حضارة بلاد الرافدين فقد حرمت بلاد بابل من الموارد التجارية المهمة في الاقاليم الشمالية الشرقية على أثر ظهور الدولة المادية.[٢٧] وأكثر

مـن ذلك قيام الدولة الفارسـية الاخمينية،[٢٨] التـي خلفتهـا في أحتكار الطـرق التجارية في تلك الاصقـاع كما أن المـدن الفينيقية الكثيرة فقدت الكثير من مقومات رخائها وثروتها بعد أن أصبح القرن السـادس قبـل الميلاد العصر الذهبي للتوسع الاستيطاني والبحري للإغريق ممـا أدي الى أنتقـال تمركز الموانـئ التجارية الرئيسـية لشرق البحر المتوسـط من الساحل اللبناني إلى الموانئ اليونانية والايونية والليدية إلى كليكيا ومصر.[٢٩]

كما قادت الأوضاع التي عاشها القسم الجنوبي من العراق خلال أكثر من مئتي سـنة بسـبب الصراع والحـروب بين الاشـوريين والكلديين وسـلالة القطـر البحـري إلى تغـير وصرف الطرق التجارية التقليدية التي كانت تصب في بابل عن الفـرات أو الطرق البرية المحاذية له. أدت هـذه الظروف الى انتقال خطوط التجارة نحو الغـرب حيث أصبحـت تجـارة القوافل وعقدها في أنحاء الجزيرة العربية شـهيرة بين مراكز الدول المجاورة. ففي رسالة معنونة الى أشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٧ق.م) يخبره كاتبها أن تاجرا أسمه Ammemi-ilu من أهل تيماء زار شـمش- شـوم- أوكن في بابـل،[٣٠] المهم في هـذه الرسـالة أرتباط تيماء التي سـتكون مستقرا لبنونائيد وقاعدة أنطلاق نحو حملاته في الجزيرة العربية بالتجار والتجارة.[٣١]

وبالطبـع فقد أفـضى تضخم الانفاق وشـحة الموارد الماليـة للمملكة إلى أسـتنزاف الخزينة الملكية مما أثر كثيرا على الأقتصاد بشكل عام، وفي ضوء هذه الحقائق يمكن تفسير الازدياد في أرتفاع الاسعار ما بين بداية هذا العهد ونهايته التي شـهدت أرتفاعا فاحشـا يمكن تتبعه من فحص الوثائق الاقتصادية الكثيرة التي جاءتنا مـن هذا العهـد مثل سـجلات البيـع والشراء والاجور والقروض،[٣٢] بحيث اصبح الشـيقل الواحد يزن حـوالي ٣/١٠الاونس، ويسـاوي المـن حوالي شـيقلا ووزنه ٥٠٠غـم تقريبا. أما الطالنـت فيزن حوالي سـتين منا أي حوالي ٣٠ كغم تقريبا.[٣٣] وبلغ معدل الارتفاع ٥٠٪ بين عامي (٥٦٠-٥٥٠ق.م) وبلغ مجموع الزيادة الكليـة مـن عـام (٥٦٠- ٤٨٥ ق.م) نحـو ٢٠٠٪،[٣٤] كما ارتفعت أسـعار المواد الغذائية والحاجيات اليومية الاخـرى وزيادة التضخم وقلـة المـواد الغذائيـة الأساسـية الى درجـة

تضاعفت فيها الأسـعار وحلت بالبلاد مجاعة وقد نسـب نبونائيد ذلك الى عدم تقوي الناس وتشـير بعض العقود القانونية المكتشـفة الى أن بعض الناس من الفقـراء أضطروا الى بيع أولادهـم أو تقديمهم على أقل تقدير الى المعابد تخلصاً من نفقاتهم المعيشية؛ ويصعب التأكد هـل واكبت زيادة الأجور أرتفاع الاسـعار على أن الانطباع العام يشـير إلى أنها لم تماشيها في الارتفاع بحيث التجأ عامة الناس الى القروض مـن المعابد ومـن البيـوت الماليـة والمصارف ومـن أصحـاب رؤوس الأمـوال مـن المرابين بفوائـد عالية وكثرت المصارف والبيوت المالية الخاصة مستغلة حاجة الناس إلى النقد وربما كان اليهـود المسـيطرين عـلى تلـك المصارف والبيوتات والمستغلين لحاجة الناس فزادوا في نسـبة الفوائد زيادة كبيرة، جديـر بالذكر أن اسـتعمال النقود الرسمية المسكوكة في العراق والـدول المجـاورة لم يتـم إلا منذ عهـد الملك الاخمينـي دارا الاول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) بعـد أن ظهرت في ليديا (آسـيا الصغرى) في القرن السـابع قبل الميلاد ومع أن اسـتعمال المعادن وفي مقدمتهـا الفضة بأوزان معينة واشـكال خاصة كان شـائعا في العـراق في مطلع الالف الثاني قبل الميـلاد الا أن العهد البابلي الحديث تميز بأطراد اسـتعمال الفضة وحدة للاسعار الاخرى وتحديدها بالنسـبة إلى الذهب بمقدار ٤أو ١٠ إلى واحد وقد بلغت نسـبة الفائدة على الديـون ٤٠-٥٠٪ بينما كانـت خلال القرنين المتقدمين تبلغ ١٠٪.[٣٥]

وإلى جملة هذه الاسـباب يعود تصدع الحركة التجاريـة في عصر الدولة البابلية الحديثة فقد كانت بـلاد بابل تتألف من خليـط من الأقوام فضلا عن سـكان البلاد الاصليـين، كان هناك الاراميون والمصريون واليهود. فقد أثر اليهود الذيـن كانوا في بابل في تلـك الفترة تأثيرا كبيرا لمضاعفـة الاسـعار ورفـع نسـبة الفوائد على القروض، مما أضطر بعض المقترضين إلى بيع أملاكهم بل أنهم باعوا أولادهم سـدادا لدينهم وكان هذا في السـنوات الاخـيرة للدولة البابلية الحديثـة، كما كانت معدلات الاجور التي تدفع للموظفين والعمـال لاتواكب الارتفاع الفاحش في الاسـعار[٣٦] وازاء هذا الوضـع المتردي الذي أصـاب الخطـوط التجاريـة للدولـة البابلية وبالتـالي أدى إلى تدهـور الوضـع الاقتصادي

فيهـا، فقد أدرك بعض ملـوك الدولة ضرورة أتخـاذ التدابـير اللازمة من أجل انقـاذ البلاد من الضائقة الاقتصادية التي أخذت تسري في كيانها.

المشكلة الدينية:

أرتكـزت المعتقـدات الدينية في بـلاد الرافدين على مبدأ الشرك وتعـدد الآلهة وقد أحتل الآله مـردوخ إله بابـل القومي مـكان الصدارة الى درجـة حـورت جميـع القصص والأسـاطير الدينيـة لتضعه في مقدمة الآلهـة وتجعل منه بطلا لها إلا أن أحتكاك البابليين بأقوام أجنبية تعتقـد بمعتقدات أخرى مختلفة قد خلق نوعاً مـن البلبلـة والأضطراب ولا سـيما المعتقدات التـي جاء بهـا الميديون من جهـة ومعتقدات اليهـود مـن جهـة أخـرى والذيـن جـاء بهم الملـك نبوخذنصر الثاني الى بـلاد بابل والذين أعتمـدت ديانتهـم أساسـا على مبـدأ التوحيد فضلا عن ذلك فقد كانـت عبادة الإله مردوخ عبـادة محليـة مرتبطـة ببلاد بابـل بالدرجة الأسـاس لذا فأنها لـم تلق التأييـد والترحيب في أرجـاء الأمبراطورية البابلية الواسـعة التي ضمـت أقوامـاً مختلفـة من حيـث المعتقدات الدينيـة. وقـد كانت للمعبـد وكهنتـه في هذا العـصر أهمية ومكانة كبـيرة تضاهي ما كان لـه من نفوذ في عصر فجر السـلالات قبل ذلك بأكثـر مـن الفي سـنة فبعد أن تقلـص نفوذ المعبـد وكهنته تعاظمت سـلطة ونفـوذ الملك والقصر منذ بدايـة العصر البابلي القديم، عاد المعبـد ليحتل مركـزه الأول في العـصر البابلي الحديث ولا سـيما في مدينـة الوركاء فأزدادت أملاكه وأتسـعت أراضيه وزاد نشـاط كهنته الأقتصـادي حتى غدا بـؤرة النشـاط الديني والأقتصادي في المدينة ويتمتع بأستقلال شبه كامـل عن القـصر الملكي يقابل ذلـك بالطبع تقلص وأنكماش في السلطة المركزية الى درجة أصبح المعبد ينافس الملك وينازعه في سـلطته السياسـية وربما يكون هذا من الأسباب التي دفعـت نبونائيد لإجـراء تغيـيرات وتعديلات جذريـة في المعتقدات الدينية السـائدة وكذلك تدخله المباشر في شؤون المعبد من خلال تعيين موظفـين ملكيين في المعابد الرئيسـية مما زاد من سـخط كهنة المعابد ولاسـيما كهنة معبد الإله مـردوخ على الملك وموظفيـه ورغبة منه في التوفيـق بـين المعتقـدات الدينيـة في أرجاء



البلاد الواسـعة ومن أجـل تقليص نفوذ كهنة الإله مردوخ كما يبـدو فقد أتخذ نبونائيد من الإله سـين اله القمر والإلـه الحامي لمدينة أور في جنوبـي العراق ومدينة حـران على الحدود السـورية إلهاً أعـلى ورئيسي في عمـوم أرجاء الدولـة مع الأعـتراف بالآلهـة الأخـرى؛ فإله القمر مـن الآلهة التي كانـت تعبدها مختلف الأقـوام التي دخلت تحت رايـة الدولة البابلية ولكن بأسـماء مختلفـة في حين كانـت عبادة الإله مـردوخ إله مدينة بابل عبادة محلية غير معروفة خارج حدود بلاد بابل وآشـور فضلا عـن تأثر الملك نبونائيد الى درجة كبيرة بعبادة الإله سـين من أمـه وأبيه اللذيـن كانا يعملان في خدمـة هـذا الإله لمـدة طويلـة في معبده في مدينـة حران. وقـد ينظر الى هـذه التغييرات في المعتقـدات الدينيـة البابلية والـذي جاء به الملـك نبونائيد بأنه دعوة شـبه توحيدية تحد من الشرك وتعـدد الآلهة ويمكن مقارنتها مع دعـوة أخناتون في مصر والـذي دعا الى عبادة قرص الشـمس آتـون ألإ أن نبونائيد لم يحرم باقـي العبـادات وظـل يعتقد ويؤمـن بتعدد الآلهة وتنفيذاً لتلك السياسـة الدينية الجديدة فقـد عمـل نبونائيـد أول الأمر عـلى تخليص مدينة حران من أيـدي المحتلين الأمانمندا. ثم باشر بإعادة بناء وترميم معبد إله القمر سين فيها؛ وكعادة الشعوب القديمة في بيان أسباب قيامهـم بأعمـال معينـة فقد أدعـى نبونائيد بأنه رأى حلماً أمره فيه الإله سـين بأن يخرج الأمانمنـدا من حران ويعمر معبـده فيها وقد كان أهتمام نبونائيد بالإله سـين مثار سـخط كهنـة الإله مـردوخ وغيره من الآلهـة البابلية حيث عدَّ ذلـك خروجاً عن المعتقـدات الدينية التقليدية القديمة السائدة آنذاك فأثاروا الناس ضـد ملكهم وضـد العبادة الجديدة وتسـببوا في فوضى سياسـية وعصيان لأوامر الدولة الى درجة أن أحد النصوص يذكر: «نسي أبناء بابل وبورسيبا وأور ولارسا وسـكان المدن الدينية في أكـد.... واجباتهـم وتحدثـوا عـن الخيانة وليـس عن الطاعـة. كما قـام بإعـادة أعمار معبـد الإله القمـر في مدينـة أور وأعاد تعيين إدارات جديـدة في المعابد الرئيسـة في الوركاء وغيرها من المدن البابلية مما يشـير الى أدخاله نوعاً مـن الإصلاحـات الدينية. وقد أسـتغلت الأسر اليهوديـة التـي كانت تعيش بسـلام في

مدينــة بابل الأزمة الدينية هذه والخلاف الذي كان موجوداً بين الملــك نبونائيد ورجال الدين مــن الكهنة فزادت حــدة الخلافات وحرضت كهنــة الإله مردوخ على الملك ونشرت الدعايات المغرضــة هــذه وأتهمتــه بالهرطقــة والكفر والخــروج عن المعتقدات الدينية الســائدة.(٣٧) فالموقف الســلبي لرجــال الدين مــن نبونائيد يعود للسياســة التي انتهجهــا نبونائيد معهم وحاول ان يجعل من حران ومن الهها «سين» بديــلا لبابل والهها مردوخ وحدد السياســات الاقتصاديــة للمعابد مما اثــار حفيظة الكهنة عليــه، ومما زاد في تفاقم الامــر ان غياب الملك نبونائيد عن بابل لمدة عشر سنوات قد ادى الى توقف اشــهر واهم الاحتفالات الدينية في البلاد وهي احتفالات رأس الســنة (اكيتو) المكرســة للاله مــردوخ اله بابل الرئيــسي،(٣٨) فقد كان توقــف الأحتفــالات أو إلغاؤهــا يعنــي إعلان الحداد الوطني ولم تغفل كتب الأخبار البابلية أن تشــير الى ذلك: «ســنة ...لم يــأت نبونائيد الى بابــل، ولم يذهب الإله نابــو الى بابل، ولم يخرج البعــل، وتوقف عيد الأكيتو»،(٣٩) ووقد عــبر الكهنة عــن نقمتهم بشــكل علمي وذلك بالاتصال بكورش الثاني ودعوته على ما يبدو للقدوم الى مدينتهم.

حلول وإجراءات الملك نبونائيد:

وضع حد لإستقلالية المعبد

لقــد كانــت سياســة نبونائيــذ عــلى العكــس مــن سياســة ســابقيه، فعزم عــلى وضع حد لإســتقلالية المعبــد ووضــع نشــاطات المعبد الاقتصادية لــلاشراف الملكــي الدقيق فانتدب لهــذه المهمة اثنــين من الموظفــين الكبار هما: الضابط الملكي ســيد العينة، والضابط الملكي المؤتمن على صندوق الملــك ووكلهما على معبد انانــا في الوركاء عام (٥٥٣ ق.م) وزودهما بالتعليمات لــلاشراف على الصفقات التجارية لهــذا المعبد وتأمــين جباية منتظمــة لضريبة العــشر وبالتاكيــد فان هــذا الاجراء قــد اوغر صــدور الكهنــة عليــه،(٤٠) فشــنوا عليه حرب التشــهير والمعارضة التي وجدت ارضا خصبة حيــث كانت البــلاد مهددة بالاطمــاع الايرانية ويعد هذا التدخل في شؤون المعبد من العوامل المهمة التي عجلت في ســقوط نبونائيد(٤١) لكن ينبغــي القول ان هذه التغــيرات الادارية التي شــهدها حكم نبونائيد قد حدت من ســيطرة

المعبـد الكاملة على وارداتها واصبحت الانظمة الادارية الى جانب مصلحة الملك وبالتالي فانها تصب في مصلحة الدولـة الاقتصادية من اجل سـد نفقاتها المختلفة. كما عمد الملك نبونائيد الى الاهتمام بمدينـة اور وتجارتها مع الخليج العربـي ويمكن تفسـير اهتمـام نبونائيد بها ذلك الاهتمـام الذي بلغ حـد مضاهاتها لبابل ورفع شـان إلهها سـين (اله القمر)(٤٢) الى ما يوازي شـأن الاله مردوك كبـير الالهة البابلية بسـبب المكانة الاسـتراتيجية التي تحتلها اور في التجـارة الخارجيـة . كمـا ان امـر اهتمام نبونائيد بمدينة اور من جانب وكذلك اهتمامه بطرق القوافل التجارية وعقدها الرئيسـية في الجزيرة العربيـة وخاصة تيماء يعكس جانبا مـن الاوضـاع الاقتصاديـة وربما السياسـية المتردية في بابل، التي أراد نبونائيد لها مخرجا وحلا بالتوجه صوب هـذه المراكز فكانت أور بالنسـبة إلى التجارة البحرية، وتيماء بالنسبة للتجارة البرية المدينتين المنشودتين.(٤٣)

التوجه الى شمال الجزيرة العربية:

كما حـاول نبونائيد أتخاذ التدابير الضرورية لمواجهـة تفاقمات الأزمـة الأقتصادية فحاول نقل ثقل الدولة الى الغرب لضمان أمن الطرق التجارية القادمة من جنوبي الجزيرة العربية والحصـول عـلى مـوارد جديـدة مـن الطرق التجارية في شـمال الجزيرة فقـررأن يتوجه الى شـمال شـبه الجزيرة العربية؛ فأتخذ الملك نبونائيد سياسـة جديدة في التعامل مع العرب فبعد أن كان أسـلافه يتبعون سياسة الغارات العسكرية المفاجئة ضد العرب وبلادهم حاول الملك نبونائيد الى تطبيق فرض الهيمنة المباشرة وبسـط النفوذ والإقامة هناك؛(٤٤) ونصب أبنه بيل- شـار- اصغر وصيا على العرش في بابل حيث كان قد أشركه في الحكم منذ سـنة حكمه الرابعة، ونقرأ في أحد النصوص المسمارية عن حملة عسـكرية أخترقت الأراضي السـورية في سنة حكمه الثالثة وتم تجميع قواته العسكرية هناك «قام شـعب أكد وبلاد حاتي (سـوريا) بتأمـين الحراسـة لي وحققـوا سـلطتي عـلى المسارات البعيدة وعللا الطرق المنعزلة»(٤٥) وفي سنة حكمه السـابعة أي عام (٥٤٩ ق.م) قام بحملة عسـكربة بإتجاه الغرب مارا بسـوريا حتى وصل تيماء مخترقاً الأراضي الصحراوية وحـاصر آدمو(الجـوف تبعد ٢٨٠ميـلا شرق

العقبــة) ثم توجــه الى تيمــاء وقتــل حاكمها المدعو(يتر) وسكانها وسكان المناطق المجاورة وقطعان الماشــية ثم قام بإعادة بنائها وشــيد سورا للمدينة وبنى فيها قصرا شبيها بالقصر في بابل ووضــع فيها حامية عســكرية وأتخذ هــا قاعدة إنطــلاق لحملاته العســكرية حيث أن موقعهــا غربي الجزيــرة العربية يتيح لها فرصةالتحــرك بســهولة من واحــة الى أخرى وأقام فيها عشر ســنوات وتذكر كتاباته أنه في سنة حكمه العاشرة كانت المؤن تنقل بواسطة الجمــال مــن المعبــد في أوروك(الــوركاء) الى نبونائيد في تيماء [٤٦] نقرأ في نقش حران حول الإقامــة في تيماء ومن ثم التوجه الى باقي مدن شــمال غرب الجزيرة العربيــة: «وأنا خرجت من مدينتي بابل وســلكت طريقــي الى مدينة تيمــاء؛ مدينة دادان؛ مدينة فدك؛ مدينة خيبر؛ مدينــة بديع وحتى مدينة يثرب عشر ســنوات متتالية تجولت بينهــا مدينتي بابل لم أدخلها «فأستناداً الى الرواية البابلية فأن الملك قد ترك مقاليــد الأمــور في بابل لأبنه في ســنة حكمه الثالثة وتوجه الى شمال الجزيرة العربية».[٤٧] كان مــن الضروري بعد ذلــك القيام بحملات عسكرية لضمان السيطرة الكاملة على المنطقة فأندفــع نحو الجنــوب خلال فــترة مكوثه في الجهات الغربية مسافة ٢٥٠ميلا الى أن وصل يثرب «يتريبو» وترك له حاميات عســكرية في الواحات الست بعد أن سيطر عليها في الشمال والجنوب وهــي، العلى، البديــع، خيبر، يثرب، فــدك، تبوك، وأســكن فيهــا جماعــة من بلاد الشــام ومن بابــل ولعل من بينهــم يهوداً من الاسرى الذين رحلهم نبوخذنصر[٤٨] حســبما جاء في النــص البابلي: (أنا نبونائيد، أبن وحيد ليــس له أحــد، لم يكن في ذهنه تســلم العرش الملكي الالهة والالهات صلوا من أجلي، ودعوني لتســلم الحكم، في الليل جعلني أرى حلما قال لي مــا فيــه: (أهلّهلّ)أو(أخلخــل) معبد ســين في حران شــيده بسرعــة. أريــد ان أعطيك كل البلاد في يد(ك). الناس، ســكان بابل وبرســيا ونيبور وأور وأوروك ولاســا، الكهنة أناس من أكــد أخطأوا في حق ألوهيتــه الكبرى وارتكبوا إثما في عدم معرفة الغضب المخيف لملك الإلهة «ننــار Nannar (ســين)» نســوا طقوســهم وتكلموا كذا وزوروا. كالكلاب افترس بعضهم بعضــا. جعلت (الآلهة) مرضــا وجوعا ينتشر

بينهم. هو(ســين) أنقص سكان البلاد. أما أنا فقد جعلني أهرب من مدينتي بابل، وســلكت الطريــق إلى تيماء، دادانــوDadanul، باداكو Padakku، خيبر Chibra، يديخوYadichu، يثربو Yatribu عشر سنوات تجولت فيها ولم أدخل مدينة بابل[٤٩]... كما اتضح من ســياق الاحــداث انه في بداية اقامــة نبونائيد في تيماء كان مــن الضروري القيام بعمليات عســكرية لضمــان الســيطرة الكاملــة على المنطقــة [٥٠] فاندفــع نحــو الجنــوب في خلال فــترة اقامته في الغــرب مســافة مئتين وخمســين ميلا ومر باماكــن يمكن معرفتها حتــى وصل اخيرا إلى يثرب ويذكر نبونائيد على وجه التخصيص انه تــرك حاميات واقام مراكز حول واحات ســت ذكر اسماءها هي:

العلا الحالية	دادانو	Da – da – nu
فدك الحالية	باداكو	Pa – dak – ku
خيبر الحالية	خيبر	Hi – ib – ra – a
بديع الحالية	ياديخو	Lu – di – nu
يثرب	يثريبو	Ia – at – ri – bu

وجميــع هذه الواحــات تقع إلى جنــوب تيماء بمســافة تبلغ ٣٧٠كــم.[٥١] ويصــف نبونائيد القــوات التــي اســتخدمها بانها «ســكان اكد وبــلاد حاتي» أي المواطنين البابليين وســكان المقاطعــات الغربيــة. ومن النتائــج العرضية الغريبة.[٥٢] ان خمسا من هذه الواحات الست المذكورة انفــا كانت آهلة بالســكان اليهود في عهــد الرســول «محمد صلى الله عليه وســلم» بعد الف سنة ومن الاقتراحات التي لا يمكــن التغــاضي عنها انه كان بــين القوات الذين رافقوا نبونائيد قسمٌ من اليهود، رغم انه لا يمكن اثبــات ما إذا كانوا مــن اولئك اليهود الذين تركوا فلسطين بعد فتح اورشليم أو انهم من اولئك الذين رحلــوا إلى بابل اثناء الترحيل البابلي زمن نبوخذنصر.[٥٣] ويبدو ان نبونائيد قد وطــن بعــض رعايــاه في جميــع الواحات السابقة الذكر لغرض الاقامة فيها وحمايتها. ويعبر عن ذلك بقوله «نشرت شعبي خارجا في الاقاليم البعيدة[٥٤] «ولتأكيد هذه العبارة هناك اشــارات اخرى لنبونائيد بانه اسكن جماعات مــن اليهود في مدينة حران والبقاع الأخرى من مملكته:

«وســقت إلى حــران جماعــات مــن بابل ومن سوريا العليا، من حدود مصر عند البحر الاعلى

إلى شـواطئ البحر الادنى وجميعهم ممن عهد بهم إلي الاله سـين ملك الالهـة».[٥٥] من خلال المعلومـات آنفة الذكـر التي جـاءت في اخبار سرجـون وتجلاتبليـزر الثالـث ونبوخذنصر بانهم رحلوا مجموعات من سـكان السـامرة ويهـودا وأسـكنوهم في بابـل وآشـور وحران وحلح يأتـي نـص نبونائيد الخـاص باعمار المعبـد في حـران مشـيرا إلى انـه اسـتخدم مجموعات من سـكان سـوريا لذا نعتقد بان من بين هؤلاء الذين شـاركوا في بناء المعبد من اليهود المرحلين.

عودة الملك نبونائيد الى بابل:

في السـابع عشر من شـهر تشرين سنة(٥٤٣ ق.م) غـادر نبونائيـد تيماء متوجهـاً الى بابل وهـذا ما يؤكـده نقش حـران الذي يـرد فيه مـا نصه: «(بعد) عشر سـنوات حـان الوقت، وأكتملـت الأيـام التـي أوحى بها ننـاري ملك الآلهة، في اليوم السابع عشر من شهر تشريت» وفي مكان آخر من النقش نفسه يؤكد نبونائيد بـأن خروجه من تيماء «بخـيرات كثيرة وغنى ووفرة سرت بقومي عبر(بلاد) الجبال البعيدة وبسلام سلكت طريقي الى بلدي» واذا كان زمن خروجـه من شـمال الجزيـرة العربية واضح المعالم من خلال رواية هذا النقش فإن أسباب خروجه مثلها مثل أسـباب مجيئه الى المنطقة تطرح أشكالية يصعب معها التحقق بدقة من الأسـباب الحقيقية التي أجـبرت نبونائيد على ترك المنطقة فشـواهد النقوش البابلية تكتفي بالقول أن معبود نبونائيد تحدث اليه في المنام وأبلغـه أن الوقت قد حان للخـروج من تيماء والتوجه الى بابـل[٥٦] «نمت (رقدت) وفي الليل كان الحلم مخيفا حتى (سمعت) كلمة (الإله): السـنة أكتملت وحان الوقت الذي أمر به ننار من تيماء (أمرني بالخروج)».[٥٧]

تكمـن الأسـباب الحقيقيـة التـي دفعـت نبونائيد الى الخروج بجيشـه وجنوده وحرسه مـن تيماء والتوجه الى بابـل إذ لوكانت الأمور تسـير حسـبما يريد لما أضطر الى الخروج من المنطقـة دون أن يترك أثرا يبقي ولو على جزء من سيطرته عليها فنبونائيد لو كانت سيطرته عـلى المنطقـة محكمة لقـام بـترك الحاميات العسـكرية في المدن التي أحتلها في شمال غرب الجزيـرة العربية وعين فيها حكامـاً من قبله يسـيرون الأمور فيهـا بما يخدم أسـتمرارية

تحقيق مصالحــه التي ترك دولتــه من أجلها ولكــن نبونائيــد يعلــم أن هــذه الإجــراءات لــن تتحقق لــه لأنــه كان يــدرك أن مثل هذه الحاميات العســكرية بأقامتها في أماكن بعيدة جدا عن العاصمة وعن مراكز التموين والإمداد السريع ســتكون فريسة ســهلة للغاية لسكان المنطقــة الذين كانوا على مــا يبدو غير راضين عن الوجــود البابلي فيها وينتهــزون الفرصة للقضــاء عليها أو إخراجهــا من مناطقهم على ضوء ذلــك يبدو أن هنــاك نوعاً مــن المقاومة الداخليــة كانــت تكافح من أجل أخــراج الملك وأتباعه وجنوده من المنطقــة وحينما تزايدت تلــك المقاومة قرر المغــادرة والتوجه الى مدينة بابل من أجل أن يشارك في الدفاع عنها وتقوية جبهته الداخلية وليكمل مشــاريعه العمرانية لــك؛ كانت الاوضاع قد تغــيرت إلى درجة كان بإمكان نبونائيد الــذي كان عمره آنذاك لايقل عــن خمس وســتين ولعلــه أكثر من ســبعين ســنة أن يعود إلى بلاده أن يجابه أية معارضة لمشاريعه في إعادة وبناء المعبد الكبير في حران فيما كان الملك المســن يكمل مشاريعه الطويلة في تعمير معبد أخولخول في حران كان كورش مشغولا بحرب الدعاية في المملكة البابلية.(٥٨)

وقبل انقضاء القرن السادس قبل الميلاد كانت خارطــة توزيع القــوى السياســية في العراق والــدول المجــاورة قــد تبدلت بســبب ظهور قــوى جديدة لم يحســب لها حســاب هي قوة الفــرس الاخمينيين الذيــن دخلوا الى إيران من جهة الشــمال في بداية الألــف الأول قبل الميلاد وأقامــوا لهم مملكة صغــيرة في أقليم فارس في القســم الجنوبــي الغربي من إيــران وتعاونوا مع الميديين على أنهاء الوجود السياسي للدولة الاشــورية. وفي عــام ٥٤٧ق.م أكمــل كورش الثاني ضم كامل بلاد إيران إلى مملكته وقضى على المملكة الميدية الواقعة في القســم الشــمالي الغربــي من إيــران ضمها إلى ملكه وفي ســنة ٥٣٩ق.م انقــضى العهد المبرم بينه وبين الملك نبونائيد وأســتولى على بعض الأراضي التابعة للدولة البابلية ثم قضى على مملكة ليديا وأخيراً أتجه الى بابل مســتغلا ســوء وتردي الأوضاع الأقتصادية التي عمت البلاد وأربكت أوضاعها السياســية مســتفيداً من الأسر اليهودية التي كانــت تعيش في بــلاد بابل في نشر الإشــاعات المضللة ضد الملك نبونائيد من جهة التي تمجد

الملك الأخميني من جهة أخرى .وبعد أن تهيأت الأجواء تقدم الملك الأخميني بجيشه نحو بابل فتصدى لـه الجيش البابلي عنـد مدينة أوبس عـلى نهـر دجلـة الا أن القائد البابـلي قتل في المعركـة فأتجه كورش الذي كان يقود المعركة نحو مدينة سبار ومن ثم الى مدينة بابل وبذلك انتـصر الملك الأخميني فضلاً عـن تزايد خطر القوة الجديدة التي بدأت يلوح نجمها ويتزايد نفوذها مهددة بمصالح القوى الأخرى ومنذرة بزوالها من الخريطة السياسية الا وهي الدولة الأخمينية ثم تمكن الفرس من الدخول الى بابل وأخراج الملك نبونائيد أسيراً منها ليقضي بقية حياتـه في كرمانيـا وأصبحـت الأراضي بما في ذلك الأراضي الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات تحت سـيطرته وأنهى بذلـك آخر الحكومات الوطنية في تاريخ العراق القديم وبداية وقوع العراق تحت السيطرة الأخمينية(٥٩)

يتبـين لنا مما تقـدم أن هناك عوامـل داخلية وخارجية ساهمت في حدوث الأنهيار السياسي، فالعوامـل الداخليـة قـد تمثلت بنفـوذ المعبد وسـيطرته عـلى عصـب الأقتصـاد فضلا عن الاعمـال العمرانية الكبـيرة التي تتطلب أموالا كثيرة لاتتناسب مع واردات الدولة القليلة، كما أن الحملات العسـكرية المتكررة على سـوريا وفلسـطين أنهكـت اقتصاد الدولـة رافق ذلك دور الاقليات الموجودة في بابل والتي مارسـت الكثـير منها الاعمـال التجارية ومـن ضمنها اليهود في تصدع الحركة التجارية. أما العوامل الخارجية المتمثلة في سيطرة الميديين والفرس الاخمينيـين واليونانيين على الطـرق التجارية بالنسـبة للخليج العربي والبحر المتوسط مما عجل بحدوث الأنهيار السـياسي والأقتصادي.

فهذا الوضع المتأزم دفع الملك إلى أتخاذ اجراءات مـن أجـل حلحلـة الوضـع فعمـد إلى احداث تغيرات في هيكلية المعبد والحد من نفوذ الكهنة وأصبحت الانظمـة الادارية إلى جانب مصلحة الملـك وبالتالي فأنها تصـب في مصلحة الدولة الاقتصادية من أجل سد نفقاتها المختلفة عمد الى تـرك مدينة بابل والبحث عن طرق تجارية جديدة لا تخضع لرقابة وسيطرة أحد وقصد من هـذا الاجراء نقل مركـز الثقل الاقتصادي الى الغـرب، ومحاولة توحيـد القبائل الارامية في حـران والقبائـل العربية في شـبه الجزيرة العربية وجعلها تقـف في صف واحد معه من

اجل التصدي للهجوم الميدي المتوقع لقد كانت تلك الجهود جريئة وسخية تجعله يقف في مصاف الملوك العظام الذين عرفهم تاريخ العراق القديم لكن هذه الامور لم يستوعبها كبار الكهنة ذوي النفوذ السياسي والديني المؤثر فاخذوا بحروب التشهير عليه المعارضة والتي وجدت الارض خصبة حيث كانت البلاد مهددة بالاطماع الفارسية؛ فالمملكة البابلية لم تعمر طويلا، وقبل انقضاء القرن السادس قبل الميلاد كانت خارطة توزيع القوى في العراق والدول المجاورة قد تبدلت بسبب ظهور قوى جديدة لم يحسب لها حساب هي قوة الفرس الاخمينيين الذين دخلوا إيران من جهة الشمال في بداية الألف الأول قبل الميلاد وأقاموا لهم مملكة صغيرة في أقليم فارس في القسم الجنوبي الغربي من إيران ثم تعاونوا مع الميديين على تحطيم المملكة الآشورية عام (٦١٢ ق.م). وفي (سنة ٥٤٧ ق.م) اكمل كورش الاخميني مشروعه التوسعي والمتمثل بضم كامل بلاد ايران الى مملكته بما في ذلك المملكة الميدية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من إيران ثم نقض عهده الذي كان بينه وبين الملك البابلي نبونائيد وأستولى على بعض الأراضي التابعة للدولة البابلية الحديثة ثم قضى على مملكة ليديا وأتجه بعد ذلك الى بابل مستغلا سوء الأوضاع الأقتصادية التي عمت أرجاء البلاد وأربكت أوضاعها السياسية ومستفيدا من الأسر اليهودية التي كانت تعيش هناك وتعمل على نشر الدعايات المضللة ضد الملك نبونائيد من جهة ونشر الدعايات التي تمجد الملك الأخميني كونه المسيح المنتظر الذي سينقذ البلاد من الهلاك من جهة أخرى وبعد أن تهيأت الظروف الملائمة لغزو بلاد بابل تقدم الجيش الأخميني نحو بابل فتصدى له الجيش البابلي عند مدينة أوبس على نهر دجلة الا أن القائد البابلي قتل في المعركة فأتجه كورش الأخميني نحو مدينة سبار ومن ثم الى مدينة بابل.

فلدينا عدة روايات تتوزع ما بين سجلات الأخبار البابلية وأسطوانة كورش التي عثر عليها في خرائب بابل عام ١٨٨٢م والكتاب الكلاسيكيون والعهد القديم كل منها يروي لنا قصة سقوط المدينة كما هو يرى ذلك وتتفق سجلات الأخبار البابلية مع أسطوانة

كورش على أن المدينة أحتلت دون «قتال»[٦٠] في حين يُرجع الكتاب الكلاسيكيون وفي مقدمتهم هيرودتس أسباب سقوط المدينة على أيدي الغزاة الإخمينيين الى خدعة فارسية تضمنت كسر نهر الفرات وتحويل مجراه الذي كان يؤلف جانباً من دفاعات مدينة بابل فأنخفضت مناسيب المياه فيه وأصبح من الممكن عبوره بينما تشير نصوص العهد القديم الى أن المدينة سقطت فجأة وهي في عيد وفي هذا يقول النبي أرميا:

«لقد مددت لك الشراك فسقطت،

ياباب على حين غرة»[٦١]

الإ أن سقوط المدينة كان بالدرجة الرئيسة بسبب وجود رتل خامس في داخل بابل يتزعمه ويوجهه اليهود؛[٦٢] كما أن دور الخائن غوبرياس الذي كان على علم تام بطبيعة الأمكنة وربما كان هناك خطأ في التحصينات الدفاعية من جهة المياه الآتية من نهر الفرات والتي كانت تتدفق في القنالين وفي الجورة الكبيرة فالدخول الى المدينة كان يتطلب أجتياز السور المزدوج ثم الدخول عبر بوابات المدينة[٦٣] في تشرين الثاني سنة ٥٣٩ ق.م انتصر على المملكة البابلية وضمها الى ملكه بما في ذلك البلاد الواقعة الى الغرب من نهر الفرات لي نبو أسر الملك البابلي نبونائيد وربما قتل وكان ذلك نهاية السلالة الكلدية ونهاية الحكم الوطني في البلاد حيث وقع العراق تحت وطأة الأحتلال الأجنبي ولحقبة طويلة حتى تم تحريره في معركة القادسية عام ٦٣٧ق.م.

الهوامش :

(١) برز اسم كلدو (kaldu) وسكانها الكلديين منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكانت المنطقة التي سكنوها تعرف باسم بلاد البحر او القطر البحري منذ القرن، الحادي عشر قبل الميلاد (mattam-tim) وان ارضهم سميت بلاد كلدو (matkaldu) ومن الجدير بالذكر هنا ايضا ان هناك عددا من المصادر التأريخية القديمة نسبيا تسمي الكلديين وفق الصيغة التوراتية بالكدانيين وتمثل وجودهم على شكل مجمعات قبلية تسمى بيوتا او مشيخات وكان يتزعم كل بيت او مشيخة زعيم اتخذ لنفسه لقب ملك كما سميت السلالة الكلدية بسلالة بابل الحادية عشرة ينظر: غزالة: المصدر السابق، ص ١٢-١٤؛ محمد، حياة ابراهيم: نبوخذنصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م.)، بغداد - ١٩٨٣، ص ٣٢-٣٣ باقر: مقدمة (١٩٥٥)،ج١، ص ٢٠١؛ سليمان: العراق في التاريخ القديم، ج١،ص٢٤٦ .

Brinkman،J.A.. «Notes on Arameasns and chaldeans in Southern Babylonia in Early Seventh Century B.C.» Orientalia، Vol.46،No.2، 1977PP. 304 – 306

(٢) مرعي، عيد: «بابل في عهد نبونائيد آخر ملوكها»، دراســات تاريخيــة العــدد٤-٦٣، دمشــق-١٩٩٨م، ص٢٨

Binkman،J.A.,"From Destruction to Resurection on ;the Antecedentss of Babylonia s Birth As Aword Power in the Seventh Century B.C "Sumer,Vol ..No.1-2,1985,P.110-112.

(٣) سليمان:العراق في التأريخ القديم، ج١، ص٢٤٦.

(٤) ينظــر: ســاكز:عظمة بابــل المصــدر الســابق، ص١٧٥؛

Lewy,J.,"Nitokris-Niqia" Journal of Near Eastern Studies Chicago-1952 Vol.6,P.273-278:Gadd.J.,"the Harran Inscription of Nabonidus"Anatolian Studies, ,Ankara-1958,Vol.8,P.35ff..

(٥) تــولى الحكــم بعد وفــاة نبوخذ نصر أحــد أبنائه وهــو أميــل مــردوك (٥٦٢-٥٦٠ق.م) الــذي قتل في ثورة بعد حكم قصير دام سنتين ،ثم أعقبه زوج أخته نرجلسار(٥٦٠-٥٥٦ق.م) والذي قتل بعد عودته من حملة عســكرية في كيليكيا (جبال طوروس) ثم خلفه أبنه لاباش مردوك حكم فترة قصيرة لاتتجاوز الثلاثة أشــهر حيث واجه معارضة واســعة أدت الى عصيان كبار موظفــي الدولة وتنحيته عن العــرش وقتله من قبل الكهنة الذين نصبوا نبونائيد ينظر:

Sack،R.H.,"Nergal-Sarra-Usur King of Babylon as seen in the Cuneiform,Greek,Latin and Hebrew Sources"Zeitschrift Fur Assyriologie,Leipzig-Berlin-.1978,Vol68,P.28-33

(٦) ســاكز: عظمــة بابل المصدر الســابق، ص ١٤٥؛ اوتس: المصدر السابق، ص ١٩٩،

Macqueen، J., Babylon, London –1964 p.146

(٧) ساكز: المصدر السابق، ص ١٤٥؛ اوتس: المصدر السابق، ص ١٩٩؛

Wiseman: opcit, p. 38.

(٨) جدير بالاشــارة الى انه تم العثور على الختم الذي يعود ليهوياكين في فلســطين والذي استنتج من خلاله كل مــن اولبرايــت ويدنر ومن لحق بهــم انه في الوقت الــذي كان فيه يهوياكين مســجونا في بابل فانه قد تم اعتباره ايضا حاكما على يهوذا . في هذا الامر ينظر :

Epha'l, I "On the Political and Social Organization of the Jews in Babylon Exile", ZDMG, Supp. 1-5، 1983, p.111.

(٩) حلمــي محــروس أســماعيل:الشرق العربــي القديم وحضارته،مؤسسة شــباب الجامعة،القاهرة-١٩٧٩م،ص٩٨.

(١٠) لا تتوفــر معلومــات عــن هــذا الملــك لان اللوح التاريخــي الــذي يســجل احــداث عــصره يعاني من النقص باستثناء السنة الثالثة . ينظر:

Wiseman: opcit.، p.39; Sack، R.H., "Nergal-Sara-USUR king of Babylon as seen in the cuneiform، Greek, Latin and Hebrew sources", ZANF، Vol.68, 1978, p. 129-149; Albright، W.F., "The Nebuchadnezzar and Neriglissar chronicles", BASOR، No. 143, 1956, p. 28-33.

(١١) مارغريت روثن: بابل ،ص١٦٦-١٦٧.

(١٢) روثن، بابل ،ص١٦٦-١٦٧.

(١٣) أســماعيل حلمــي محــروس: المصدر الســابق،

ص٩٨.
(١٤) رو: المصدر السابق، ص٥١٠؛ أوتس: المصدر السابق ، ص ٢٠٠؛
Macqueen: opcit., p. 147; Thompson: opcit, p. 281
(١٥) سعيد بن فايز السعيد : «حملة الملك البابلي نبونائيد على شمال غرب الجزيرة العربية»، بحوث تأريخية؛ الاصدار الثامن-٢٠٠٠ الجمعية التأريخية السعودية،ص١.
(١٦) محمد، حياة أبراهيم: نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ق.م، بغداد-١٩٨٣م، ص٤٦-٥٢.
(١٧) طه، منير: «الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي» ضمن كتاب النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، تونس-١٩٩٧م، ص٥٣.
(18) Barnet, R.D.,Assyrian Palaces Reliefs in British Museum,London-1970P.34:Frankfort،H.,the Art and the Architecture of the Ancient Orient,London-1969،P.107.
(١٩) سليمان: موجز تأريخ العراق السياسي، ص٢٥٤.
(20) Omsted,A.T History of Assyria,Chicago-1962,P.256
(٢١) رو، جورج: العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد -١٩٨٤م، ص٥٣٦-٥٣٧
(٢٢) باقر ،طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١، بغداد -١٩٧٣م ،١، ٥٥٦-٥٥٧، ص٩٠-٩١. وللمزيد من التفاصيل عن النصوص الاقتصادية الخاصة بهذه الفترة ينظر:
Pinches, T.G.، Neo-Babylonion and Achaemenid of Economic Texts .ed. finkel, I.L., London,1982.
(٢٣) رو: المصدر السابق، ص٥٢١-٥٢٢ ، ولمزيد من التفاصيل من اعمال نبوخذنصرالثاني العمرانية ينظر: محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص٩٥ وما بعد وعن اعمال نبونائيد العمرانية غزالة، هديب حياوي عبد الكريم، الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ص٢٠٣ وما بعدها.
(٢٤) ساكز، هاري: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان موصل -١٩٧٩ م، ص٣٠٦.
(٢٥) رو: المصدر السابق، المصدر السابق، ص١-٥٣٦.
(٢٦) رو: المصدر السابق، ص٥٣٧-٥٣٨؛ باقر: المصدر السابق، ص١-٥٥٨
(٢٧) الميديين: لقد ورد اول ذكر للميديين في نصوص الملك الاشوري شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ق.م) عندما قام بحملات تأديبية عليهم في منطقة قزوين من اجل كبح جماح القبائل التي كانت تهدد الجناح الشرقي للدولة الاشورية، ينظر:
Luckenbill,D.D.,Ancient Recoreds of Assyrain and Babylonia New-York,1926 -1927: Vol .1,p.581, Daniel، D. G.,The Meades and Persians ، London -19, .5,p.41-46
(٢٨) الجدير بالذكر ان الفرس كانوا اصلا احدى القبائل الهندوآرية المهاجرة التي استقرت اخيراً في عيلام وقد اسست عائلتهم المالكة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، بعد ان قضى اشور بانيبال على مملكة عيلام اخمينس(حا خمانيش) وقد دفع ارتفاع شأن قوة مملكة فارس الملك الميدي استيا جز ان يزوج ابنته من قمبيز الاول ومن هذا الزواج ولد كورش، ينظر:Daniel: Op.cit, p.49-50
(٢٩) باقر: المصدر السابق، ص٥٥٨-٥٥٩ عن نص الرسالة ينظر: ABAB:, vol.26 . P.659
(٣٠) الهاشمي، رضا جواد: «تاريخ منطقة البصرة

القديــم» مجلة دراســات في التاريخ والاثــار، العدد٤، ١٩٨٢م، ص١١٢.
(٣١) باقر: المصدر السابق، ص٥٥٨.
(٣٢) رو: المصدر السابق، ص٥٣٨.
(٣٣) رشيد، فوزي: الشرائع العراقية القديمة، بغداد-١٩٨٧م، ص٤٠ اوتــس، جون: بابــل تاريخ مصور، ترجمة ســمير عبد الرحيم الجلبــي، بغداد -١٩٩٠م، ص٢٠٢ .
فالموقف الســلبي لرجــال الديــن من نبونائيــد يعود للسياسة التي انتهجها نبونائيد مع رجال الدين حيث حــاول ان يجعل مــن حران ومن الهها «ســين» بديلا لبابــل والهها مــردوخ وحدد السياســات الاقتصادية للمعابــد ممــا اثــار حفيظة الكهنــة عليــه، ومما زاد في تفاقــم الامــر ان غياب الملك نبونائيــد عن بابل لمدة عشر ســنوات قد ادى الى توقف اشهر واهم الاحتفالات الدينيــة في البلاد وهي احتفالات رأس الســنة (اكيتو) المكرسة للاله مردوخ اله بابل الرئيسي وقد عبر الكهنة عــن نقمتهم بشــكل علمــي وذلك بالاتصــال لكورش الثاني ودعوته على مايبدو للقدوم الى مدينتهم، ينظر: Pritchard،J;Antient Near Eastern Texts Relating to the old testament (ANET)، Newjersy – 1960,P.321f
(٣٤) باقر: المصدر السابق، ص ١، ٥٥٨ –٥٥٩.
Haerinck,E.،"Babylonia under Achaemenid Ruler "in esopotamia and Iran in Persian Period and Imperialiasm 539-331B.C،ed.Curtis,J.,London–1997, p.27-28.
(٣٥) غزالة: المصدر السابق، ص١٢٨، ١٣٤سليمان، عامر: «النظم المالية والاقتصادية الاصالة والتاثير» في العراق في موكب الحضارة، بغداد. ١٩٨٨م، ص.
(36) Dubberstein ,W. H.," Comparative price In Later Babylonia "American Journal of Semitic Languages and Litterateur Chicago-1930,Vol.LVT,P.20-43.
(٣٧) ســليمان: موجــز تأريــخ العــراق الســياسي، ص٢٥٤.
(٣٨) ينظــر: Pritchard, J; Antient Near Eastern Texts Relating to the old Testment (ANET)، Newjersey-1960,p.321ff
(٣٩) مارغريــت روثــن: تأريــخ بابل، ترجمــة زينة عازاروميشــال أبي فاضل، ط٢، منشــورات عويدات، بيروت-باريس- ص،١٣١.
(40)Albright،W.F.,"the Nebuchadnezzar and Neriglissar Chronicles",No.143,. Bullentin of American School of Orient Research،Baltimore-1956,P.129
(٤١) باقــر: المصــدر الســابق، ١/ ٥٥٧-٥٥٨؛ رو: المصدر السابق،ص٥٣٦؛ساكز:المصدر السابق،ص٣٣٤ .
(٤٢) باقر: المصدر الســابق، ١/٥٥٣، ساكز: المصدر السابق، ص٣٠٦.
(٤٣) مرعي: المصدر السابق، ص٣٥؛
(٤٤) السعيد: المصدر السابق، ص٢.
(45)ANET:P.363
(46) Gadd:Op.cit،P.85
(٤٧) السعيد: المصدر السابق،ص٣-٤
Grason,Ass rian and Babloia Chronicles,p.106-108
(٤٨) غزالة: المصدر السابق، ص١٥٤؛ رشيد، صبحي أنور: «الملك البابلي نبونائيد في تيماء»، ســومر، م٣٥، العدد ١-٢، بغداد-١٩٧٩، ص١٦٩-١٧١.
(٤٩) رشــيد، صبحــي انــور: «العلاقــات بــين وادي الرافديــن وتيمــاء» في دراســات في تاريــخ الجزيــرة العربية، الرياض -١٩٨٤، ص٣٨٨ .
(50) Gadd: opcit, p.85
(٥١) غزالــة : المصــدر الســابق، ص ١٥٤ – ١٥٦ ؛

غالب: المصدر السابق، ص ١٥٧.
Gadd: opcit, p. 81; Ephe'l: Ancient Arabs .opcit, p. 186

(٥٢) ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص ٨٧٨ .

(٥٣) ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص ١٧٨ – ١٧٩؛ غزالة: المصدر السابق، ص ١٨١ – ١٨٢؛ غالب : المصدر السابق، ص ١٨١- ١٨٢، وللمزيد من التفاصيل عن اليهود في شبه الجزيرة العربية ينظر، العقيلي، ارشيد: اليهود في الجزيرة العربية، ط١، عمان- ١٩٨٠م.

(٥٤) رشيد: الملك البابلي، المصدر السابق، ص ١٧١؛
Gadd: opcit., p. 86-87.

(٥٥) طومسون: المصدر السابق، ص ٢٣٧؛
ANET: p. 562-563.

(٥٦) السعيد: المصدر السابق، ص٦١.
Gadd,the Harran ,p62.

(57)Gadd,the Harran ,p62.

(٥٨) ساكز : المصدر السابق ، ص١٧٧؛ أوتس: المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٥٩) السعيد: المصدر السابق، ص٦٣-٦٤.

(٦٠) روثن: بابل المصدر السابق، ص٥١.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) سليمان: العراق في التأريخ القديم، ص٢٥٦.

(٦٣) روثن: بابل المصدر السابق، ص٥١.

The fall of the city of Babylon under the reign of King Nebonaide the last kings of the modern Babylonian state:

Dr. prof. Abtahal Adel Ibrahim Al – Tai

Abstruct

The economy of each States lifeblood, whenever economically stable State reflected positively and political institutions and became her weight and the weight of the political, but economic crises and obstacles may occur, it causes that aggravate the situation and conditions of major reasons coupled with secondary causes and taught wood shop this very last factors of collapse that occurred in the reign of the last Kings of the Babylonians is King Nebonaide (539-555 BC) where he has yet to face his inner turmoil that occurred after the death of King Nebuchadnezzar II, Internal turmoil and confusion had been limited to two economic and religious first second.



العلاقات الاشورية – الحثية

معركة نهاريا ونهاية المملكة الحثية

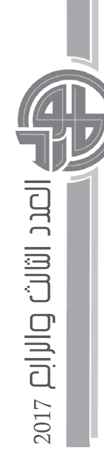
د. صلاح رشيد الصالحي*

دراسة وثيقة (RS 34 165) حول معركة نهاريا

جرت تنقيبات في موقع اوغاريت (رأس شمرا على الساحل السوري المتوسطي) عام (١٩٧٣)، وعثر على الكثير من الالواح كتبت بالمسمارية الاوغاريتية [١]، وحتما لها أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الإمبراطورية الحثية، ومن بين تلك الالواح وجدت وثيقة تحت رقم (RS 34 165) تستحق اهتماما خاصا لأنها تلقي الضوء على العلاقات الآشورية-الحثية في نهاية القرن الثالث عشر ق.م، وقد ترجمت نص الوثيقة الباحثة (Lackenbacher)، وأضافت لوحاً كبيراً له علاقة مباشرة ولوحاً آخر علاقته غير مباشرة بالوثيقة اعلاه، وقدمت هذه الالواح معلومات عن العلاقات الاشورية-الحثية [٢].

مضمون النص خطاب ملكي كتب باللغة الأكادية، وللأسف فإن هوية المرسل والمرسل إليه لا يمكن التأكد يقينا منهما لوجود كسر في السطرين الأولين، وما بقي في السطر الثاني عبارة (LUGAL KUR Ú) ربما هذه العبارة هي نهاية أسم المرسل إليه، وقد افترض أن اللوح يعود إلى إبرانو(إبراهيم) (Ibiranu) آخر ملوك اوغاريت (١٢٣٠-١٢١٠ ق.م)[٣]، وأما بخصوص تحديد هوية المرسل فقد بقي في السطر الاول من النص فقط (SAG ...)، ولكن وفق سياق الرسالة فلا شك هوالملك الآشوري ربما شلمانو-اشرد (Šulmānu-ašared) (شلمانصر الأول) (= SAG) وهومرسل الرسالة فعليا، أولها علاقة قريبة مع ابنه (تُكلتِ-ننرتَ) توكلتي-ننورتا الاول، والذي اسمه وألقابه قد كتبت في السطر الأول المفقود[٤].

تعود الفترة الزمنية للنص إلى عهد تودحليا الرابع ملك حاتتي، الذي كان معاصرا لكلا الملكين شلمانصر الأول وتوكلتي ننورتا الأول [٥]، والرسالة هي تقرير مفصل إلى ملك أوغاريت بخصوص الظروف التي أدت إلى المعركة الكبرى بين الجيشين الآشوري والحثي، ويمكن ترتيب تسلسل الأحداث التي وردت في النص على النحوالآتي:



* اكاديمي عراقي / جامعة بغداد

١- أرسلت الرسالة إلى ملك آشور من قبل تودحليا الرابع يتهمه بوضع يديه على تابعه بيل-مميتي (bēl-mamiti)[٦] وأن الملك الحثي هوالذي أعلن الحرب على آشور.

٢- رفض ملك آشور هذه الاتهامات[٧] وفي نفس الوقت تحركت قواته وعرباته الحربية باتجاه تايدي (Taedi) (في أعالي رافد الخابور).

٣- أرسل تودحليا الرابع رسوله حاملا ثلاثة الواح، هما اللوحان الاولان أطلق عليهما (الواح الحرب)، ونفهم من خلالهما حرص الجنود الآشوريين للقتال، ومع ردة فعل الملك الاشوري بالرفض والتحدي، قدم الرسول الحثي اللوح الثالث، وهو(لوح السلام)، وفيه يطمئن تودحليا الرابع عن النوايا الودية اتجاه الملك الاشوري، كما وعد الملك الحثي بتسليم بعض الرعايا الاشوريين الذين فروا من آشور إلى الأراضي الحثية، وما بقي من النص في حالة مجزأة للغاية.

٤-كانت القوات الحثية بقيادة الجنرال لوكال-نيمكر ($^{lu}GAL^{?}/^{lu}$ NIMGIR$^{?}$) واتخذت مواقعها في نيخريا (نهاريا) (Niḫriya) (أسم نيخريا باللغة الحورية = بالأكدية نَهاريا فعند ترجمة الاسم أحيانا يكتب الحرف (ḫ) فيقرأ (خ) نيخريا (عدم وجود حرف الخاء في اللغة اللاتينية)، وأحيانا يكتب الحرف (ḫ) يقرأ (هـ) نَهاريا، وفي نفس الوقت تقدم الملك الاشوري بقواته.

٥-قدم ملك آشور شكوى احتجاج مدعيا بأن نَهاريا التي احتلتها القوات الحثية هي في حالة حرب معه، وأنه سوف يفرض الحصار عليها ويطلب من تودحليا سحب قواته منها.

٦-رفض تودحليا طلب إخلاء المدينة، وأخذ القسم أمام آلهة الشمس بمواصلة الحرب.

٧-أرسل الملك الآشوري (لوح المعاهدة) ويطلب من تودحليا التصديق عليها أمام آلهة الشمس، ورفض تودحليا الطلب الاشوري.

٨-سحب ملك آشور قواته من مواقع قريبة من نَهاريا واتخذ موقعا جديدا في مدينة شورا (Šurra) (يعتقد أنها مدينة سافور (Savur) في اقليم ماردين في تركيا) [٨].

٩-أخبر السكان الهاربون من نَهاريا الملك الاشوري بأن الجيش الحثي تقدم لخوض المعركة، ولذلك وضعت القوات الآشورية في حالة تأهب.

١٠-تلي أسطر في (النص مجزءاً) ونتوصل من بعض الكلمات بأن ملك آشور ألحق الهزيمة بالجيش الحثي، ما تبقى من اللوح مفقود.

التوسع الاشوري باتجاه شرق الفرات

تعتقد الباحثة (Lackenbacher) بان الوثيقة تعود لفترتين هما نهاية حكم شلمانصر الأول (١٢٦٣-١٢٣٤ ق.م)، وبداية حكم توكلتي-ننورتا الأول (١٢٣٣-١١٩٧ق.م)[٩]، فنحن نعرف بان العمليات العسكرية للملك شلمانصر الأول قد شملت مناطق شمال بلاد الرافدين وضمن منطقتين:هما اوراراتو(Uruatri) وخانيكلبات (Ḫanigalbat)، وتتشكل اوراراتو(Uruatri) من مجموعة من البلدان الواقعة في المناطق الجبلية حول بحيرة فان (Van) (في شرق تركيا) [١٠]،وقد هزمهم الملك الاشوري في السنوات الأولى من حكمه، بينما كانت خانيكالبات (الاسم الاشوري لدولة ميتاني وعاصمتها واشكاني) دولة عازلة

وسبق وأن أسسها سوبيلوليوما الأول الملك الحثي، وقد خفض مكانتها السياسية حتى أصبحت مقاطعة تابعة لحاتتي في عهد الملك أداد نيراري الأول الاشوري، على كل حال ضم شلمانصر الأول أراضيها إلى آشور بعد توقف الدعم الحثي الذي سبق وأن قدم لملكها شاتورا الثاني (Šattuara) [١١] أما عن الامتداد الجغرافي لـ(خانيكالبات) فهي تمتد على طول الحافة الشمالية لسهل بلاد الرافدين الكبير، والتي ذكرها من قبل أداد نيراري الأول ووصفها شلمانصر الأول بانها ضمن المناطق التي استولى عليها[١٢] وحددها من طور-عابدين (Tūr-Abdin) غربا وعبر الروافد العليا من الخابور والبليخ وإلى الفرات، وعلى الرغم من ادعاء أداد نيراري الأول وبعده مزاعم شلمانصر الأول بانهما هزما بلاد شوباري (Šubari) شمال خانيكالبات[١٣]مع هذا لا يوجد دليل على وجود السيادة الآشورية في تلك المناطق، وهي مهمة تركت إلى توكلتي-ننورتا الأول.

بعد توتر العلاقات الآشورية-الحثية في عهد شلمانصر الأول، بدأت محاولة جادة لتهدئة الصراع والمنافسة بين الدولتين مع استلام توكلتي-ننورتا الاول العرش الاشوري[١٤]، وكان يواجه ضغوطا على مملكته من ثلاث جبهات، في الشمال من قبل المملكة الحثية، ومن الجنوب مملكة بابل، وفي الجنوب الشرقي مملكة عيلام التي بدأت في إعادة تنظيم قدراتها العسكرية والسياسية، ففي رسالة التهنئة التي كتبت باللغة الحثية المسمارية والتي ترجمها الباحث اوتن (Otten)، والتي وجهت إلى مسؤول كبير يعرف بالمصادر الرافدية بأنه يحتل مركزاً عالياً في بلاط توكلتي ننورتا الأول، وقد كتبت الرسالة على لوح واحد وعدد من المسودات، والغرض من الرسالة إيصالها الى الملك الآشوري نفسه[١٥]، وقد استخدم تودحليا لهجة ودية جدا بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما طلب من المستشار الاشوري بابو-آخو-ادينا (Babu-aḫu-iddina) الذي زار البلاط الحثي بضرورة حماية الحدود المرسومة بينهما منذ عهد شلمانصر الأول، وبالتالي فهواعتراف الملك الحثي بضم خانيكالبات أوما بقي من دولة ميتاني (إذا صح القول) إلى أشور، ويبدوأنها محاولة واضحة من تودحليا إبعاد عيون الآشوريين إلى منطقة أخرى، كما طلب من مبعوث الملك الاشوري بان يخبر سيده بالهجوم على البلاد التي وصفت بانها (ثلاث أوأربع مرات أضعف منك) وهي إشارة واضحة إلى مملكة بابل، وبالمناسبة سبق وأن أستخدم حاتوسيلي الثالث نفس الكلمات في رسالته إلى كدشمان-انليل-الثاني ملك بابل بالهجوم على المملكة الآشورية وكان يسعى في وقتها توريط بابل في صراع مع آشور[١٦]، ثم أكد تودحليا الرابع حول الصداقة بينهما وحتى تقديم المساعدة إذا حدث تمرد من قبل رعايا المملكة الاشورية ضد سيدهم، كما حذر الملك الحثي المبعوث الآشوري بابو-آخو-ادينا من مخاطر الحملة الآشورية المتوقعة على بلاد بابانخي (Papanḫi)، لان تلك المنطقة كما وصفها بانها (ذات جبال وعرة) ولكن يظهر أن الملك الآشوري استخف بالتحذير الحثي وعلى العكس قاد قواته إلى الشمال ضد بلاد شوباري كما هوفي نص الرسالة :

- (الفقرة ١) (ظهر اللوح A-8)هكذا يقول

جلالته، أخبر بابو-أخو-ادينا.
(الفقرة ٢) (ظهر اللوح: الاسطر9 -25)
عندما مات سيدك (يقصد شلمانصر الأول)، نسبوا الرجولة لابن سيدك (يقصد توكلتي ننورتا الأول) الذي ارتفع شأنه عليك، كما أعطاه الإله قلب، حتى في فترة حكم أبيه (...)، وهؤلاء الذين هنا نيابة عنه (؟) شيلي-آشور (Šilli-Assur)وامورو- عشريد -Amurru (ashared، كانوا قد اخبروني بخصوصه، بأنه اجلس نفسه على عرش أبيه، ما رأيك به؟ ولا حتى مثل الثور!، (...) ويستمر يقول هذا:(أنا أريد انجاز شيء ما! إذا الملوك الأجانب أصبحوا معادين لي فهم حتما سيأتون لمحاربتي، أنا سأعمل بالتأكيد سمعة لنفسي)، لان كثيرا (...)، ولأنه لحد الآن لم يتمكن (...) في الجبال بشكل خاص، اترك العدوضد من يريد إيقاعه (...) بقيادة الإله، لان أباه مات وهواجلس نفسه على عرش أبيهِ، الحملة العسكرية التي هوذهب لأجلها في المرة الأولى يجب على الشخص أن يتمتع بتفوق ثلاثة أوأربعة أضعاف التفوق العددي، إذا هو(...)، أوفي موقع محصن، في المرة الأولى هم سوف (...) وبنفس الأسلوب، ولكن الأراضي التي استولى عليها أبوه بقوته العسكرية (....)، فهم استمروا يخبرونني حول بلاد بابانخي (....) وجبالها الوعرة، إذن الحماسة (؟) (....) شيئا ما، لأنه حتى الآن استمر يقول (...) هم لن يفعلوه، الآلهة هكذا (...) وسابقا حيثما يريد أن يذهب – إذا السكان (...)، أوبعض القوات من البلاد ....) (ما بقي من اللوح مجزأ تصعب ترجمته) [١٧].

لم يكن النهج الودي من جانب واحد، فردا على شكوى قدمها تودحليا بخصوص بعض الحوادث على الحدود بين البلدين، وكانت إجابة توكلتي-ننورتا على تلك الشكوى: (كان والدي عدوك... ولكن أنا صديق بيل-سولومي (bēl-sulummê) (بمعنى حليف)، أخي)[١٨].

يظهر أن هناك محاولة لتسوية المشاكل بين البلدين بالطرق السلمية، أما الرسالة الموجهة إلى أوغاريت فهي على العكس تسعى لإثارة [١٩] التحدي فقد طلب الملك الاشوري من تودحليا مسك اللوح والقسم أمام آلهة الشمس، ورفض الملك الحثي القيام بذلك، وقدم توكلتي-ننورتا شكوى إلى الإله شمش (Šamaš) حول انتهاك المعاهدة بين بابل وآشور من قبل كاشتلياش الرابع (Kaštiliaš) ملك بابل واعتبر انتصاره في الحرب ضد كاشتلياش البابلي بانه حكم الإله شمش[٢٠].

على ما يبدوأن الاشوريين خاب أملهم من الحثيين حول التجاوزات الحدودية بين البلدين، ومع هذا لا تزال حالة السلام قائمة بينهما، ولكن سرعان ما نفد الصبر لدى توكلتي-ننورتا الأول فشن هجوما شرسا ضد الأراضي الحورية [٢١] في الجهة الشمالية الغربية والتي تشكل بلاد شوباري وهي ضمن مجال النفوذ الحثي [٢٢].

وبعد سلسلة من العمليات العسكرية قمع التمرد في مناطق قوتو(Qutu) واقيوماني (Uqumeni) في الشمال والشمال الشرقي، وتحول توكلتي-ننورتا ضد مجموعة من الأراضي التي تسمى مجتمعة بلاد شوباري بين طور-عابدين واعالي نهر دجلة، وتشمل كاتموخ (Katmuḫi)، اليزي (Alzi) (بالحثية اليشي Alše)، امادني (Amadani) (في وقت

لاحق عميدي Amedi) وبابخي (Papḫi) بمعنى بابانخي (Papanḫi) ولم يذكر أسماء ملوك أوامراء تلك المناطق، وقد سبق وان حذر تودحليا الرابع الملك الآشوري من التمادي في عملياته العسكرية في تلك المناطق ذات الجبال الوعرة [٢٣].



شكل ١: اكتشفت المذبح في معبد عشتار في آشور، خصص إلى الإله نسكو، عليه نحت بارز يمثل الملك توكلتي-ننورتا الأول مرتين في حالة وقوف وفي حالة سجود وتعبد أمام المذبح يحمل الصولجان بيده اليسرى وريشة رمز الإله نابوفي اليد اليمنى.

هذا التحرك الاشوري السريع دفع الحثيين إلى الرد الفوري في محاولة لإحباط التقدم الآشوري نحوأعالي الفرات، حيث يذكر ملك آشور في نقشين كتبا في نهاية حكمه ربما تعود تاريخيا بعد سلب بابل وأسر الملك كاشتلياش الرابع، ويدعي الملك الاشوري أن قواته أسرت ثمانية ملوك (Šár) و(٢٨٨٠٠) من الحثيين عبر نهر الفرات [٢٤] وهوبلا شك رقم مبالغ فيه إلى حد كبير، ورد هذا في حملة السنة الأولى من حكمه، وتدخل هذه الحملة ضمن اعتبارات اثبات قوة وتمجيد الملك الاشوري [٢٥]، ففي البداية سعى توكلتي-ننورتا في بناء علاقات سلمية مع الحثيين وعندما فشلت تلك المحاولات السلمية كان هذا الحدث العسكري الذي ذكر في حوليات توكلتي ننورتا الأول فيما بعد [٢٦] .

أما بالنسبة لأهمية هذا التقرير، فقد تصور بعض الباحثين وجود هجوم كامل وكبير فيما وراء نهر الفرات أي شمال سوريا وأدى إلى هزيمة الجيش الحثي [٢٧] والبعض الاخر من الباحثين قللوا من أهمية الحملة العسكرية الاشورية وافترضوا بأن الاشتباك كان طفيفا على الحدود وتم تضخيمه إلى انتصار ضخم [٢٨] فكلا النقشين اثارا حيرة الباحثين لأنه لم يذكر أي خبر من هذا القبيل في أي نقوش من السنوات الأولى من حكم الملك الاشوري فنحن نعلم بوجود الكثير من الرسائل في بداية حكمه تهدف إلى إقامة علاقات سياسية حسنة مع الحثيين [٢٩]، وعلى أية حال، لا يمكن أن تؤخذ المعركة الحربية التي ذكرها توكلتي ننورتا الأول كدليل على وجود حملة عسكرية كبيرة على المناطق الحورية في شمال غرب بلاد آشور في أواخر حكمه [٣٠].

لقد أخضع الملك الاشوري بلاد شوباري ومدنها والأكثر من هذا استولى على غالبية الطرق التجارية المهمة التي تقود عبر الفرات وإلى الاناضول بما في ذلك مناجم النحاس الاستراتيجية في يرجاني مادن (Ergani Maden) المعقل المهم والأخير وكان سابقا في حوزة الحثيين في شرق الفرات [٣١]، ومن ثم أصبحت مدينة إشووا (Išuwa) تحت تهديد توكلتي ننورتا الاول، ومع ذلك سعى الملك الاشوري إلى تأمين حدود بلاده الشمالية حيث تقع أراضي نائيري (Naïri) معقل التمرد ضد

الاشوريين.

تحديد موقع معركة نهاريا =نائيري = نخيريا

إن تحديد منطقة نائيري تعتبر مشكلة معقدة، أولا يجب علينا أن نذكر اصل اسم نائيري في المصادر القديمة والتي يطلق عليها بالمصرية نهرن (Nhrn) (الاسم المصري لملكة ميتاني) (بالأكدية نهر (nhr) ويقصد بها مملكة ميتاني (الاسم الحثي للمملكة ذات ثقافة حورية) وتقع بين الخابور والبليخ في سوريا حاليا)، وبالعبرية آرام نهرايم (Aram Naharaim)[٣٢]، أما أسم نيخريا (Niḫriya) فقد وردت في مصادر بلاد الرافدين ويعتقد انها لفظة حورية، وفي الحثية والاوراراتية تكتب نيخريا[٣٣]، ومن المؤكد أن أسم نيري (Ni-i-ri)[٣٤] يطابق أسم نيايري (Ni/aïri) الذي ذكر لأول مره في نقوش توكلتي-ننورتا الأول، واستمر ذكر أسم نَهاريا في الوثائق طيلة الالف الثانية ق.م[٣٥].

لقد كتب أسم نيخريا في ألواح العصر الآشوري القديم[٣٦] بعدة اشكال منها ناخيريا (Naḫiria)، وناخريا (Naḫria)، ونيخريا (Niḫaria) وكانت مركزاً تجارياً مهماً، ومقر كاروم (kārum) (مركز تجاري اشوري ومعنى (كاروم) ميناء أورصيف) يسيطر على ممر ارجاني (Ergani) في بلاد الاناضول، حيث يتم تبادل معدن القصدير في المدينة بالفضة، وبالتالي يجب أن تكون نائيري موجوده على الطريق الاستراتيجي لتجارة القصدير بين مدن آشور وكانيش (Kaniš)، وخاخوم (Ḫaḫḫum) لكون هذه الاخيرة أيضا كانت محطة تجارية آشورية تلي كانيش في بلاد الاناضول.

ويظهر أسم نيخريا (نَهاريا) في نصوص ماري (تل الحريري في سوريا)[٣٧] ضمن مراسلات شمشي-ادد الأول ملك آشور واتصالها بالمدن شودا (Šuda) وادموم (Admum)، وكان في حينها بونوما-أدد (Bunuma-Adad) ملك نيخريا كما جاء في رسالة مؤرخة من عهد زمري-ليم ملك ماري، كما وذكرت نيخريا في نصين حثيين ضمن قائمة الآلهة.[٣٨]

وفي العصر الآشوري الوسيط كتبت نائيري[٣٩] بعدة اشكال مثل نيري (Ni'iri) ونايري(Na'iri) ولكن اغلبها يأخذ الشكل القديم في كتابة الاسم، وذكرت بأنها تقع إلى الشمال من بلاد الشوباريين وخلف الحدود الشمالية لآشور، ولعل أسم نائيري قريب الشبه من اسم نَهاريا[٤٠]ويظهر أسم نيخريا (نَهاريا) في مسلة تعود إلى العصر الآشوري الوسيط عثر عليها في مدينة آشور[٤١]، وكذلك ورد الاسم في لوح من موقع تل الرماح[٤٢] وطبقا للوح آخر من نفس الموقع، ذكر فيه استيراد القصدير من نائيري[٤٣] وهذا التوافق مع الأدلة الآشورية القديمة حول نائيري يفسر الجهود المستمرة من قبل الآشوريين والحثيين للسيطرة على هذه المنطقة الصعبة والاستحواذ على هذا المعدن الذي يدخل مع النحاس في صناعة البرونز .

وفي نص من مملكة اوراراتو(عند بحيرة فان شرق تركيا) فأن أسم نيخيرياني (Niḫiriani) يقصد به المدينة الملكية آرمي(Arme) والتي أطلق عليها فيما بعد تسمية أرمينيا[٤٤]، وأصبح اسم نائيري في مصادر العصر الاشوري الحديث أكثر عمومية لتشمل أراضي

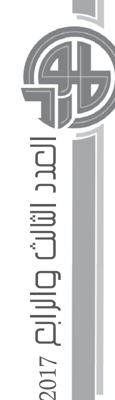
شمال بلاد آشور[٤٥] .

جرت محاولات كثيرة من قبل الباحثين لتحديد موقــع نَهاريا، ويعتقد بانهــا [٤٦] تقع في جهة مــا في الجنــوب، أوفي جهــة ما في شــمال طور عابدين التي تعتبر الخط الفاصل، وبذلك فهي تقــع ضمن الروافد العليا لنهــر الفرات وهما الخابــور والبليخ [٤٧] وقد ذكــرت في نصوص الفرعون تحتمس الثالث (١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م) (الأسرة الثامنــة عــشرة المصريــة) عندما قاد حملــة عســكرية وصلــت إلى الفــرات وهناك مارس هوايته في صيد الفيلة، واســتلم الجزية والهدايا من ملوك بابل واشــور وخيتا (الاسم المــصري للمملكــة الحثية) وذكر بان اســمها نهــرن وانســحب مــع قواته فيما بعد بســبب ابتعــاد الفرعــون عــن وطنه وشــدة المقاومة من لــدن الحوريين للغــزاة[٤٨]، عموما لنَهاريا علاقه بشــكل رئيسي مــع مملكة مــاري (تل الحريري في ســوريا) التي تقع جنوبها، بينما تذكر المصادر الآشــورية والحثيــة وأوراراتية بانهاتقع شمالا في مكان ما في أعالي وادي دجلة [٤٩]، وتقــدم الجغرافيا تصورات حول مراحل التوســع الآشــوري بانه بــدأ في خانيكالبات، وشــوباري، ونائيري، ولهذا فمن وجهة نظر الباحث (Singer) بأن نَهاريا تقع في شــمال أوشمال شرق ديار بكر[٥٠].

إن غزوتوكلتــي ننورتا الاول بــلاد بابانخي و(الجبــال الوعــرة) والتــي وصفهــا في نصوصــه: (الذي لم يســلكها ملك مــن قبله) وقــدم وصف عــلى حد قوله بأنــه إنجازٌ رائع للهندسة العسكرية (في مرتفعاتهم أنا وسعت طرقهــا(؟) بالفؤوس البرونزية) [٥١]، وبعد أن حقق انتصــارات رائعة هناك حمل لقب (ملك أراضي نائــيري) وهوأحد الألقاب التي أضافها توكلتي-ننورتــا إلى جانــب لقــب (ملــك بلاد شوباري)[٥٢].

وقــد ذكــر بأنه أسر أربعين ملــكا من ملوك نائــيري ومــن الأراضي التي تقع على شــاطئ البحر الاعلى وتم نقلهم إلى آشــور، ولكن لاحقا تــم اعادتهم كملوك تابعــين إلى مناطقهم بعد أن أخذ منهم الجزية وقسم الولاء له، أما تعبير البحــر الأعــلى فهي عــلى الأرجح بحــيرة فان (Van) (شرق تركيــا)، والأراضي على شــاطئ يمكن أن تؤخذ على أساس انها أراضي اوراراتو التي ســبق وان هزمت في عهد شلمانصر الأول [٥٣]، ومع ذلك، لا أســاس لمــا يقال بأن نائيري استبدل اسمها باســم اوروatri (Uruatri) في النقــوش الاشــورية في النصــف الثاني من الالفيــة الأولى ق.م [٥٤] عــلى الرغم من أن تغير الأســماء جاء بعد الالف الأول ق.م، كما هوفي تغير الاســماء الجغرافية في العصر الاشــوري الحديــث، ومع هــذا لا ينطبق الامــر في القرن الثالــث عشر ق.م، فــأول ذكر لنائيري كان في عهــد توكلتي-ننورتــا الاول، وليس هناك من ســبب حتــى نتجاهــل إصرار الملك الاشــوري عــلى أنه: (لا ملك قبله قــد عبر الطرق الجبلية الصعبــة)، فهويرفــض الاعــتراف بإنجازات أســلافه في بــلاد شــوباري، وتؤيد ذلــك أيضا معلومات وردت في الواح موقع تل الرماح (في محافظة نينوى)[٥٥]، حيث اعتبرت كدليل على وصول واردات القصدير من نائيري / نيخريا في بداية حكم توكلتي-ننورتا. [٥٦]

بعــد حملــة نائيري تحــول توكلتي-ننورتا إلى تحقيق حلمه بتتويج مســيرته العســكرية بفتــح وقهر بابل، وكان هــذا الحدث في نهاية



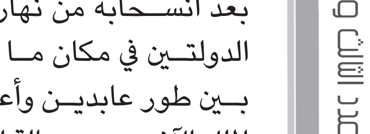
العقد الأول مـن حكمـه[٥٧]، وفي الجزء الأخير من حكمـه ركز عـلى برامج البنـاء الطموحة وشيد عاصمته الجديدة التي أطلق عليها كار-توكلتي-ننورتـا، وفي سـنوات حياتـه الأخيرة برزت معارضة لسياسـته وحيكـت المؤامرات في البـلاط الاشـوري والتـي بلغـت ذروتها في نهايـة المطـاف إلى اغتيالـه، وأصـاب القدرة العسـكرية الاشـورية الضعـف والانحطـاط الكبـير ولمدة قرن من الزمـان حتى عودتها في عهد تجلاتبليزر الأول.

معركة نهاريا

إذا عدنـا إلى الوثيقة (RS 34. 165)، فأن كل الأدلة تؤدي إلى الاسـتنتاج بـأن معركة نَهاريا وتفاصيلها هي ذاتهـا حملة نائيري وكانت في بداية عهـد توكلتي-ننورتا الاول، فليس هناك أي دليل في الوثائق الآشـورية لأي هجوم آخر عـلى نائـيري/ نيخريا سـواء قبـل أوبعد تلك الحملـة، واعتـبر توكلتي-ننورتـا هوالمؤلـف الوحيـد لهذه الوثيقة، وبالتـالي يجب أن نعيد له الاسم والألقاب المفقودة في السطر الأول من النص.

إذا كان لنـا أن نثق بنصـوص توكلتي-ننورتا الأول، ومـا ورد في كتـب التاريـخ بـأن هناك معركة كبيرة بين الجيوش الحثية والآشـورية في أواخر ثلاثينيات القرن الثالث عشر ق.م[٥٨]، حيـث تمركـز الجيـش الاشـوري في شـورا (Šurra) (ربما تقع في سـافور (Savur) على المنحدرات الشـمالية مـن طـور عابدين)[٥٩] بعد انسـحابه من نَهاريا، وقد اشتبكت قوات الدولتـين في مكان مـا بين نَهاريا وشـورا أي بـين طور عابديـن وأعالي نهر دجلة، وأرسـل الملك الآشـوري رسالة إنذار طالبا من تودحليا سحب قواته من المدينة: (أنا أرسلت رسالة إلى ملـك حاتتي: (نَهاريا في حالة حرب معي، لماذا قواتـك في نَهاريا؟ قانونيا أنت في حالة سـلام معـي وليس في حالة حرب، لمـاذا قواتك تقوم بتحصين نَهاريا؟، أنـا، ذاهب لحصار نَهاريا، أرسـل رسالة تأمر فيها قواتك بالانسحاب من نَهاريا....)[٦٠].

هـذه الرسـالة توضح رغبـة توكلتـي ننورتا بالمحافظـة على السـلام بين الدولتـين، فهولا يريد أن يدخـل في صراع مع الملك الحثي الذي رفض رسـالة الإنذار الآشورية وبالتالي رفض الانسـحاب، ولهذا سحب توكلتي ننورتا قواته من نَهاريا ونصب معسـكره في شورا (سورا) وبذلـك ابتعد عـن مدينـة نَهاريـا، هادفا إلى اسـتدراج قـوات تودحليا إلى معركـة فاصلة بعيدة عن قواعدهم وإمداداتهم، وبالفعل بدأت القوات الحثية بالتحرك ضد الجيش الآشوري حيث اعتقد تودحليا بان الانسـحاب الآشوري كان بسـبب ضغط قبائل نائيري المتمركزة في مواقعها الجبلية على الجيش الآشـوري المنهك جراء المقاومة العنيفة، ويبدوأن أرض المعركة كانـت بعيده عـن القواعد الحثيـة لأن معظم السهول إلى الجنوب من أعالي نهر دجلة كانت فعليا في أيدي الآشـوريين، ونزل الحثيون على مـا يبدومن منطقة ما شرق سلسـلة طوروس في حركة الالتفاف على نطاق واسـع، وإلى حد ما نفس الخطة العسـكرية التي اتخذها الملك سوبيلوليوما الملك الحثي عند انحداره المفاجئ عـلى مدينـة واشـكاني(Waššukkanni) العاصمـة الميتانيـة منـذ قـرن مـضى، ولكن هـذه المرة تحول الحـظ ليصبح ضد الحثيين كمـا ورد في رسـالة الملـك الاشـوري إلى ملك



أوغاريـت حيث يفتخر بنـصره الكبير ويضع اللوم على الحثيين لشروعهم بالأعمال العدائية ضده، والهدف من الرسـالة الاشـورية واضح هوتحطيـم ولاء التابع السـوري تجاه ضعف السـيادة الحثيـة، كمـا ونعلـم مـن الوثائـق الأوغاريتية بان محـاولات توكلتي- ننورتا لم تنجـح، ولكن هل هناك أي إشـارة في المصادر الحثيـة لهـذه المعركـة الكبـيرة بـين حاتتي وآشور؟[٦١].

مؤشرات الحرب بين الطرفين

هنـاك العديـد مـن العلامات التـي تدل على الاسـتعدادات من أجل المواجهة العسكرية بين القوتـين وأن الحـرب لا مفر منها في سـوريا، ومن تلك الإشـارات فرض الحصـار التجاري ضـد آشـور، كمـا وفـرض الالتـزام بتقديم المساعدات العسـكرية على بلاد امورو في حالة وقوع الهجـوم الآشـوري[٦٢]، كذلك طلب من شاوشـكامووا ملك بلاد امورو أن يكون موقفه صلبا تجاه آشـور لأنها أصبحت العدوالعلني للملـك الحثي: (ملك بلاد آشـور عدوشـمسي، لـذا يجب أن يكـون عدوك أيضـا، لا تاجر لك يذهب إلى بلاد آشور، ولا تسمح لتاجر آشوري بالدخول إلى بـلادك، أويعبر خلال بلادك، على أيـة حال إذا التاجر الأشـوري أتـى إلى بلدك، تقبض عليه وترسـله لي، شمسي، هذا التزامك تحت القسم المقدس، الآن، أنا، شمسي، في حالة حرب مع ملك آشـور، عندما اسـتدعي القوات والعربات، أنت يجب أن تفعل نفس الشيء...)[٦٣].

كانـت أوغاريت قـد اعفيت من هـذا الالتزام سابقا [٦٤] ولكن هذا الاعفاء الغي فيما بعد [٦٥] كما نشـطت الدعاية السياسية واتخذ تودحليا لقب (شـار كيشـاتي) (Šar Kiššati) (ملك الجميع) واعتبر أول ملك حثي أتخذ هذا اللقب وهوتقليـد لنعوت آشـورية فقـد تلقب به من قبل ادد نـيراري الأول (١٢٩٧-١٢٦٥ ق.م) ولعل اتخاذه هذا اللقب للتأكيد على سيادته في الشرق الأدنى، ويبدوأنه اعتبر استعمال اللقب ضرورة أساسـية مثـل الملوك الاشـوريين[٦٦]، ونقرأ أيضا في بعض المصادر الحثية عن تهديد الملك الحثي لآشور[٦٧] كما وعد تودحليا الرابع في إقامـة اللوحات وتقديم القرابين لثلاثة آلهة [٦٨] في مقابـل مسـاعدتهم في نزاعـه ضد ملك أشور.



شـكل ٢: طبعـة ختم الملـك تودحليا الرابع وتمثـل الكتابة المسـمارية المرسوم الملكي الصادر عن الملك الحثي إلى يني-تيشـوب ملك كركميـش ونائـب تودحليا في إدارة شـؤون سـوريا. ويتضمـن المرسـوم إعلانـاً رسـمياً بإعفـاء ملك أوغاريت من الالتزامات العسـكرية أثناء الحروب ضد ملك آشور بالمقابل على ملك اوغاريت دفع ٥٠ منة ذهبية للملك الحثي.

وكل هـذه المـؤشرات نتوقـع منها بـأن موعد الحـرب يقـترب، ومـع هـذا لا توجد إشـارة حثيـة لحرب كبيرة ومبـاشرة، ويمكن العثور في النقـوش الاشـورية عـن وجـود مواجهات عسـكرية فعلية، ولا سيما في النص (RS 34.

165)[٦٩]، وعلى الرغم من أن لدينا نصاً حثياً سجلت فيه معركة حاسمة خاضها الملك الحثي ضد الآشوريين في نَهاريا، وهوالنص رقم (KBo. IV 14)، ولكن نسب النص إلى سوبيلوليوما الثاني بعد جيل لاحق وليس تودحليا الرابع، ومع هذا لسنا متأكدين من هذا التاريخ، أوربما كانت معركتان في نَهاريا؟ الأولى في عهد تودحليا والثانية في عهد سوبيلوليوما الثاني.

ضعف ولاء التابعين للملك الحثي بعد معركة نهاريا

بعد الانتصار الاشوري في نهاريا لابد من نظرة فاحصة على النص (KBo IV 14)[٧٠] المثير للاهتمام والذي يتضمن معاهدة طويلة بين الملك الحثي وحليف غير معروف، لأن بداية ونهاية النص تعرض للكسر، وللأسف فان الاسمين المرسل والمرسل اليه مفقودان، ويضم النص نداء مثيراً للملك الحثي بخصوص ولاء حلفائه الذين خانوه في الماضي وتركوه في حالة حرجة، ويتميز بلهجة متشائمة بشكل ملحوظ، وطالب من حليفه ذي الولاء المتقلب أن يلزم نفسه بـ(الموت من أجل الملك) إذا ما استجدت ظروف مماثلة مرة أخرى.

طبعا العدوهنا في النص هورجل آشور، الذي وصف بأنه: (العدوالذي يجلس منذ مدة طويلة وينتظر) للحصول على فرصة ثم يهاجم حاتتي، وقد يشن حربا ويخترق مرة أخرى أراضي صاحب الجلالة، أوأنه قد يلحق الهزيمة به أولا ثم يقوم بغارة على حاتتي.

وفيما يتعلق بالأحداث التي وردت فيه[٧١] كشف النص ما يلي: (كان الموقف صعبا بالنسبة لي أنت أبقيت نفسك في مكان ما بعيدا عني، ولم تكن بجانبي! هل أنا انهزمت لوحدي من نَهاريا؟ وذهب العدوبعيدا عني في أراضي حوري، أنا لم اترك لوحدي في بلدة ألاتارما (Alatarma?)[٧٢].

إن ملابسات فرار التابع أمام سيده وهما على خط المواجهة مع العدومؤلمة للغاية، وعلى الرغم من ذلك فقد عفا الملك الحثي عنه ومنحه فرصة ثانية لإثبات ولائه، وهذا يؤكد على الوضع الصعب الذي وجد الملك الحثي نفسه فيه بعد هزيمته في نَهاريا.

وقد اقترح بأن حاكم بلاد الشرق[٧٣] من المحتمل هي بلاد إشووا (إساوا) (Išuwa)[٧٤] وهوالمرشح المقبول بانه هوالحليف المتقلب الذي اشير اليه في الوثيقة (KBo. IV 14)، ومن جهة أخرى يعتقد الباحث (Stefanini) بان حاكم الشرق كان مسؤولاً رفيع المستوى في البلاط الحثي وعين بشكل مؤقت بمنصب حاكم بلاد الشرق[٧٥]، ومن ثم فأن منصبه المؤقت لم يؤهله لخوض معركة فاصلة .

بالعودة إلى تأريخ النص أعلاه كنا سابقا نعتقد وجود ملك واحد يحمل اسم سوبيلوليوما ولكن اثبت الباحث (Laroche) عن وجود سوبيلوليوما الثاني حكم في نهاية الإمبراطورية الحثية (١٢٠٠ق.م)[٧٦] ولهذا فان الوثيقة (KBo. IV 14) تعود إلى هذا الملك[٧٧]، أولأخيه الذي سبقه في الحكم ولبضعة اشهر ويدعى ارنوواندا الثالث[٧٨] وتظهر في النص القليل من الأسماء الشخصية لذا لا توفر الأدلة التاريخية التي يعتمد عليها، ولكن مع ذلك لعبت دورا هاما في تحديد تاريخٍ للوثيقة.

إن كثرة صياغة التعابير وبلغة اللوفيان (إحدى

اللغات الستة التي تحدث بها الحثيون)، وكذلك من حيث الإملاء واللغة، يمكن بموجبها أن تصنف الوثيقة (KBo. IV 14) بانها نص متأخر جدا، وتعود إلى العقود الأخيرة من حياة المملكة الحثية[٧٩]، وأقترح الباحث (Laroche) بأن تاريخ النص يعود إلى سوبيلوليوما الثاني مقارنة له من حيث أسلوب الكتابة واللغة مع النصوص الأخرى المعاصرة لهذا الملك، ومع ذلك لابد من إلقاء نظرة فاحصة على النص، فقد أشار الباحث (Stefanini)، بوجود العديد من الصلات مع النصوص الأخرى التي تعود إلى تودحليا الرابع أيضا خصوصا عدد من الفقرات تتعلق بالحليف عندما كلف بالمهام الدبلوماسية في الخارج، والتي يتوازى بشكل وثيق مع ما ورد في (تعليمات للأمراء والنبلاء وكبار الشخصيات) (SAG 2) وأيضا في معاهدة شاوشكاموا (Šauišgamuwa) ملك بلاد امورو[٨٠].

وتنطبق هذه الملاحظة نفسها، في علم الكتابات القديمة وفي وقت يرجع تاريخيا إلى القرن الثالث عشر ق.م، فمن الممكن ان يكون الكاتب قد عاصر وبسهولة ملكين، وأحيانا ثلاثة ملوك، ونحن لا نتوقع بان الملوك يغيرون الكاتب وخط الكتابة مع كل تتويج ملك جديد، ولهذا من الصعب التمييز على أساس معايير النص وأسلوب الكتابة في عهد سوبيلوليوما الثاني عن النص الاخر الذي كتب في عهد والده تودحليا الرابع، وخصوصا العهد الأخير (عندما كان توكلتي-ننورتا الآشوري معاصرا له)، على اية حال وردت في النص ثلاثة أسماء شخصية هي اورخي-تيشوب، بو-لوكال-اش، وإخلي-لوكال:

الاسم الأول هو الملك اورخي-تيشوب

الملك الحثي الذي ذكر في نصوص تودحليا الرابع فقط [٨١] ولم يذكر في نصوص سوبيلوليوما الثاني اطلاقا.

الاسم الثاني هوبو-لوكال-اش

(BU-LUGAL-aš)، الذي ورد في النص: (كن خادماً مخلصاً للملك، لا تصلب (بمعنى: ترفع) عنقك، في الماضي، عندما توفي بو-لوكال-اش،(BU-LUGAL-aš) انت صلبت عنقك، لا ينبغي أن يحدث هذا مرة أخرى! دع (هذه المسألة) تكون تحت القسم لك !)، ووفقا لاقتراح طرحه الباحثان (Güterbock) و(Laroche)[٨٢]، يمكن أن يكون بو-لوكال-اش (BU-LUGAL-aš)هوالاسم الثاني مثلا (اسم الولادة) للملك تودحليا الرابع، استنادا إلى النقاط التالية:

(أ) عثر على ختم ملكي يعود إلى تودحليا في اوغاريت تحت رقم (RS 17.159) يحتوي على مصطلحات هيروغليفية ورد في الختم: (MOUNTTudhaliya GREAT KING the group x-Šaruma GREAT KING)، (شاروما الملك العظيم، تودحليا الملك العظيم..) هنا يمكن أن يعني شاروما (x-Šarruma) هوالاسم الثاني لتودحليا الرابع، وفقا لعرف وتقاليد الملوك الحثيين تبني (اسم العرش) بعد اعتلائهم عرش المملكة (راجع مثلا اورخي-تيشوب = مورسيلي الثالث، وسارري-كوشوخ=بياسيلي (Šarri -Kušuh = Piyaššili) .

(ب) بالهيروغليفية شاروما (x-Šarruina) يمكن أن تتوافق مع بو-شاروما (BU-Šarruma) طبقا للكتابة المسمارية التي

وردت في عدة نصوص.
(ج) يمكن قراءة (بو-شاروما)(BU-Šarruma) بشكل خيشمي - شاروما (Ḫišmi-Šarruma) وبالتالي فأن بو(BU) بالأكدية تعني ناباخو(napāḫu) بمعنى (للتألق) وهي تقابل الكلمة الحورية خيشمي (Ḫišmi)والتي تعني(مُشرق).[٨٣]
وكما هو في المعادلة شاروما= بو-شاروما= خيشمي-شاروما = تودحليا الرابع، ومع ذلك لا براهين حاسمة اطلاقا[٨٤].
ولكن حتى إذا قبلنا بهذه الفكرة فلا يوجد دليل على أن بو-لوكال-اش (BU- LUGAL-aš) في الوثيقة (KBo .IV 14) هوالملك تودحليا الرابع الحثي، فالاسم يتكرر كثيرا في أواخر عهد الإمبراطورية، وذكر في كتاب الباحث (Laroehe) (الأسماء الحثية) [٨٥] ومنwها:
(١) خيشمي- لوكال-ما
(Ḫišmi-LUGAL-maišmi-) وهوأحد أمراء أوغاريت الذي نفاه يني-تيشوب (Ini-Tešub) ملك كركميش (ونائب الملك الحثي في إدارة شؤون سوريا) إلى ألاشيا (Alašia) (قبرص)[٨٦].
(٢)بو-لوكال-روم-ما (BU-LUGAL-rum(-ma) هوابن تودحليا في قائمة القرابين للملوك المتوفين من العائلة المالكة.
(٣) خيشمي- لوكال- ما (Ḫišmi-LUGAL-ma-) أمير حثي أرسل إلى مصر لاستيراد شحنة من القمح [٨٧].
(٤) بو-لوكال(BU-LUGAL) ورد في نص مكسور تحت رقم (KBO. VIII 135 rev. 5).
(٥)خيشمي-لوكال-اش(Ḫešmi-LUGAL-aš) ذكر في قائمة القرابين النذرية للإلهة عشتار؟ (KBO.XVI 83 II 5)[٨٨].
في الواقع، فمن غير المرجح أن يدعوحاتوسيلي الثالث الملك الحثي وريثه تودحليا الرابع بالاسم الحوري (اسم الولادة) بدلا من الاسم الرسمي له (اسم العرش) ويشهد على مثل هذه الممارسة في حالة اورخي-تيشوب اسمه عندما تولى العرش أصبح (مورسيلي) ولأسباب سياسية [٨٩].
يمكن أن يكون بو-لوكال-اش-(BU-LUGAL-aš) الذي ورد اسمه بعد موت الحليف الخائن في الوثيقة رقم (KBO. IV 14) ووصف بـ(تصلب عنقه) أن يكون شخص ما على سبيل المثال والداً لملك حليف في دولة مجاورة [٩٠] أومسؤول حثي رفيع المستوى عين في الشرق، ومن ثم لا ينسب النص الحالي إلى سوبيلوليوما الثاني انما ارجاع تاريخ النص إلى السنوات الأخيرة من حكم تودحليا الرابع.
الاسم الثالث: إخلي-لوكال(Eḫli-LUGAL)، يمكن أن يكون عونا حقيقيا في التقييم وتحديد تاريخ النص، فهناك نوعان من قراءات محتملة لهذا الاسم:
(أ) إخلي-شاري (Eḫli-Šarri)، يشابه إيا-شاري/لوكال-ري (Ea-Šarri/LUGAL-ri)، وشاري-كوشوخ (Kušuh) arri-Š) الخ [٩١]
على اية حال هذا الاسم لم يثبت[٩٢] .
(ب) اخلي-شاروما(Eḫli-Šarruma)، ويفترض أن ما (ma-)هي تكملة، وهي موجودة عادة في أسماء شاروما (Šarruma).[٩٣]
واسم إخلي-شاروما (Eḫli-Šarrum) هوملك إشووا (Išuwa) ذكر في خطاب ملك خانيكلبات وذكر أسم نفس الشخص

وكان لا يـزال أمير (دومولـوكال) DUMU). (LUGAL، وأشار الباحث (Backman) بأنه ابن وخليفة آري-شاروما (Ari-Šarruma) ملك إشـووا في معاهدة أولمي - تيشـوب (Ulmi- Tešub) [٩٤] وبتاريخ يعود إلى بداية حكم تودحليا الرابع ويعاصر حكم شلمانصر الأول الـذي ضم خانيكالبات إلى آشـور، وكان إخلي-شـاروما (Eḫli-Šarruma) مـا يزال ملكاً يحكم بلاد إشووا(Išuwa) في ذلك الوقت عندما حدثت معركة نَهاريا بين تودحليا الرابع وتوكلتي-ننورتا الأول.

الحليف الذي خذل الملك الحثي في نهاريا

لدينا مشـكلة تخص هوية الحليف، فمن غير المرجـح أن يكون ملك مـن دولة تابعة [٩٥] لأن من الشروط المهمة في المقام الأول هي السـلامة الشـخصية للملـك وان يكـون الحليف ضمن مختلـف البعثات التي يرسـلها الملـك الحثي، وهذا من شـأنه على الأرجح ان يكون من كبار الشـخصيات الهامـة في الوفد المرافـق للملك، وقد ذكرت في النص اسـماء مثل زوجة وأبناء وخدم الحليف، ولكـن ليس بلده أوقواته، كما جرت العادة في صيغة المعاهدات التي يعقدها ملـوك حاتتـي مـع التابعين، ومـن الممكن أن يكـون ملك إشـووا هوالحليـف فبلاده تعتبر من ممتلكات اقربـاء العائلة المالكة الحثية[٩٦] وتقع هذه المملكـة الشرقية في منطقة إيلازيك (Elaziğ) في تركيا[٩٧] وكانت تعتبر جزءاً من المملكة الحثية وليست دولة تابعة[٩٨].

يمكـن أن تكون إشـووا بالفعل بـلاد الحليف الخائن، وفي هذا الصدد فإنه من المهم الإشارة إلى شـظية هي جزء من رسالة يشير فيها على ما يبدوإلى سلوك ملك إشووا الغادر نحوجلالة الملـك الحثي إبـان معركـة نَهاريا[٩٩] أسـماء المرسل والمرسـل اليه في النص مفقودة، ولكن عبـارة (الملكـة، سـيدتي) التي كانـت عنوان الرسالة حتما هي الملكة بودوخيبا (زوجة الملك حاتوسـيلي الثالث ووالدة تودحليا الرابع الملك الحثي)، فهي الملكـة الحثية الوحيدة المعروفة التـي كان لها شـأن في الدبلوماسـية الدولية، وخاصة بعد وفاة زوجها [١٠٠].

وترجمتهـا [١٠١] عـلى النحوالتالي: (الأسـطر: (٦)- عنـد وصولـه إلى هنـا، (٧-٨)(مـن) الخلف[١٠٢] نحن سـوف نهاجمه، (٩)- ولكن الآن، عندما ملك إشـووا، (١٠)- وصل إلى هنا، هـم ارجعـوه، (١١)- رجع إلى/منهـم[١٠٣]، (١٢)- و(؟)أنـه خـسر أيضـا في التمـرد، (١٣)- الملـك (؟) إشـووا، (١٤)- لا يتبع فيما بعد جلالة الملك، (١٥)- دع الملكة، سـيدتي، (١٦)- أيضا يجب ان تعلم!

(١٧)- الملكـة، سـيدتي، مـاذا سـتفعلين؟، (١٨)- صاحب الجلالة في مكانه (؟)، (١٩)- في بلاد ارزاوا (Arzawa) [١٠٤]

في الفقرة الأولى: يخطط الملك الحثي؟ لمهاجمة العدومـن الخلـف، جنبا إلى جنـب مع حليفه، بشـكل غير متوقع، ومع ذلك، فإن ملك إشووا خـاف من العدوعندما اقـترب، والعدوهنا على الأرجـح هم الآشـوريون وخذل هـذا الحليف جلالة الملك الحثي، ويظهر قلق كاتب الرسالة ربمـا (جنـرال حثـي أورسـول عـلى جبهـة القتال؟) [١٠٥].

وفي الفقـرة الثانيـة: يخـبر الحليـف الملكـة بودوخيبا بالوضع في الجبهة (في غياب الملك؟) ويطلـب تعليمات في ضوء الظـروف الجديدة، وذكـرت بـلاد ارزاوا (تقـع في غـرب بـلاد

الاناضول) في الأسطر التالية، وللأسف ما بقي من السطور في اللوح فيها كسر.
وبطبيعة الحال هناك مصاعب كبيرة عند قراءة هذه السطور المجزأة، ولكن الوضع ينعكس في هذه الرسالة المشابهة بشكل مذهل إلى حد ما النص (KBo. IV 14) ليس الملك إشووا الغادر في هذه الرسالة هونفس الشخص الحليف الجبان الذي فر من المعركة في نَهاريا أمام الآشوريين عند اقترابهم؟ فهناك تفسير ممتازا لعبارة (سنهجم عليه من الخلف) ومن المتوقع أن تنضم قوات صاحب الجلالة في نَهاريا، وفي طريق العودة من الشرق أعرب ملك إشووا عن قلقه الواضح من الهجوم الآشوري المحتمل على بلاده خاصة أثناء غياب ملك حاتتي في بلاد ارزاوا والذي طمأن حليفه بأنه سوف يفاجئ العدومن الخلف[١٠٦].

نهايةالمملكةالحثية في عهد سوبيلوليوما الثاني

افرزت معركة نهاريا ضعف المملكة الحثية في الجبهة الداخلية، وعدم قدرتها في التصدي للأطماع الاشورية بالتوسع في منطقة شرق الفرات، فبعد وفاة تودحليا الرابع استلم الحكم سوبيلوليوما الثاني عرش حاتتي، ولدية حملات بحرية ومع هذا لا يمكن ربط معركة نهاريا بينه وبين الاشوريين في مطلع القرن الثاني عشر ق.م[١٠٧]، لان الفشل حليف الحثيين دائما[١٠٨] فمنذ حملة توكلتي-ننورتا الأول على نائيري/نيخريا في بداية حكمه، وبعض الباحثين يتعاملون وبصعوبة في توضيح تفاصيل الهجوم الآشوري الكبير ضد المملكة الحثية في شمال شرق البلاد في السنوات الأخيرة من حكم الملك الاشوري[١٠٩] وذلك لأنها غير موثقة تماما، كما وتتعارض مع ما نعرفه نحن حول توكلتي-ننورتا في سنوات حكمه الأخيرة، وتميزت بحالة العزلة التي فرضها على نفسه في عاصمته كار توكلتي-ننورتا. اقترح إعادة تاريخ الوثيقة رقم (KBo.IV 14) إلى عهد تودحليا الرابع لتحل ليس فقط الصعوبات الزمنية المتعلقة بالعلاقات الآشورية-الحثية، ولكن أيضا السنوات الأخيرة من حكم سوبيلوليوما الثاني فلا يوجد دليل على التورط الحثي في شرق الفرات أوأي لقاء عسكري مع الآشوريين، وجميع المواد ذات الصلة بالعلاقات الآشورية-الحثية تعود إلى تودحليا الرابع (أولفترة مبكرة)، بما في ذلك المراسلات الدبلوماسية الواسعة، فقد وردت عبارة في معاهدة شاوشكامووا (ملك بلاد اموروفي سوريا) وفيها حظر العلاقات التجارية بين امورووآشور[١١٠] ومن واجب أوغاريت توفير قوات للحرب ضد آشور[١١١] فهناك ندرة في المصادر حول العلاقات الآشورية-الحثية في عهد سوبيلوليوما الثاني، بالمقابل وفرة في المصادر من عهد تودحليا الرابع.
إن غالبية الوثائق الحثية التي تعود إلى سوبيلوليوما الثاني[١١٢] هي من نوع البروتوكولات والإرشادات المعنية بمشاكل الأمن الداخلي في المملكة مثل الوثيقة رقم (CTH 124) وهي القسم من (...) شاروما (رئيس الكتبة على الخشب) والقسم يؤديه شخص آخر مهم جدا، للأسف مجهول الهوية[١١٣] وكان مسؤولا

عـن تتويج سـوبيلوليوما الثانـي بعد وفاة شـقيقه الملـك ارنووانـدا الثالـث الـذي لم ينجـب أطفـالا، ويشـير الباحـث (Otten) إلى وجـود اضطرابات في حاتتـي وفقا لهذا النـص ويعكـس المؤامـرات التـي حدثت في داخـل البـلاط الحثي والتي ترتبط بمسـألة شرعية اسـتلام سـوبيلوليوما الثاني الحكم والنـص فيه أشـارت بان الملـك الجديد كان يواجـه اضطرابـات في حاتوشـا بـدأت في فـترة حكم أخيه القصيرة: (سـكان حاتتـي ثاروا ضـده(بمعنـى آخـر: الملك ارنووانـدا الثالـث)، لكـن أنا لم أكـن مذنبـاً، إذا كان لديه أبناء، أنا لن أسـتلم العرش بدلاً عنهم، أنـا أفضـل أن يعترف هؤلاء (يقصد سـكان حاتتي) بأنه ليس لديه أبناء، أنا اسـتفسرت إذا كانت لديه زوجـة حامل، لكن ليس لديه زوجة حامل لذا لم يترك أبناء، هل أنا مذنب عندما اسـتلمت العرش....؟)[١١٤] .

ولدينا عدد آخـر من الرقم الطينية التي هي أقـرب في مظهرها إلى النصائح أوالمعاهدات، هـي أيضـا في الغالب تهتم بالـولاء نحوالملك وذريتـه[١١٥] وعثر عـلى نصـين[١١٦] كلاهما ينتميـان أيضـا إلى فئـة النصـوص التـي تتعامـل مـع تنظيم الشـؤون الداخلية، على الرغم من أنها تهتم بالمسـائل الدينية، وذكر قسـم شـعب حاتتـي عـلى احـترام الوضع المتميز مثل (الإعفاء من الرسـوم والخدمات المجانيـة بمعنى السـخرة) واعفاء المنشـآت الدينيـة من الرسـوم وإحدى تلك المنشـآت الدينيـة هـي (القمـة الأبديـة) حيث وضع سـوبيلوليوما الثاني تمثـال تودحليا الرابع فيـه



شـكل ٣: نقش الملك سـوبيلوليوما الثانـي بالنحت البارز في الغرفـة الثانية من الزاوية الشـمالية الشرقية في المدينة العليـا حاتوشـا، ويظهـر الملك حامـلا قوسـا وهويرتدي الملابس العسكرية وكتب اسمه مع لقب (الملك العظيم).

ظهـرت تلميحات كثـيرة في النصوص تعكس مشـاكل داخلية حادة وبشـكل متزايد، والتي تجعل ظهورها بدايـة حكم تودحليا الرابع[١١٧] مع عدم التقليـل من دور الأعداء في الخارج في سـقوط الإمبراطورية الحثية، ولابد من إعطاء المزيد من الأهمية إلى تراجع الوضع السـياسي الداخـلي وحالـة التفـكك الذي بـدأ يسري في حاتتي، فقد عصى أحد اتباعه وبوقاحة سـيده الملـك الحثي، كما أن شـعبه لا يثق فيه، ومن ثم يجـب عليـه أداء يمين الـولاء مثـل اقرانه الملوك التابعين، وهوغافل عن كارثة وشـيكة، وانشغل في تشـييد ضريح جنائزي لوالده مع إقامة ابنية دينية أخرى مماثلة وهذه تعكس عـدم الثقـة بالنفس والأمان، بـل على العكس هي نـداء إلى الآلهة وأرواح الملوك المتوفين لمنح الدعـم للملك لأن الصولجان والسـيف قد باءا بالفشل[١١٨].

معارك بحرية ضد شعوب البحر عام ١٢٠٠ ق.م

أما النصوص التي تناولت الشؤون الخارجية في المملكة الحثية قبيل سقوطها فهي قليلة جدا، نجد نسختين من معاهدة مع ملك كركميش (Kargamiš)(جرابلس الحالية على الحدود السورية التركية) وبنفس طريقة الملوك الحثيين السابقين تقريبا في عقد المعاهدات مع ملك كركميش في العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر ق.م[١١٩]، كما ولدينا نصين فقط عن الاشيا (Alašiya) (قبرص) وبضعة رسائل من الأيام الأخيرة من أوغاريت[١٢٠].

أن وثيقة المعاهدة مع الاشيا فيها الكثير من التكسر ولا تحتوي على اسم سوبيلوليوما الثاني ومع ذلك ينبغي أن تنسب إليه[١٢١] وذكر فيها ملك اشور كما ويمجد سوبيلوليوما الثاني اعمال والده المتوفى[١٢٢] في إقامة بعض مشاريع البناء التي أدرجت على شكل قائمة نقشت في شظية يمكن أن تكون قد أنجزت تلك المشاريع في عهد تودحليا الرابع، وذكرت على لسان سوبيلوليوما الثاني: (الذي شيد معبد للإلهة شمس ارنينا بالفضة والذهب؟ الذي بنى حاتتي (يقصد تودحليا؟ [١٢٣]، الذين شيد الحرم المقدس (؟) [١٢٤] للإله العاصفة؟، الذي قاتل (؟) ملك آشور؟، الذين عبر النهر...] نا؟[١٢٥]، الذي(؟) (........)باب (...)..).

عثر على وثيقة في حاتوشا [١٢٦] هي في حقيقتها تقرير طويل من قبل سوبيلوليوما الثاني بخصوص حملتين ضد ألاشيا (قبرص) واحده بقيادة تودحليا الرابع والاخرى قادها بنفسه كما في النص الآتي: (أبي (...)، أنا حشدت قواتي، وأنا سوبيلوليوما، الملك العظيم حالاً (عبرت/ ووصلت(؟) البحر. واجهتني في المعركة سفن ألاشيا في البحر ثلاث مرات، وأنا قاتلتهم، وأنا استوليت على سفنهم وأشعلت النار فيها وهي في البحر، لكن أنا عندما وصلت إلى الأرض اليابسة(؟) جاء الأعداء من ألاشيا بحشد كبير ودخلوا الحرب ضدي....)[١٢٧]، وبمناسبة انتصاره في الحرب ضد الاشيا اقام تمثالاً بهذه المناسبة لوالده في (القمة الأبدية) وقدم الامتيازات الممنوحة لتلك المنشأة الدينية.

لقد دارت رحى معركة بحرية ضد سفن ألاشيا (قبرص) وهي العملية العسكرية الكبيرة الوحيدة المعروفة على وجه اليقين من عهد سوبيلوليوما الثاني، وهي أفضل نموذج لحرب دفاعية ضد (شعوب البحر)[١٢٨]، وهذا واضح جدا عند قراءة المراسلات الأخيرة بين حاتوشا وأوغاريت وألاشيا[١٢٩] والتي تهتم بإمداد شحنات الحبوب إلى حاتتي[١٣٠] لان سفن العدوالتابعة لشعوب البحر تقترب كثيرا فتهدد بتعطيل خط الإمداد الحيوي[١٣١]، ولورسمنا صورة للوضع المربك من خلال المعلومات القليلة عن العدوالمراوغ وحجمه ومكان وجودهِ فسوف نعاني من الارباك لان حجم المعلومات قليلٌ عن شعوب البحر.

كذلك التقارير من خط المواجهة الفعلية مع شعوب البحر قليلة جدا، فلدينا خطاب شهير كتبه عمورابي ملك أوغاريت إلى ملك ألاشيا يخبره فيه اشتداد الأزمة ويطلب المساعدة من ملك ألاشيا (قبرص) ويخاطبه بكلمة (أبي) فقد أصبح الوضع في اوغاريت لا يطاق، وأن قواته في حاتتي، وأسطوله متواجد في بلاد لوككا (Lukka) (جنوب تركيا على ساحل المتوسط)، في حين تتعرض بلاده لهجوم من

سبع سفن معادية:
(أبي (يقصد ملك الاشيا)، لقد جاءت السفن إلى (هنا): أعطني (؟) .... أحرقت، وهم عملوا أشياء شريرة في بلادي، أليس أبي يعرف أن كل قواتي وعرباتي (؟) هي في بلاد حاتتي، وكل سفني في لوككا؟ (...) وهكذا البلاد تركت لحلها من المحتمل أبي، يعرف السفن السبعة للعدووالتي جاءت إلى هنا وأوقعت إضرارا كثيرة علينا....) [١٣٢] هناك عدد قليل من الرسائل ترجمت عن الأوغاريتية تقدم صورة واضحة عن سير المعركة، ومع ذلك هناك بعض التلميحات عن مكان وجود الجيش الحثي المنوط بحماية أوغاريت.

كتب قائد اوغاريتي لسيده في مدينة لوسند (Lwsnd) (مدينة لاوزانتيا (Lawazantiya)[١٣٣] وهي عبارة عن تقرير يختص بتحركات ملك (حاتتي ؟)، وقد اقترح الباحث (Astour) بشكل صحيح اسم بلدة لاوزانتيا في بلاد كيزوواتنا (Kizzuwatnean) (جنوب وسط تركيا على الساحل المتوسطي) حيث نقرأ عن عدوفي موشكي(Mukiš) أومكشخ(Mgšḫ) بالقرب من جبل امانوس في شمال غرب سوريا، ربما في نفس المنطقة التي تمركز فيها ملك أوغاريت الذي كتب رسالة إلى الملكة بودوخيبا والدة تودحليا الرابع، وأنه سوف يخبرها عندما يصل الحثيون وقال انه قد انتظر عبثا.

على أية حال لا يوجد شيء في هذه الوثائق التي تعود إلى السنوات الأخيرة لعصر الإمبراطورية الحثية لها ارتباط مع الآشوريين أومع الحملات الشرقية ضد آشور، وقد زعم سوبيلوليوما الثاني بأن لديه إنجازات مهمة في شرق الفرات، ولكن هناك شك كبير في مصداقية تلك الإنجازات[١٣٤].

أن كل ما نعرفه عن الملك سوبيلوليوما الثاني بأنه غير قادر على قيادة حملة عسكرية في الغرب ضد بلدان مثل (ارزاوا ولوككا) [١٣٥] وفي شمال لم يتمكن من صد قبائل الكاشكا (الكاسكا) (Kaška) وزحفهم المتواصل ضد مدن شمال حاتوشا[١٣٦]، أوإيقاف الاطماع الاشورية في شرق بلاده، انما استثمر كل جهوده في محاولة أخيرة لوقف تدفق شعوب البحر الذين غزوا الشواطئ الطويلة شرق البحر المتوسط وقطعوا الصلات بين حاتتي وحلفائها الممالك السورية تدريجيا وبالتالي قطع امدادات المواد الغذائية وخاصة الحبوب، في هذه المرحلة كانت حاتتي في حالة ضعف أمام العملاق الاشوري في أواخر عهد توكلتي-ننورتا الأول وهزيمتهم في نَهاريا، فقد أرهقهم الجوع بسبب نقص الحبوب، والصراع غير المجدي ضد العدوالمتمثل بشعوب البحر في الجنوب، لذا أصبحت حاتتي لقمة سائغة لجحافل من قبائل الكاشكا والموشكي التي اجتاحت حاتتي من الشمال والغرب واسقطوا المملكة الحثية عام (١٢٠٠) ق.م وأصبحت نسيا منسيا.



الهوامش

(١) راجع الباحث (Schaeffer-Forrer) في بحثه (التدمير في مكتبة اوغاريت):

Schaeffer-Forrer, C. F. A: (1978). Pp. 399-405.

(٢)راجع الباحثة (Lackenbacher) في بحثها (وثائق جديدة من أوغاريت: الخطاب الملكي الأول):

Lackenbacher Sylvie: (1982). Pp. 141-156.

(3) Gwendolyn Leick: (2002). Pp. 75-76.

(4) Lackenbacher Sylvie: (1982). p. 154f.

(٥) راجع الباحث (Otten) في بحثه (رسالة واحدة من حاتوشا إلى بابو-آخو-ادينا):

Otten, Heinrich: (1960). Pp. 39-46

(٦) شخصية هذا التابع الحثي غير معروفه(؟).

(٧) النص (KUB III 73) وهوجزء صغير من رسالة أرسلت من قبل توكلتي-ننورتا إلى تودحليا، تتضمن تفاصيل عن حادث مماثل، ويمكن في الواقع أن تكون الرسالة ذاتها المذكورة هنا، ويشكوتودحليا الغارات المتوالية على بلاد الحثيين، ويجيب توكلتي-ننورتا بأن (تلك الغارات تهدف الى الحصول على الخشب وأي شخص ما يمكنه الحصول عليه من بلادك)، راجع الباحث (Weidner) في بحثه (نقوش توكلتي-ننورتا الأول وخلفائه):

Weidner, Ernst Friedrich: (1959). 40 text 36 (ITn).

(8)Jaume Llop-Raduà: (2015). P. 249 n. 27.

(٩) حول تاريخ حكم ملوك آشور راجع الباحثين (Boese)و(Wilhelm) في بحثهما (آشور- دان الأول وننورتا ابلي-ايكور والتسلسل الزمني)،

Boese, Johannes/ Wilhelm, Gernot: (1979)19ff .

(١٠) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٦٧،

Luckenbill, D. D: (1926), p. 40.

(١١)صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٢٤٨-٢٥٢.

(12) Weidner, Ernst Friedrich: (1969). p. 530.

(13) Munn-Rankin, Joan Margaret: (2008). Pp. 276, 282.

(١٤) راجع الباحث (Otten) في بحثه (الحوريون والميتانيون//فيشر تاريخ العالم الجزء الثالث، الإمبراطوريات الشرقية القديمة الثانية في نهاية الالف الثانية ق.م):

Otten, Ḫeinrich: (1966). Pp. 166-176 .

(١٥) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٩)، ص ٣٧

Otten, Heinrich: (1960). Pp. 39ff.

(١٦) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠١١)، ص ٣٦٥-٣٧٧ و٣٧٦

(١٧) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٩)، ص ٣٨

Otten, Heinrich:(1960). Pp. 42f.

(١٨)ترجم الباحث (Klengel)رسالة أخرى بالأكدية ربما تنتمي إلى المراسلات الآشورية-الحثية، فإذا كان الأمر كذلك فستكون نموذج لتبادل الرسائل بين توكلتي ننورتا الأول وتودحليا الرابع حول حوادث تمرد الرعايا على حدود بين الدولتين، راجع الباحث



(Klengel) في بحثه (الحثيين وإشووا):

Klengel, Horst: (1968). p. 74.

(١٩) رسالة من ماشا (Maša) إلى الملك تضم تقريراً حول الزيارة التي قام بها الوفد الآشوري إلى مدينة إودا (Uda) في جنوب الاناضول، ومن المحتمل (ماشا) هونفس اسم الشخص مثل ماشاموا (Mašamuwa) الرسول الحثي إلى آشور في عهد تودحليا الرابع :

Otten, Ḫeinrich:(1960). p. 44 n. 43.

(٢٠) شعر الآشوريون بالفخر عندما احتلوا بابل وأصبح هذا الانجاز موضوع الملحمة الأشورية الوحيدة التي وصلتنا وهي قصة شعرية متميزة طبعا، أطلق عليها (ملحمة توكلتي ننورتا)، وتلقي هذه الملحمة اللوم كله على الملك كاشتلياش الرابع ملك الكشي الذي أتهم بأنه قد حنث بوعده وتآمر ضد آشور، وكيف إن توكلتي ننورتا الصالح وبمساعدة الآلهة شمش وانليل تمكن من القضاء على كاشتلياش التي تخلت عنه وعن بلده الآلهة وكان السبب في اندحاره: صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٢// هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٤٨٣.

(٢١) أصول الحوريين (Hurrian) أوالخوريين (Hurrian) (أحيانا يكتب حرف (Ḫ) يقرأ (ح) واحيانا يكتب (Ḫ) فيقرأ (خ)) من مناطق قريبة من بحر قزوين، واستوطنوا مناطق في بلاد الرافدين وخاصة كركوك (ارابخا) حيث اسسوا تجمعاً سياسياً وثقافياً واقتصادياً في مدينة كركوك دعيت (نوزي) والتي أصبحت جزءاً من مملكة ميتاني ذات الثقافة الحورية التي امتدت من كركوك شرقا وحتى حلب غربا ومن بحيرة فان في تركيا شمالا وإلى روافد الخابور والبليخ في سوريا جنوبا، وكانوا وسطاء في نقل الثقافة العراقية إلى الحثيين، وعندما كانت ميتاني دولة قوية فرضت سيطرتها على اشور مدة قرن من الزمان وشيدوا عددا من المدن التابعة لكركوك منها (طوزخرماتو) وهذا الاسم مشتق من كلمتي (خور) أي الخوريين أوالحوريين، و(ماتو) باللغة الأكدية تعني بلاد أي (بلاد الخوريين) .

(٢٢) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص٤٣٤.

(23) Luckenbill, D. D: (1926). p.57.

(٢٤) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٧٢-٧٣.

Luckenbill, D. D: (1926). p. 57.

(25) Otten, Heinrich: (1960). p. 46

(26) Grayson, Albert K: (1972). Pp. 118 n. 246.

(27) Albright, William Foxwell: (1968). p. 235 f.

(28) Gurney, Oliver Robert: (1991). p. 39

(٢٩) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٧٢-٧٣.

(٣٠) راجع الباحث (Borger) في بحثه (مقدمة في النقوش الملكية الآشورية. الجزء ١: الألف الثانية ق.م (٩٣٤-٧٢٢) ق.م:

Borger, Rykle: (1961). Pp. 82f.

(٣١) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٥

(32) Forrer, Emil: (1928). p. 257.

(33) Ibid: p. 263.

(٣٤) راجع الباحث (Weidner) في بحثه (نقوش توكلتي-ننورتا الأول وخلفائه):

Weidner, Ernst Friedrich: (1959). ITn. p. 63 (index).

(٣٥) من المفترض الاسم سامي نعرو(nāru)= نهر (nahar) (النهر)، واللغة السامية عميقة جدا في المنطقة الحورية إلى حد ما، ولهذا نيخريا

(Niḫriya)= (بالأكدية نَهاريا) وهواللفظ باللغة الحورية، كما يتكرر كاسم شخصي في نوزي وارابخا (Arrapḫa):

Lewy, Julius: (1932). p. 406.

(36) Goetze, Albrecht: (1953). Pp. 61f .

(٣٧) راجع الباحثة (Falkner) في بحثها (دراسة في جغرافية بلاد ما بين النهرين القديمة):

Falkner, Margarete: (1957-1958). Pp. 20f

(٣٨) ورد في قائمة الآلهة (URUNi-iḫ-ri-ya-w[ce) وتأتي بعد الإلهة عشتار من اممانا (Am-mana) و(Dunta)، راجع الباحث (Otten) في بحثه (مصادر جديدة أدت الى سقوط الإمبراطورية الحثية):

Otten, Heinrich: (1963). p. 5 n. 18.

(39) Singer, Itamar: (1985) . p. 105.

(٤٠) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٦

(٤١)التورتان(turtānu)آشور-شيزي-باني (Aššur-šēzi-banni) يحمل لقب (محافظ نينوى، وكتموخي (Katmuḫi) ونَهاريا)، راجع الباحث (Andrae) في بحثه (مسلات آشور):

Andrae, Walter: (1913). Pp. 62f.

(42) Wiseman, Donald J: (1968). p. 179 (TR 3005).

(٤٣) تذكر الواح أخرى كميات كبيرة من القصدير من (٥٠) منه فما فوق:

Ibid: p. 183.

(44) Singer, Itamar: (1985) . p. 105.

(45) Ibid: p. 21ff.

(46) Nashef, Khaled: (1982). Pp. 205f.

(47) Goetze, Albrecht: (1953). Pp. 61f// Falkner, Margarete: (1957-1958). Pp. 20f.

(٤٨) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(49) Lewy, Julius: (1961). p. 66 n.201.

(٥٠) موقع نائيري / نيخريا يعتمد على الموقع النسبي من الأماكن أخرى، هذه المنطقة الأثرية سيئة في تنقيباتها، على سبيل المثال إذا كان الموقع التقليدي لـ(تايدي / تيدو) (Tidu/Taïde) في منطقة ماردين أوشمال واحدة من مجموعة طور عابدين فأن نائيري /نيخريا يجب أن تقع شمال ديار بكر:

Singer, Itamar: (1985). p. 106.

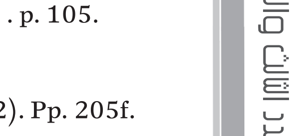
(51) Munn-Rankin, Joan Margaret: (2008) .p. 286 // Luckenbill, D. D: (1926). p. 57.

(52) Ibid: p. 50.

(53) Luckenbill, D. D: (1926). p. 59.

(٥٤) أشار شلمانصر الأول أنه هاجم شعب أورواتري لانهم تمردوا والترجمة تدل أن شلمانصر كان يظن أن هذا الشعب من اتباعه الخاضعين له، ولكن يظهر ان شعب اوروواتري كان يحاول الاندفاع جنوبا إلى حيث كان شلمانصر يدعي بأنها أرض آشورية، وهكذا تقدم لمهاجمتهم وصدهم حفاظا على الامن القومي: هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص٦٦.

(٥٥) كارانا (كَرَنا) (Karanã) مدينة آشورية موقعها في تل الرماح الحالي على بعد (٦٥) كم تقريباً إلى الغرب من مدينة الموصل، والموقع عبارة عن تل دائري الشكل تقريباً تبرز في وسطه بقايا الزقورة التي يصل ارتفاعها إلى (٤٠) متراً تقريباً فوق مستوى السهل المحيط بالموقع.



(٥٦) بمعنى السنة الثانية من حكم توكلتي-ننورتا الأول:

Fine, Hillel A: (1952-1953). p. 246.

(57) Munn-Rankin, Joan Margaret: (2008) .p. 287 n. 45// Luckenbill, D. D: (1926). p. 51.

(٥٨) إذا كانت بداية التجارة مع نيخريا طبقا لما ورد في الواح تل الرماح تعود للسنة الثانية من حكم توكلتي-ننورتا، وتؤخذ كدليل على الملك الآشوري، ولهذا فان معركة نَهاريا وقعت في عام (١٢٣٤) ق.م أوالسنة التي بعدها.

(59) Olmstead, Albert T: (1918). p. 237 n. 57.

(٦٠) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٧.

(61) Singer, Ita mar: (1985). p. 108.

(٦٢)راجع الباحثين (Kühne)و(Otten) في بحثهما (اتفاقية شاوشكامووا) :

Kühne, Cord and Otten, Heinrich: (1971). p. 16.

(٦٣) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٦// جرني. أ. ر: (١٩٦٣)، ص ٧٣.

(٦٤) تؤرخ إلى عهد عمي-شتمرو(Ammištamru) (PRU IV 149f).

(٦٥) تم إرسال مسؤول حثي إلى أوغاريت لتفقد قواتها من الجنود والعربات في عهد ملكها إبرانو(إبراهيم) (Ibirānu): صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٩)، ص ٤٠.

(٦٦) أن لقب (ملك الجميع) هوأحد القاب توكلتي-ننورتا: صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤١٣

Brinkman, John A: (1970). p. 304.

(٦٧) راجع الباحث (Otten) في بحثه (تقرير أولي عن الحفريات في بوغازكوي في عام ١٩٥٨ وعام ١٩٥٩. ومخلص نص الحملات ١٩٥٨ و١٩٥٩)، كذلك راجع الباحث (Weippert) في بحثه (الحرب المقدسة في إسرائيل وآشور):

Otten, Heinrich: (1962), p. 75f.

(٦٨) وبالمناسبة، يعتقد أن الآلهة الثلاثة هم: نين-اورتا(NIN.URTA)،وكوماربي(Kumarbi) والثالث من الصعب قراءة أسمه لوجود كسر في اللوح لذا يقترح الباحث (Otten) أن يكون أحد آلهة المناطق المتنازع عليها مثل الأراضي الحورية شرق الفرات مثلا الإله كوماربي وهوإله حوري، والإله نين-اورتا يمكن أن يكون اسم إله آخر وليس الإله ننورتا الرافدي، راجع الباحث (Otten) في بحثه (طقوس الاحتفال الحثية):

Otten, Heinrich: (1971). Pp. 33f .

(69) Otten, Heinrich: (1970). p. 68.

(٧٠) كان الباحث (Forrer) أول من قدم الاستخدام للتاريخي لهذا النص، وراجع أيضا الباحث (Merig-gi) في بحثه (قاموس الكلمات الهيروغليفية الحثية)، كذلك راجع الباحث (Stefanini) في بحثه (وقائع الأكاديمية الوطنية للنسي):

Forrer, Emil: (1928). p. 263 // Meriggi, Piero : (1962). Pp. 84ff // Stefanini, Ruggero: (1965). Pp. 39-79

(٧١) هناك إشارة لحدث تاريخي آخر في الوثيقة (IV 39 f) للأسف اللوح فيه تهشم كثير، وذكرت بابل (كاران) الملكية (Karan duniyaš) وآشور في سطرين متتاليين، لان الفعل جاء بعد بابل وهوكيشات (kišat)، (أصبحت) البلاد نفسها يمكن أن تكون بالكاد موضوع الحكم، من جانب آخر (ملك بابل) من

الممكن أن يكون إشارة إلى سيطرة توكلتي-ننورتا على بابل وبعد ذلك (أصبح ملك كاران).

(٧٢) تكرر ذكر بلدة ألاتارما (Alatarma) في النص باسم (ميتا من باخووا) (Mita Paḫḫuwa)، والتي هي العنوان الرسمي لتودحليا الثاني لشيوخ إشووا (Išuwa)، وباخووا خوري(؟) وغيرها في المناطق والمدن التي تقع شرق الاناضول، وأحد المندوبين أخذ منه قسم الولاء وهوشخص أطلق عليه باخووا (رجل ألاتارما)، وذكرت البلدة كذلك في الوثيقة (KUB II I I 45, III 36)، ولدينا قائمة القرابين إلى كال (KAL) وألا (Ala) وهما آلهة حاتتي، وأكثرها تقع شرق الفرات وهذا اقتراح على أساس الحوادث : صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٩

Gurney, Oliver Robert: (1948). Pp. 32-47.

(73) Forrer, Emil: (1928). p. 263.

(٧٤) راجع الباحث (Meriggi) في بحثه (قاموس الهيروغليفية الحثية):

Meriggi, Piero : (1962). p. 85.

(75) Stefanini, Ruggero: (1965). (n. 59) Pp. 50ff.

(76) Goetze, Albrecht: (1951). p. 232.

(77) Laroche, Emmanuel: (1953). p. 76 // Goetze, Albrecht: (1975). Pp. 252-266.

(٧٨) يعتبر الباحث (Stefanini) بأنه الملك سوبيلوليوما في جميع أنحاء مقالته، ولكن في الصفحة (٧٨) الهامش (١٥٩) يعترف بوجود صعوبات تاريخية وان النص يعود إلى ارنوواندا الثالث، راجع أيضا الباحث (Gurney):

Gurney, Oliver Robert: (1991). p. 40.

(٧٩) هناك اعتقاد بأن العدد الكبير من النصوص الحثية المتأخرة وبالأخص المجموعة التي كتبت خلال عهدي تودحليا الرابع، وارنواندا الثالث وسوبيلوليوما الثاني (أواخر العهد الحثي) فمن الناحية العملية ليست هناك نصوص تعزى إلى ارنوواندا الثالث لأن فترة حكمه قصيرة للغاية فهي لا تزيد على بضعة اشهر.

(80) Stefanini, Ruggero: (1965). Pp. 71ff.

(٨١) ورد اسم اورخي - تيشوب في معاهدة شاوشكامووا (Šaušgamuwa):

Beckman. Gary: (1999). p. 105.

(82) Güterbock, Hans G: (1954). Pp. 386 n. 26, 387 with n. 44.

(٨٣) راجع الباحث (Laroche) في بحثه (قاموس اللسان الحوري):

Laroche, Emmanuel: (1976). p. 103.

(٨٤) كتب الاسم خيشمي-تيشوب(Ḫišmi-Tešub) في ايمار/ميسكاني (Emar/Meskene) على حد سواء في الكتابات المسمارية، راجع الباحث (Arnaud) في بحثه (أرشيف الدراسات الدينية):

Arnaud, Daniel: (1974). p. 190.

(٨٥) راجع الباحث (Laroche) في كتابه (الأسماء الحثية):

Laroche, Emmanuel: (1966). No. 371.

(٨٦) ربما بو-لوكال-ما (BU-LUGAL-ma) شخص آخر في الرسالة الموجهة إلى سيده ملك أوغاريت أنه نفس الشخص. إذا كان الأمر كذلك فهوبو-خيشمي (BU=ḫišmi).

(٨٧) يؤيد الباحث (Güterbock) اقتراح الباحث (Laroche) بأن هذا الأمير هوتودحليا الرابع قبل اعتلائه العرش الحثي نص الوثيقة رقم (KUB III

34) ويجـب أن تؤرخ بعد فترة قصـيرة من معاهدة السـلام الحثية المصريـة في عهد رعمسـيس الثاني في السـنة (٢١) من حكمـه (لان المبعـوث المصري ذكر ليـا (Leya) في ذلـك الوقـت)، وفي ذلـك الوقت أيضا كان تودحليا بعمر (١٦) سـنة على الأكثر (فقد تزوج حاتوسـيلي من بودوخيبا في طريق عودته من معركة قـادش في السـنة (٥) لحكـم رعمسـيس الثاني) لذا نفـترض ان تودحليا كان الشـخص الذي ارسـل إلى مصر مـع أجل هذه المهمة الرئيسـية؟، راجع الباحث (Edel) في بحثـه (الأطبـاء المصريون والطب المصري في البـلاط الحثي)،وهوالاخـر يؤيـد اقـتراح الباحثين السابقين :

Edel, Elmar: (J976). Pp. 125ff.

(88) Laroche, Emmanuel: (1981). Pp. 33.

(89) Güterbock, Hans G: (1956). Pp. 162f

(٩٠) أسـماء من هذا النوع نجدهم حكاماً في ممالك حورية في شرق الأناضول مثل: آري-شاروما (Ari-Šarruma) وإخلي-شاروما (Ehli-Šarruma) ملوك في إشووا (Išuwa)، واخلي-تيشوب (Ehli-Tešub) ملك الزي (Alzi).

(91) Laroche, Emmanuel: (1966). p. 52. No. 228.

(٩٢) إذا كانـت هذه القراءة الصحيحـة، ربما يكون اسـم تابـع للملـك تودحليـا الرابـع في النـص (RS 34,165 obv. 13)، واسـمه ينتهـي (ري) (-ri)، ليكون اخلي-لوكال-ري (Eḫli-LUGAL-ri?) وهذا من شـأنه فتح إمكانيات جديدة قد تؤدي إلى تكهنات لا مبرر لها.

(93) Meriggi, Piero: (1962). p. 85.

(٩٤) ورد اسـمه في قائمـة الشـهود في المعاهدة بين حاتوسـيلي الثالث ملـك حاتتي واولي-تيشـوب ملك تارخونتاشا:

Beckman. Gary: (1999) .p.113

(95) Klengel, Horst: (1968). Pp. 51f.

(٩٦) أن ملك إشـووا من اقربـاء الملك الحثي تودحليا الرابع:

Güterbock, Hans G: (1973). Pp. 140f //

Stefanini, Ruggero: (1962). p. 35.

(٩٧)عموما المتفق عليه على وجود طبعات ختم عثر في كوروتبه (Korucutepe):

Güterbock, Hans G: (1973). Pp. 140f

(98) Singer, Itamar: (1977). p. 184.

(٩٩) راجع نص الشظية (KBo. VIII 23):

Klengel, Horst: (1968). p. 62.

(١٠٠) نص رسـالة من تودحليا الرابع إلى الملكة فيها تفاصيـل حـول مناطق في غـرب الاناضـول والحكم الصـادر منها يحمـل طبعة ختـم الملكـة بودوخيبا، وهناك رسالة أخرى من بودوخيبا إلى نيقماندوالثالث ملك اوغاريت ورد أسـم منطقة اودا (Uda) يمكن أن تكـون بلدة في جنـوب الأناضول وكانـت لديه بالفعل اتصـالات مـع الملكـة بودوخيبـا، وفي الرسـالة تؤنب بودوخيبا نيقماندو(Niqmndu) لعدم عرض نفسـه أمامهـا (في اودا؟). هـذه على ما يبدونفس الشـكوى أثيرت ضد إبرانو(إبراهيم)(Ibiranu) ملك اوغاريت:

Singer, Itamar: (1983). p. 214.

(101) Klengel, Horst: (1968). p. 72 n. 29 (II. 9-16).

(١٠٢)كتبت العبارة-UZU (kišādu =UZUGÚ=) kuttar) بمعنى (مؤخرة العنق) .

(١٠٣) هل هذا يعني أنهم (انتصروا؟) .

(104) Singer, Itamar: (1985) .p. 117.

(١٠٥) نفس الشخص في الوثيقة رقم (.RS 34 165 rev. 4?).

(١٠٦) يظهر أن تودحليا كان يسعى إلى المناورة الناجحة اسوة بالملك مرواتالي الثاني في معركة قادش ضد مصر.

(١٠٧) حول تاريخ سوبيلوليوما الثاني راجع الباحث (Singer) حول تاريخ نهاية الإمبراطورية الحثية:

Singer, Itamar: (1987). Pp. 413-421.

(١٠٨) راجع الباحث (Otten) في بحثه (التقرير السنوي للمعهد من عصور ما قبل التاريخ):

Otten, Heinrich: (1976). p. 29. n. 66// Stefanini, Ruggero: (1965). KBo. IV 14, p. 78 n. 59.

(١٠٩) من الصعب أن نعتقد بأن توكلتي-ننورتا الأول تخلى عن الفتوحات بدون مقاومة، وأن غياب الوثائق الملكية يجب أن تفسر كإشارة وعلامة على عدم وجود أنشطة عسكرية لا على أساس هزيمة عسكرية:

Goetze, Albrecht: (1975). p. 266 // Munn-Rankin, Joan Margaret: (2008). p. 293

(110) Beckman. Gary: (1999) .p.106.

(١١١) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٣٦.

(١١٢) راجع البحث :(اليونان، وبحر إيج وبلاد الشام خلال «العصور المظلمة» من القرن ١٢ وحتى القرن ٩ قبل الميلاد)، الصادر عن (أكاديمية العلوم النمساوية):

Griechenland, die Ägäis und die Levante... (1983). Pp. 18ff

(١١٣) يصنف الكتبة في حاتتي حسب ممارستهم للكتابة على الرقم، أوالجلود، أوالاخشاب وأيضا إذا كان يكتب بالحروف المسمارية الحثية على (الرقم والجلود والاخشاب) أوالحروف الهيروغليفية التي تنقش على الصخور والاختام، وما ذكر ليس من المحتمل أن يكون نفس الشخص كـ(رئيس الكتبة على الخشب) الذي ورد اسمه في الوثيقة (CTH 124) هونفس الكاتب (..) شاروما الذي سبق وأن تبنى سوبيلوليوما كطفل صغير كما اقترح الباحث (Meriggi):

Meriggi, Piero : (1962). p. 94// Otten, Heinrich: (1963). p. 3.

(١١٤) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٥١

Otten, Heinrich: (1976). Pp. 30f n. 66.

(١١٥) أحدى هذه الوثائق هي (KUB XXVI 25) محتمل معاهدة مع حاكم لدولة تابعة للحثيين، انظر الباحث (Otten):

Otten, Heinrich: (1963). p. 4.

(١١٦) راجع الباحث (Meriggi) في بحثه (القاموس الهيروغليفي الحثي):

Meriggi, Piero : (1962). p. 92.

(117) Singer, Itamar: (1983). Pp. 214ff.

(118) Otten, Heinrich: (1963). p. 5// Gurney. Oliver Robert: (1991). p. 40.

(119) Liverani, Mario: (1979). Col. 1311.

(١٢٠) انظر أيضا الوثيقة:(KBo. XVI 35) كتبها حفيد حاتوسيلي الثالث، وهي شظية صغيرة ربما تعود إلى معاهدة مع تابع ربما مع ميرا (Mera) (ميرا كواليا منطقة في غرب الأناضول):

Singer, Itamar: (1983). p. 217 .

(121) Otten, Heinrich: (1963). p.13.

(١٢٢) راجع الباحث (Otten) في بحثه (مصادر جديدة عن الإمبراطورية الحثية):

Otten, Ḫeinrich: (1963). p.47 n. 13.

(١٢٣)جمـع (URUHatti “Tudḫaliya) (في ولاية مطلقة) يصعب تفسـيرها ربما يقصد المدينة العليا في بوغازكوي:

Güterbock, Hans G: (1967). p. 80 n. 12.

(١٢٤)من المؤسـف أن العبارة حول بناء شـيد للإله العاصفـة مفقـود، ولا يشـير بالـضرورة إلى معبده، وهـوفي الواقع نفـس معبد للإلهة الشـمس من ارنينا المذكـور أعـلاه (المعبد الأول)، يمكن أن يكون إشـارة ‎المادرة لأنشـطة بنـاء تودحليا في يازليكايـا (-Yazi likaya)، واعتقـد هونصب خـواشي (huwaši) للإله العاصفة في حاتتي .

(١٢٥) لعل بورونا (Puruna) في الواقع هو أسم نهر الفرات.

(126) Güterbock, Hans G: (1967).Pp. 73ff

(١٢٧) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٥٧

(١٢٨) حدثت هجرات هائلة لشعوب اكتسحوا تماماً الأناضول وسوريا وفلسطين من شرق البحر المتوسط إلى السـاحل المصري في بداية القرن الثاني عشر ق.م، وأصبحت نهاية عصر البرونز المتأخر في الشرق الأدنى عـلى أبواب الانهيار بـل بالأحرى كارثـة كبيرة دمرت مراكـز القـوى القديمـة من قبـل مجموعـات بشرية مهاجـرة أطلق عليهم تسـمية شـعوب البحر لان جل عملياتهم العسـكرية وهجرتهم انحصرت في سـواحل البحر المتوسـط وجزره، وقد وصفـوا أحيانا بالبرابرة الغـزاة انطلقـوا مـن مناطقهـم في شـمال الأناضول وانتقلوا إلى الشرق الأدنى متبعين سياسة قتل السكان في المدن الساحلية بلا رحمة مع سلب وتدمير كل شيء يقـف في طريقهم خاصـة الحضـارات المتطورة التي تأسسـت منذ فترة طويلة سـواء مـا كان منها في بلاد الأناضول أوسوريا.

(129) Astour. Michael C: (1965). Pp. 253ff

(١٣٠) راجع الباحث (Klengel) في بحثه (سـنوات الجوع في حاتتي):

.Klengel, Horst: (1974). Pp. 165ff

(131) Singer, Itamar: (1983). p. 217.

(١٣٢) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٤٥٨.

(١٣٣) تقع مدينة لوسند (Lwsnd) واسمها لاوزانتيا (Lawazantiya) في بلاد كيزوواتنا (قيليقيا الشرقية) (Cilician) وهي ليسـت بعيدة عـن جبال الامانوس والمدينة اقرب الى القلعة وربما الرسـالة كانت موجهة إلى الملك الحثي وكان موجودا في لوسند:

Astour, Michael C: (1965). p. 257.

(١٣٤) اقـترح الباحـث (Meriggi) أن بقاء الثقافة الحثيـة في جنـوب شرق البلاد، وخاصـة في كركميش يعـزى جزئيا إلى بقايا القـوات الحثية التي قاتلت مع سوبيلوليوما الثاني في شمال بلاد الرافدين.

Meriggi, Piero : (1962). p. 90.

(135) Singer, Itamar: (1983). p. 217

(136) Otten, Heinrich: (1976). p. 29 n. 66

Assyrian-Hittite Relations
The Battle of Nahriya and the end of the Hittite Kingdom

Dr. Salah Rashid Al-Salihi

Abstract

The Ugaritic site of Ras Shamra in Syria was excavated in 1973. Many of the plates were found in the cuneiform Ugaritic, and included texts of great importance in the history of the Hittite Empire. Among them was a document (RS No. 165 165) that deserves attention as it shed light on the Assyrian-Hittite relations at the end of the thirteenth century BC. The text of the document was translated and other directly related tablets were added. These tablets provided information on the Assyrian-Hittite relations, in the time of the Assyrian Emperor Šulmānu-ašared (=SAG) or his son king Tukulti-Ninurta I, whose name and titles have been written in the first line is lost, generally through the texts We have reached the nature of the Assyrian –Hittite relations .



لوح رياضي مهم من تل الضباعي

سلمان أحمد حسين*

هل نستطيع ان نقدر اهتمامات رجال عصر ما من خلال قراءة افكارهم المدونة التي تركوها لنا فنتصور الفضل العظيم الذي أسدته افكارهم تلك الى مسيرة الحضارة؟ وهل نقدر ان نتساءل ما اذا كانت وراء تلك الأفكار دوافع تجارية واقتصادية أم انها كانت عملية (اعلان عن حافز الذات) اتضحت ابعادها فوجدت لها مساراً شق طريقه وسط ظرف متكافئ عبرت فيه عن رغبتها في زيادة درجة نمو التقدم العلمي الذي خدم تطور البشرية؟

أظن ان هناك أمرا واحدا يحتم علينا ان ننظر اليه باهتمام ونحن نتحدث عن موضوع مثل هذا فنؤكد هنا انه لم يكن بمقدورنا قراءة اي من تلك الأفكار لو لم يخترع انسان وادي الرافدين الكتابة التي كانت بمثابة أوسع خطوة خطتها الانسانية نحو الحضارة ومكنت كل عمل انساني ان يبلغ الذروة فيها. حيث ظهرت لأول مرة في التاريخ الأحرف المستقيمة في سومر حوالي منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

بيد ان اكتشاف اقدم كتابة كان في المعابد وليس في المباني والمؤسسات الاخرى، وكان لهذا الأمر مغزاه ودلالته التي تؤكد ان المعبد اصبح منذ ظهوره مركزا للحياة السياسية والأقتصادية والاجتماعية بحكم طبيعة عمله التي فرضتها ظروف. قيامه وتواجده ليكون موئلاً يهتم بتلك النشاطات، وعلى كل حال فان أمرا طبيعيا وحتميا يتدفق في النفس البشرية جعل طائفة من كهنة تلك المعابد يتحولون من مجرد مدونين للأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الى علماء ومعلمين يتخذون من تلك المعابد مدارس تمتلك الخبرة والقدرة على التعبير والفصاحة.



* كاتب / العراق .

لذا فإن هذه المؤسسات العلمية المستحدثة انعطفت منعطفاً مهما وقطعت صلتها بالمعابد تماما، فتركت تسجيل قضايا الحياة اليومية وجباية الضرائب وتحصيل النذور التي كان القوم يهدونها إلى الآلهة على عاتق الكهنة الذين ينعمون بلحومها واصوافها واقتصر اهتمام هذه المدارس وأولئك العلماء والمعلمين الأوائل على تدريس العلوم الرياضية والفلكية وعلوم الحياة الأخرى(*)..

ترى أي طراز من البشر كان أولئك العلماء الذين فضلوا مواقعة العلوم على التنعم بخيرات وملذات كهنة المعابد الذين كانوا يؤدون الأعمال الوضيعة بنبل عظيم، فهل كان أولئك العلماء يتحركون باتجاه ما إلى مكان ما في المستقبل؟ أم أنهم كانوا يشعرون بأن هناك حاجة إلى غطاء من نوع آخر ينبغي تواجده كي تتم بها الأشياء وتتحقق من خلالها حقائق الأمور. .

فلقد تأكد للباحثين والمؤرخين بصورة واضحة أن عربة الحضارة التي يستقلها أولئك العلماء الأفذاذ انطلقت اول أمرها من وادي الرافدين(*). وفضل أولئك العلماء ركوبها على البقاء جنب الكهنة في معابدهم وكان الكهنة يدفعونها من الخلف بينما كانت النذور والمتلهفون وراء النذور تجرها إلى الأمام. . لكننا سوف لا نتعامل مع الكهنة الذين كانوا يدفعون تلك العربة ولا مع من يجرها، بل سنبحث عن هوية أولئك الرجال العظام الذين يركبونها واثارهم العلمية الخالدة من الذين لم يحتفظ التاريخ بأسمائهم، بينما وعى وعن طريق حركة الترجمة العربية لكتب الإغريق والرومان كل أسماء علماء تلك الأقوام..

ولعل لوح أو رقيم تل حرمل الذي تكلمنا عنه في صفحات هذه المجلة الغراء (المورد العدد الثالث لسنة ٢٠١٣) يعتبر شاهدا على نضج ما في هذا الرقيم من المعارف الرياضية التي لا يمكن أن تغيب عن أذهان العالم لما فيها من دلالات تستحق التأمل والإعجاب. حيث أن هذا الرقيم هو الإثبات المادي الذي يشهد عن معرفة العراقيين للمبرهنتين الشهيرتين اللتين عرفهما العالم عن العالمين الاغريقيين

فيثاغـورس واقليـدس، إذ تتكلم الأولى عن علاقـة مربع وتر المثلث قائم الزاوية بمربع ضلعيه القائمين وتتحدث الثانية عن تشابه المثلثين المتحديـن في المثلث القائـم الزاوية عنـد إنـزال عمود مـن القائمة عـلى وتره، قبل ذلكما العالمين الاغريقيين بما يزيد عن ١٥٠٠ عـام. مما يحمل الـدارس والباحث على الاعتقـاد أن هذا الطور الذي كتبت فيه مضامين رقيم تل حرمل قد سـبقته أطوار أخرى مـن التدويـن والبحـث الرياضيين ولكن لم يأتنا منه شيء بعد، ولعل المستقبل سيكشـف ذلـك الأمـر، كمـا يبين لنـا بأن المبـادئ الأساسـية لعلـوم الرياضيات قد وضعـت في حضارة وادي الرافدين أولا. [١]

وان المبادئ الهندسـية التي وجدت في ذلك الرقيـم توضح بلا شـك أن الطرق الجبرية التي استعملت في حل تلك القضية الهندسية الجبريـة للرقيم المذكور كانت معروفة لدى العراقيين القدماء كمـا نعرفها نحن اليوم. [٢] لكـن هـذا الشـاهد عـلى معرفـة أولئك العلماء العراقيـين الأوائل للعلوم الرياضية الحاليـة ليس هـو الوحيد الـذي يمكن أن تتناولـه الأقـلام، فهنـا نجـد ومـن ضمن الشـواهد الرياضية العديدة وبما قامت به القـرون الطويلة مـن الحضـارة العراقية القديمة رقيما رياضيا آخر عثر عليه في تل الضباعي (أحد المواقع المهمة التابعة لمملكة اشنونا) يظهر لنا منهج التفكير المنطقي في تلـك العقلية العراقية التـي تقف وراء ذلك اللوح الريـاضي الذي عثـرت عليه مديرية الآثار القديمة العراقية في تنقيباتها الأثرية في ذلك التل من (١٩٦٠-١٩٦٣).

وتل الضباعي هذا التابع لمملكة اشنونا هو أحد أشـهر المواقـع الأثرية لفـترة حضارة عصر السـلالات في منطقة ديـالى، حيث أن هناك مواقع أخرى تابعة لدولة اشنونا هي:

أ- تل أسـمر- وهو موضع المدينة القديمة اشـنونا عاصمـة المملكـة والتـي قامت في المثلـث الواقـع ما بـين نهري ديـالى شرقا ودجلة غربا.

ب- تل خفاجي- يقع على بعد (٧) أميال شرق بغـداد. وهـو منطقة أثرية واسـعة كشـف فيها عن معابد مهمـة وعلى حصن شـيده ابن حمورابي ومجموعة من الألواح

الطينية المهمة.

ج- تل اشجالي- ويقع على بعد (٣) أميال جنوب شرقي خفاجي، وجد فيه المنقبون عن تحريات لمعبدين خصص أحدهما لعبادة «عشتار» والثاني لعبادة «شمس».

د- تل اجرب (أو عقرب) يقع على بعد (١٥) ميلا شمال شرقي تل أسمر وأهم ما كشف فيه المعبد الذي خصص لعبادة «شارا».

هـ- تل حرمل- الواقع في الضواحي الشرقية لمدينة بغداد وبالتحديد منطقة بغداد الجديدة، وقد أظهرت التنقيبات نتائج مهمة في التعرف على حضارة وادي الرافدين في العصر البابلي القديم، وفي تل حرمل بناء يرجح انه كان المركز الإداري والعلمي لهذا الموضع الذي يصح أن نعتبره أقدم جامعة أو أكاديمية علمية في التاريخ[٣].

و- تل الضباعي- وهو من المواقع المهمة في مملكة اشنونا والذي - فيه مديرية الآثار القديمة العراقية(١٩٦٠-١٩٦٣م).

وهو قريب من تل حرمل. ووجد فيه أي في (تل الضباعي) لوح رياضي مهم في دور بنائي مع ألواح تجارية مؤرخة بحوادث سني الملك (ابالبيل) الثاني، أحد ملوك اشنونا الذي كان معاصرا في حكمه إلى أوائل ايام حكم حمورابي. وعلى هذا يمكن أن يعود تاريخ اللوح إلى حدود ١٧٥٠ ق.م. وفيما يلي ترجمة تفسيره وحله:-

الترجمة[٤]

١- اذا سألوك عن مستطيل.

٢- على الوجه الآتي: القطر $١\frac{١}{٤}$(١,١٥) والمساحة $\frac{٣}{٤}$(٠,٤٥)

٣- فما مقدار الطول والعرض؟

وقبل حل هذه المسألة ينبغي على القارئ معرفة نظام العدد البابلي الذي يستند الى خاصيتين اولاهما ان اساس العدد هو (٦٠) وثانيهما مبدأ المرتبة العددية حيث إتبع في التعبير عن المقادير العددية وبالأرقام العربية الطريقة المتبعة في MCT، فنستعمل(٠) اي الصفر لتعيين المرتبة العددية للرقم، وذكرنا العدد بحسب الطريقة الستينية وما يقابله في الطريقة العشرية بين قوسين مثلاً-

[١٥,٠,١=١×٦٠+١٥=٧٥]

يكون الحل كالآتي:

٤- ضع ما يساوي $١\frac{١}{٤}$ وهو قطرك.

٥- اضرب بعضهما ببعض فينتج $١\frac{٩}{١٦}$ (١,٣٣,٤٥)

٦- احتفظ في يدك بـ $١\frac{٩}{١٦}$.

٧- اضرب مساحتك التي هي $\frac{٣}{٤}$ بأثنين فينتج $١\frac{١}{٢}$ (١,٣٠) .

٨- اطرح الناتج من $١\frac{٩}{١٦}$ فيكون الباقي $\frac{١}{١٦}$ (٣,٤٥) .

٩- خذ الجذر التربيعي لـ $\frac{١}{١٦}$ (٣,٤٥) فينتج $\frac{١}{٤}$ (٠,١٥) ونصفه الذي هو $\frac{١}{٨}$ (٠,٧,٣٠).

١٠- اضربه بـ $\frac{١}{٨}$ فينتج $\frac{١}{٦٤}$ (٠,٥٦,١٥).

١١- احتفظ بيدك بـ $\frac{١}{٦٤}$ واضف مساحتك إليه.

١٢- فينتج $\frac{٤٩}{٦٤}$ (٠,٤٥,٥٦,١٥)، خذ الجذر التربيعي لـ $\frac{٤٩}{٦٤}$.

١٣- فينتج $\frac{٧}{٨}$ (٠,٥٢,٣٠.٠). ضع $\frac{٧}{٨}$ اخرى معها .

١٤- اضف الـ $\frac{١}{٨}$ (٠,٧,٣٠.٠) الذي ربعته الى احدهما واطرحه من احدهما .

١٥- فينتج (في الحالة الأولى [١] وهو مقدار طولك (وفي الحالة الثانية) $\frac{٣}{٤}$ (٠,٤٥) وهو العرض..

١٦- فاذا كان الطول= ١ والعرض $\frac{٣}{٤}$ فما مقدار المساحة والقطر؟

وبعد حل الرياضي العراقي القديم للمسألة بإيجاد الطول والعرض يشرع في تحقيق الحل بأن يطلب بإيجاد القطر والمساحة بمعرفة الطول والعرض وكالآتي:-

(انت في) حلّك ربّع الطول.

(فينتج ا) احتفظ في رأسك برقم (١).

(ارجع) وربع $\frac{٣}{٤}$ الذي هو العرض.

فينتج $١\frac{٩}{١٦}$ (٠,٣٣,٤٥) أضف هذا الى مربع طولك فينتج $١\frac{٩}{١٦}$ (١,٣٣,٤٥) خذ الجذر التربيعي لـ $١\frac{٩}{١٦}$ وهو قطرك.

فينتج $١\frac{١}{٤}$ (١,١٥) اي $١\frac{١}{٤}$ وهو قطرك.

اضرب طولك بالعرض (فتحصل على) $\frac{٣}{٤}$ (٠,٤٥) وهي مساحتك ويكون هذا هو الحل..

ان هذه القضية تدور حول مستطيل عرف فيه مساحته وقطره وطلب ايجاد طوله وعرضه، ونعبر عن خطوات الحل بالرموز

الجبريـة في المصطلحات الرياضية الحديثة وكما يأتي:-

اذا فرضنـا طول المسـتطيل (س) وعرضه (ص) فيكون وضع المسألة كالآتي:

$س ص = \frac{٣}{٤}$

وربـع الكاتب القطرين (كما في السـطرين ٤، ٥) فينتج عنده:

$س^٢ + ص^٢ = (١\frac{١}{٤})^٢ = ١\frac{١}{١٦}$ ثـم ضرب المساحة بأثنين فينتج:

$٢س ص = ٢ × \frac{٣}{٤} = ١\frac{١}{٢}$

ثم طـرح الرياضي هذه المقـدار اي ضعف المساحة من مربع الوتر اي

$س^٢ + ص^٢ - ٢س ص = ١\frac{١}{١٦} - ١\frac{١}{٢} - ١ - \frac{١}{١٦}$

اي $(س - ص)^٢ = \frac{١}{١٦}$

ثم اخذ الجـذر التربيعي لهذه الكمية فنتج عنده الفرق بين المجهولين

اي $س - ص = \sqrt{\frac{١}{١٦}} = \frac{١}{٤}$

ثم نضيف هـذا المقدار اي $\frac{س - ص}{٢} = \frac{١}{٨}$

وربعـه اي $\frac{س٢}{٤} + \frac{ص٢}{٤} - \frac{١}{٢}$ س ص = $\frac{١}{٦٤}$.

ثم اضاف إليه المساحة فنتج عنده

$\frac{س٢}{٤} + \frac{ص٢}{٤} - \frac{١}{٢}$ س ص + س ص =

$\frac{١}{٦٤} + \frac{٣}{٤} = \frac{٤٩}{٦٤}$

اي ان $(\frac{س+ص}{٢})^٢ = \frac{٤٩}{٦٤}$

وبأخذ الجذر التربيعي ينتج:

$\frac{س+ص}{٢} = \frac{٧}{٨}$

وبإضافـة $\frac{س-ص}{٢}$ الى $\frac{ص . س}{٢}$ وطرحه منه ينتج

س = ١ وهـو الطـول و ص = $\frac{٣}{٤}$ وهو العرض

ثم حقق الرياضي المسألة بأن اعاد وضعها، فطلب أيجاد المسـاحة والقطـر بعد ايجاد الطول والعرض، وسار في خطوات واضحة لا حاجـة بنـا الى تفسـيرها مـن الناحيـة الرياضية.

ان هـذه القضية (الهندسـية الجبرية) هي مثال من اهم الأمثلة المعروفة لدى الباحثين

مما جـاء الينا من رياضيات العراق القديم التـي تـدل دلالـة واضحة على ان اسـاس العلـوم الرياضيـة قد وضعـت في حضارة وادي الرافديـن قبـل اكثر مـن ٤٠٠٠عام وان رياضي العراق القديم بلغوا شأواً بعيداً وقطعوا شـوطاً طويلاً في معرفة الكثير من المبادئ الرياضية في الهندسـة والجبر حتى اصبحت خاصية متكررة في التاريخ.

الهوامش

(*) ثمـة نصوص ذات طابع تهكمي يردُ فيها وصف بيئة الكتبـة والتلاميذ نعرف منهـا ان المبتدىء يعهد به الى شـخص اكـبر منه سـناً لكي يكون لـه بمثابة الأخ الكبـير. وكثيراً ما لا يستسـيغ المعيد هذا الطالب الصغـير. لـذا نلقـى الصغير يثـور مهاجمـاً الكبير ويشتمان بعضهما ويفضي بهما الأمر الى الضرب. ولا يتم كسـب رضى المعلم إلا بمحاولة دعوته من قبل ولي أمر الطالب الى وليمة عشـاء. وعند مقدمهِ يجد الهدايا بانتظاره، اما موضعه فيحتل الصدارة من المنزل، ولا يتم على العشـاء سوى تبادل المشاعر الطيبة والتعابير المعسـولة، ويشـكر الأب معلـم ابنه عـلى أتعابه التي يتجشـمها في تربيته، وينسى الجميع القصاصات التي سـبق ان نالها التلميذ على يد معلمه، ويكاد المبتدئ لا يصدق اذنه وهو يسـمع معلمه الذي يوبخه دائماً على رداءة خطه، فيقول له (الآن قد تحسنت دراستك كثيراً، وكتابتك الآن جيدة فأسـتمر على هذا المنوال وسيكون النجاح حليفك) ويقوم الجميع بعد هذا المشـهد برفع الدعاء الى اله الكتابة والى اله التعليم!!
ينظر: مرجريت روثن، علوم البابليين ص ٣٥.

(*) وفي هذا الأمر يقول وول ديورانت صاحب كتاب قصة الحضارة: [انه يستحيل علينا ان نعلم علم اليقين اي الثقافـات واي النظريات جـاءت قطعاً في المقدمة، لكننا نعتمـد الحقيقة التي تدل عـلى ان عمر مدنيات وادي الرافديـن ووادي النيـل (اذا قيـس الى مدنيـة اوربا) يمتد طولاً كلما ازداد علمنا بتلك المدنيات عمقاً، فمجاريـف علماء الآثار التي قضـت الى الآن مايقارب القرنـين في بحثهـا المظفر عـلى ضفـاف وادي النيل وانتقلت في سـيرها عبر السـويس الى جزيـرة العرب وفلسطين والعراق وبلاد فارس كلما خطت في طريقها هـذا ازداد ترجيح تزايد المعرفة التـي تعود علينا من ابحاثها ان (دلتا مابين النهرين) هي التي شهدت اول خيوط فجر المعرفة والمدنية الانسانية واول شعاع من شـمس الحضارة التي اشرقت عـلى العالم كله. ينظر: وول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢ ص ٤٤.

المصادر:
١- ناجي الأصيل مجلة سومر، ١٩٥٠، ص٣.
٢- طه باقر مجلد سومر، ١٩٥٠، ص٥.
٣- طه باقر مجلد ١٨ مجلة سومر، ١٩٦٢، ص٧.
٤- المصدر نفسه ، ص١٥.

An important mathematical board from (Tal Al-Dabbai)

Salman Ahmed Hussein

Abstract

This research deals with the rereading of one of the mathematical issues (algebraic geometry) that the mathematicians of ancient Iraq developed and arranged their equations, Then reach its solution. This mathematical issue is one of the many examples revealed by archaeological excavations, in order to ascertain the scope of the scientific achievement by the ancient Iraqis in the primacy of their achievements, which tells that the foundations of mathematical science were developed in the civilization of Mesopotamia more than four thousand years ago. And that Iraq›s ancient mathematicians have reached a far-off position in the knowledge of many of the engineering and algebraic principles that contemporary mathematics studies.



(تــل حــردان) واهم الموجودات الآثـــــــارية



شيماء ماجد الحبوبي*

التسمية:

يقع تل حردان في محافظة بغداد، قضاء المدائن (طيســفون tesiphon)[١] في القســم المحاذي لنهر دجلة مقابل مدينة ســلوقيا الآثارية الواقعة على الضفة الغربية للنهر،[٢] وذلك بناء على رأي البعثة الالمانية المنقبة في المنطقة، اما البعثة الايطالية المنقبة في مدينة ســلوقيا فقد اعتبرت موقع مدينة طيســفون مكانا لمدينة چوخــة التي وردت كثيرا في المصادر الكلاســيكية، في حين ثبتت الهيئة العامة للآثار والتراث موقع مدينة طيسفون الى الشــمال مــن چوخة، وعــلى اي حال فقد غير النهر مجراه وقســم موقــع المدينة الى قسمين[٣] اما تسمية التل فهي حديثة العهد وحردان هو اسم احد ابناء صاحب الارض التي يقع التل ضمنها.[٤]

ويعتــبر هذا التل واحداً من بين التلال المنتشرة في منطقة المدائن، وهو تل مربع الشــكل تقريبا تبلغ مساحته (١٠٠×١٠٠م)، يبلغ ارتفاع اعلى نقطة فيه (٢،٢٠م).[٥]

تشــير المصادر الى ان الفرثيين ينتمون الى القبيلة المســماة (فرني) او (فارني، پارني parni)، وهــذه القبائــل هي ضمن مجموعة قبائل اسـكيثية واســعة اســمها (داهي Dahai)، وتلــك القبائــل كانت تعيش حياة بدوية في الســهوب الكائنــة بين بحر قزوين وبحر آرال، اما تســمية الفرثيين فكانت نســبة الى الاقليم الذي اســتولوا عليه من ايران



* مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد .

بعد ان نزحوا الى جنوبها في الاقليم الفارسي المسمى (پارثو parthu) وهو اقليم خراسان قبل (٢٥٠ ق.م) وكان هذا الاقليم يحمل تسمية الفرثيين نسبة الى اقوام اقدم عهدا منهم سكنت الاقليم قبلهم.[٦]

تمكن الفرثيون من الدخول الى العراق في سنة (١٤٠ ق.م)،[٧] اذ مكث الملك الفرثي مثرادتس الاول في اقليم بابل، حيث أقام قلعة حربية منيعة فيه وهي طيسفون tesiphon التي اتخذها الفرثيون عاصمة لهم فيما بعد، وبذلك تقلصت حدود الدولة السلوقية بحيث أصبحت تسير مع مجرى الفرات شرقاً[٨]، وبذلك يكون الفرثيون قد حققوا مبتغاهم في القضاء على اهمية العاصمة السلوقية القديمة[٩]، إلا أن حكمهم في بلاد الرافدين لم يستتب الا في عام (١٢٦ ق.م) في عهد ملكهم ارطبان الاول. ولقد امتد حكم الفرثيين في بلاد الرافدين من (١٤٠ق.م - ٢٢٦ م)، وقد عد بعض المؤرخين ان الحكم الصحيح للفرثيين يبدأ بقضائهم النهائي على المملكة السلوقية في عام (١٢٦ ق.م).[١٠]

ظلت طيسفون تحت سيطرة الفرثيين بالرغم من الحروب الدائرة بينهم، الا ان الامبراطور الروماني تراجان تمكن في سنة (١١٥ ق.م) من قيادة حملة كبرى بدأت من انطاليا وفتح جميع المدن الواقعة في طريقه الى طيسفون وفتح الاخيرة دون مقاومة تذكر وسلب كنوزها ثم استمر جنوبا حتى وصل الخليج العربي، ثم جاءته الاخبار بأن الملك الفرثي خسرو تمكن من فتح جميع المدن التي وقعت تحت النفوذ الروماني مما اضطره الى العودة شمالا في حر الصيف حتى مات وهو في الطريق فتنازل خليفته عن جميع الاقاليم التي فتحها تراجان في حملته هذه.[١١]

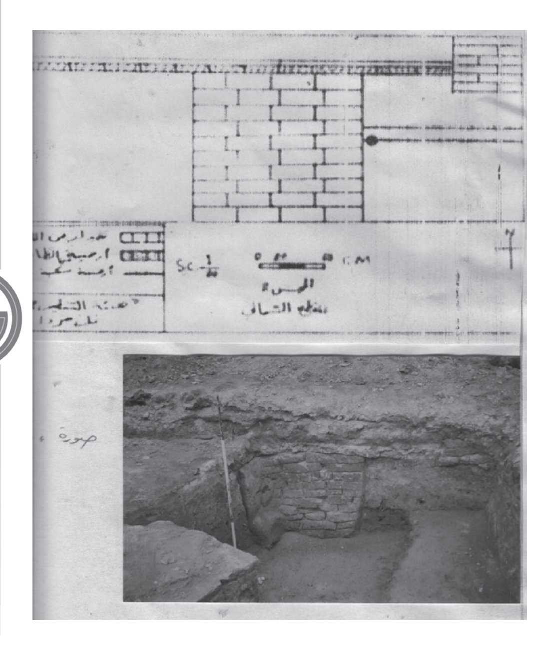
وبمجيء ملوك ضعفاء الى الحكم انتهى الامر الى ان اصبحت مدينة طيسفون (المدائن) عاصمة الدولة الساسانية، ومستقر ملوكها، ومركز الادارة، ومصدر القرار السياسي.[١٢]

اللقى الأثرية :

اظهرت التنقيبات فقر تـل حردان من اللقى الاثــــريــة الى حد بعيد، ويبدو أن الســكان قد اخــذوا اثاثهم قبل هجر المكان لبناء طبقة فوقــه هــذا ان لم يكونوا قد غــيروه من مكان ســكن الى مرفق آخر، اذ اقتــصرت اللقى على جرة واحدة ســالمة مــع مجموعة مــن الكسر الفخارية التي يرجــع زمنها الى عصر ما قبل الاســلام بعضها مزجج بــالازرق او بالاخضر وبعضٌ منها مزجج من الداخل كجرار الخزن بصورة خاصة، والقلة منها مزينة بخطوط مــن الزفــت،[١٣] كما تــم العثور عــلى ثلاث جــرار في الطبقة الثانية للتل وهي مقوســة القاعدة رتبت على نســق واحد من الشمال الى الجنــوب مثبتة في حفــرة مخصصة لها مع مراعــاة ان تكون الفوهــة بارزة، وقد عثــر في داخل إحداها عــلى ثلاث عظام من كعوب الغنــم مطبوخة وقد تم الاســتدلال على ذلك من خلال لونها المائل الى الســواد وهذه الظاهرة مشــابهة لجرة تم الكشــف عنهــا تعود لاحــدى المقابــر الفرثية في تل اســود.[١٤]

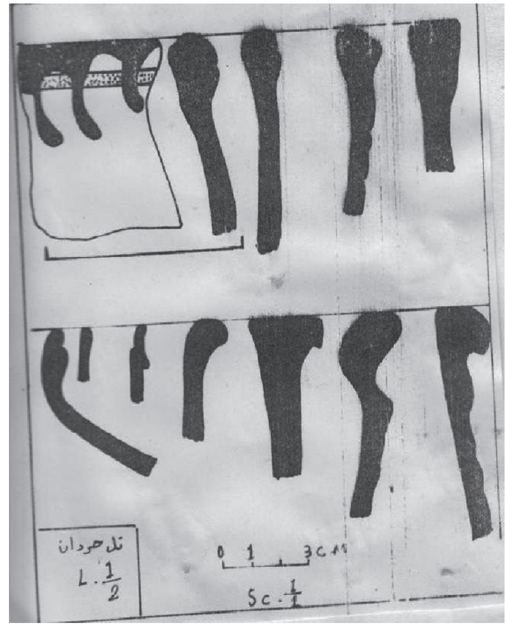


لقــد ضم ركــام الطبقــة بضعــة طابوقــات بحجــم (٤٠ســم) .[١٥]

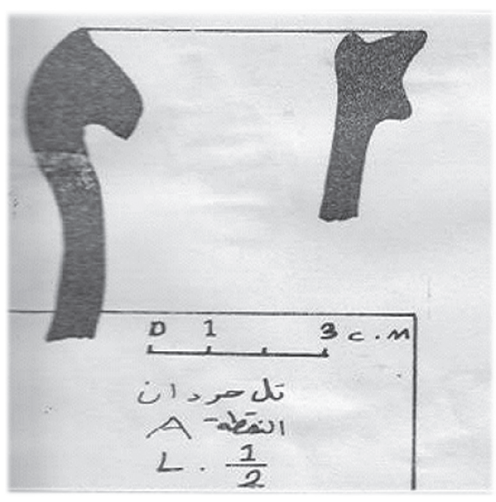




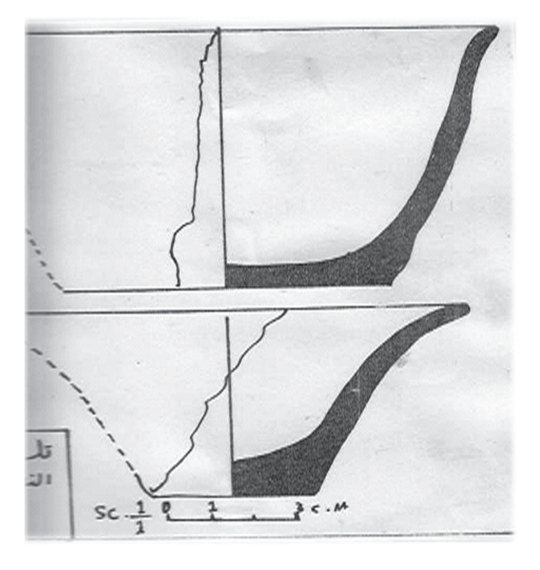
كمـا احتوى الـركام بـين الطبقتين الاولى والثانيـة على مجموعـة من حافات الاواني الفخاريـة والكثير من تلـك الحافات يعود الى جـرار كبيرة ضـم بعضها عـلى قوامها زخرفـة تحـت الحافـة مـع خطوط سـود معمولـة بالزفت، والقسـم الاخـر من تلك الحافـات يعـود الى أوانٍ صغـيرة.(١٦)



ومـن الجدير بالذكر انه تـم العثور في نقطة مـن نقاط التنقيـب في التل ومن بـين الركام على حافتين لم يعثر لهما على نظير في النقاط الاخـرى مـن التـل.(١٧)

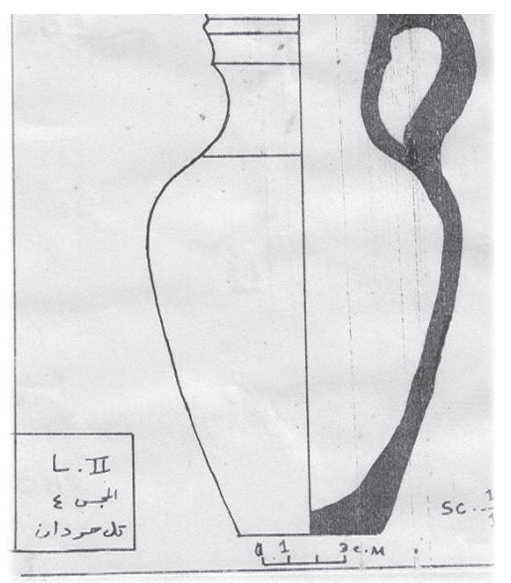


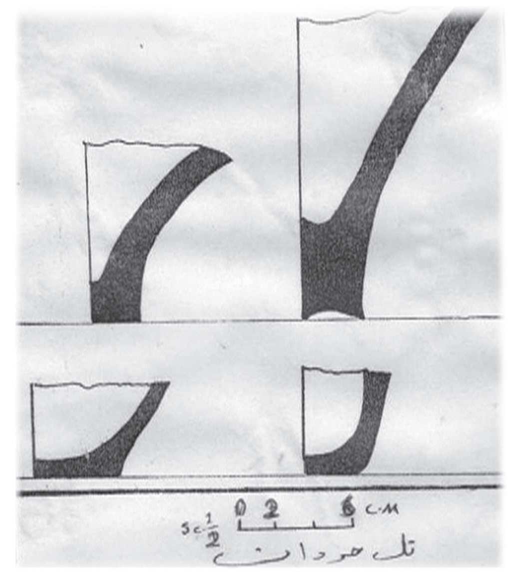
كمـا انفـردت هـذه النقطـة بكسرتـين من آنيتـين صغيرتـين أولاهما بشـكل كوب كبير مقطـع مزجـج باللـون الازرق والكسرة الثانيـة بشـكل صحـن مقطـوع القاعـدة مسـحوبة نحو الخـارج ونوع هـذه الكسر شـاع في مرحلة العصر الفرثي(١٨)

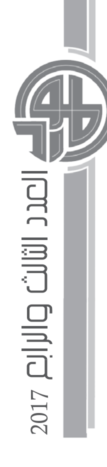


تميـز فخـار الاوانـي التي تـم اكتشـافها خـلال عمليـات التنقيـب في ركام الطبقـة الاولى بدقـة صناعتـه اذ لوحـظ ان احدى قواعـد الكوؤس قـد تميزت عـن مثيلاتها بطريقـة صناعتهـا،[١٩] وتميـزت حافـة احـدى الاوانـي الكبـيرة بانسـحابها الى الخـارج ويعلوهـا اخـدود عميق الشـكل وهـي مزججة باللون الاخـضر، ويبدو ان شـكل الحافـة يعمـل عمـل المقبـض وهو نمط تـم العثور عليه في مدينة الوركاء[٢٠] في المرحلـة ذاتهـا.[٢١]

كمـا عثـر في تل حـردان عـلى جـرة كاملة صغـيرة الحجـم مغزليـة البدن حـوت على خـط يمتد من الحافـة الى الكتف، وهي ذات قاعـدة مقطوعـة[٢٢] وهي مشـابهة للجرار التي شـاعت صناعتها في العصر الفرثي.[٢٣]







الخاتمـــــــــــــة:

لـــم تتمكـــن هيئة التنقيـــب في التل مـــن النزول في عمليـــات الحفـــر الى عمق اكبر وذلك بســـبب المياه الجوفية القريبة من مســـتوى السهل مما حال دون تتبع الطبقـــات الاثارية والتمكن من معرفـــة اول عصر للاســـتيطان فيه، فضلا عن فقـــر الطبقة الاولى من اللقـــى الاثرية اذ لم يتم العثـــور الا على بعض الاواني والكسر الفخارية التـــي ترجع في تصميمها واضافاتها الى العصر الفرثي، ومن ثم مجيء الساسانيين واتخاذهم مدينة الطيسفون مســـتقرا لهم ولأربعة قرون فيمكن تســـمية المرحلـــة بالفرثية الساســـانية لاســـيما وان اثارهـــم تنتشر في التلـــول المحيطة بالمنطقة، فضلا عن عوامـــل التعرية الطبيعية التي اثرت على الاثار الباقية للمنطقة.

كما ان التجـــاوزات التي حصلـــت على المنطقة وذلـــك وفقا لتقارير التنقيب اثـــرت على عمارة المنطقة، اذ ان البقايا العمارية فقيرة جدا وهي كما اوردت تلك التقارير عبارة عن اجزاء جدران منتشرة هنا وهناك ولا تعطي صورة كافية لاي بناء كامل، كما تم حفـــر ثماني حفر اختبارية وزعت على مساحة التل وكانت جميعها فقيرة. وبالرغـــم مما تقدم لابـــد لنا من العمـــل الدائم من اجل الحفـــاظ على اثارنا الباقية فهي تراثنا الحضـــاري الذي نفخـــر به فالعـــراق بحق بلد الحضارات وان تنوعت، لذا يتوجب علينا العمل على نشر الوعي بين ابناء العامة وزرع الحرص للحفـــاظ على هذا المـــوروث الحضاري، والعمل على التعريـــف به حتى لايبقى مجـــرد مدونات على ورق.

قائمة الهوامش والمصادر:

١- المدائـــن (طيســـفون): طيســـفون: مدينة أسســـها الفرثيـــون، عـــلى الضفة الشرقيـــة لنهر دجلـــة مقابل العاصمة الســـلوقية ســـلوقية. وكانت هـــذه المدينة في بادئ الامر معســـكراً للجند ثم اصبحت هي العاصمة، واستمرت في ازدهارها واتساعها في العهد الفارسي- الساساني (٢٢٦-٦٢٧م) ينظر: باقر، طه، وآخرون، تأريخ ايران القديم، بغداد ١٩٧٩م، ص٩٤-٩٦، اما المدائن فهي صيغة الجمـــع للفظة المدينة، عرفت بهذا الاسم لانها كانت تتألف من عدة مدن او ضواحٍ كبرى، وعرفها اليونان باســـم قطســـفون واضيف اليها اسم

سلوقية فاصبحت تعرف باسم (سلوقية قطسفون)، للمزيد عن المدائن ينظر: العلي، صالح احمد، المدائن في المصادر العربية، مجلة سومر، مجلد٢٣، (بغداد: ٣مديرية الاثار العامة، ١٩٦٧م)، وتقع على مسافة ٣٥كم الى الجنوب الشرقي من بغداد (هناء عبد الخالق، نتائج التنقيبات في تلول جمعية في المدائن، مجلة سومر، الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٨٥م، مجلد ٤٤، ص١١١).

٢- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٩٨م، ص١.

- ايلي سعادة، المدائن طيسفون شيدها الفرثيون في القرن الثاني ق.م، مجلة الحياة، العدد (١٤٠٣٠)، بتاريخ ١٤/٨/٢٠٠١، ص١٤.

٤- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، الهيئة العامة للآثار والتراث، بغداد، ١٩٩٨م، ص٢.

٥- المصدر نفسه، ص٢.

٦- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، بغداد، ط٢، ١٩٥٦م، ص٤٦٥.

٧- مركز بحوث دار بابل، ١٣/٥/٢٠٠٧م .

٨- احمد مالك الفتيان، «العهد الفرثي في العراق» في ضوء تنقيبات تل اسود، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٥.

٩- طه باقر، المقدمة، ج٢، ص٤٦٨.

١٠- احمد مالك الفتيان، المصدر السابق، ص٢٥.

١١- احمد حبيب، العهد الفرثي في العراق، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ٧/٩/٢٠١١م.

١٢- سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق الادنى القديم (ايران والاناضول)، بغداد ، د. ت ، ص ١٦٥.

١٣- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص١.

١٤- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص١٨.

١٥- احمد مالك الفتيان وزهير رجب، سبع سنوات في تل اسود، ١٩٧٩م، ص١٠٧.

١٦- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص١١.

١٧- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص١٨.

١٨- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص١٩.

١٩- صلاح سلمان رميض، النتائج الاولية للتنقيبات التي اجريت في التلول على مسار الطريق الدولي، مجلة سومر، الهيئة العامة للاثار والتراث، مجلد ٣٨، بغداد ١٩٨٢م، ص٤٤.

٢٠-الوركاء: وتقع هذه المدينة على بعد (٣٠كم) جنوب شرق مدينة السماوة وهي اقدم المدن السومرية واكبرها اذ يرجع زمن ظهورها إلى الالف الخامس ق.م، ومرت بثلاثة ادوار الاول عرف بعصر العبيد (اواسط الالف الخامس ٤٥٠٠ق.م) والدور الثاني يبدأ في (٣٠٠٠ق.م) وفيه دونت الحوادث التاريخية وكذلك الحروب وسير الملوك، وما تم من الاعمال العمرانية، أما الدور الثالث فيبدأ في العصر الاكدي الذي اصبحت فيه الوركاء من ممتلكات سرجون الاكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ق.م) ولكنها ظلت مركزا دينيا وعمرانيا وثقافيا مزدهرا، بدأت اولى عمليات التنقيب فيها على يد الجيولوجي الانكليزي وليم لوفتس عام (١٨٤٩م)، (قحطان رشيد صالح، الكشاف الاثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٤٥-٢٤٦).

٢١- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص٢٠.

٢٢- تقارير التنقيبات الخاصة بتل حردان، ص٢١.

٢٣- احمد مالك الفتيان وزهير رجب، المصدر السابق، ص٢٣٠؛ صلاح سلمان رميض، المصدر السابق،ص٤٤.

Hardan hill
and The most important archaeological assets

Shaimaa Majid Al- Habubi

Abstract

Hardan hill situated in Baghdad governorate exactly in Al- Madain district beside Tigris river in front of Celokia archaeological city that is according to Germany mission opinion . It is settled by fraternal tribes through the those who could enter to Iraq in (140 B.C.) the king Mathraddas 1st, to Babylon region and established an impregnable fortress called (Tesiphon) where the fraternal had taken it as a capital. Exploration authority could not drug more because of underground water making them not know the era of settlement , the Sasanians came atter them who took (Tesiphon) as a capital of them as well for four centuries , thus this period is called Sasanians fraternal in addition to natural erosion factors that effected on the rest heritage there finally, it must be kept the cultural heritage of the country.



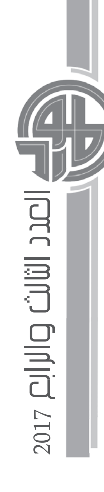
مجمع الاقوال في معاني الأمثال لمحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله العكبري (ت ٦٥٥هـ)

د. جليل ابراهيم العطية*

على الرغم من مرور نحو قرن ونصف القرن على النهضة العربية المباركة التي تأصلت في احياء تراثنا المخطوط وبعثه علمياً لايزال ينتظرها الكثير من العمل لإتمام عملية (الاحياء) على وفق منهج علمي جادّ، رصين.

- افتح قوساً هنا لأشير وأشيد بالفضل الذي أسبغه علينا المستشرقون والمستعربون في غالب مانشروه من تراثنا المخطوط مع استثناءات محدودة.

- منذ القرن التاسع عشر الميلادي أطل علينا (التحقيق العلمي)، فأخذنا منه، واقتبسنا مايلائم مجتمعنا وقيمه، وتقاليده وفي اثناء ذلك جمع الرحالة الغرب الآلاف من المخطوطات العربية- الإسلامية التقطوها من المساجد والكنائس والأديرة، ودور العبادة على أنهم - والحق يقال اعتنوا بها، ونشروا بعضها، وكان بين هؤلاء: شستربتي- المستشرق الايرلندي الذي استطاع اقتناء الكثير – بعد أن اتخذ القاهرة مكتباً إقليمياً للعاملين وإياه. وبعد سنوات تولى أربري- المستشرق البريطاني اللامع وضع فهرسٍ دقيق لها ظهر في ثمانية مجلدات صدر آخرها عام ١٩٦٦م كان مخطوط (مجمع الأقوال في معاني الأمثال) المكتوب بخط مؤلفه وهو مخطوط فريد - لا أخ له- بين ما كشفه هذا -الكتلوج- وهذا المقال يسلط الضوء على هذه الموسوعة الفذّة.



* باحث / العراق

معنى ضرب المثل:

- قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في تعريفه للمثل في مقدمة كتابه (المستقصى في الامثال):-

«المَثَلُ في لغة العرب بمعنى المِثْل كالشَبَه والتشِبْه، ونظيرهما البَدَل والبِدْل، والنَكَل للشجاع الذي ينكُل بأعدائه، ثم سمّيت هذه الجملة من القول المقتضبة من وصلها، او المرسلة بذاتها المتّسِمة بالقبول، المشهورة بالتداول: مثلاً، لأنَ المحاضر بها يجعل موردها مثلاً، ونظيراً لمضربها».

-وكذلك استعمله الزمخشري في (كشافه) حيث يقول (ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل)(الكشاف١/ ٥٥).

- ويخالف ماتقدم معاصرنا عبد المجيد قطامش (١٩٩٣م) في رسالته الجامعية النفيسة(الامثال العربية- دراسة تاريخية تحليلة) فيقول: (من القضايا الشائعة لدى كثير من الناس أنه لابد لكل مثل من مورد، ويقصدون بالمورد حادثة معينة يرتبط بها المثل. والذي أراه أن هذه القضية، على هذه الصورة، غير صحيحة، وغير مسلّم بها، فهناك الكثير من الامثال التي لايرتبط بأية حادثة..).

كتب الامثال:

عني العرب بالامثال، وقارىء كتاب الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم يدهش لكثرة الكتب والرسائل الخاصة بالأمثال والحكم، التي وضعها كبار علماء العربية لكن الكثير منها فقد بسبب الحرائق والفياضانات والحروب والجهل والتعصب الديني وغير ذلك من المحن والأحن. ولم يبق منها الا القليل. وهذه أقوال مأثورة وحكم وليست امثالاً، نحو: رأس الحكمة مخافة الله، لامروءة لكاذب، من يزرع الريح يحصد العاصفة (غربي) أما المثل فلا بدَّ له من واقعة نحو: على نفسها جنت براقش، الصيف ضيعت اللبن، مواعيد عرقوب، ونحوها

- وأقدم ماوصل إلينا منها:

١- امثال العرب للمفضل بن محمد الضبي، صاحب كتاب المفضليات المشهور، والمتوفى نحو سنة ١٧١هـ.

٢- الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، المتوفى سنة ١٩٥هـ.

٣- الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي- المتوفى سنة ٢٢٤هـ.

٤- الأمثال لأبي عكرمة الضبي- المتوفى سنة ٢٥٠هـ.

- وعني المفهرسون والمؤرخون الذين عاشوا بعد فترة النديم بذكر عشرات الكتب التي تخص الأمثال، فأضحت لدينا قوائم اخرى، وسترد في هذا المقال قائمة مهمة .

- جاء في فهرست المخطوطات العربية في مكتبة شستربتي التي أعدها المستشرق المعروف آربري (أرثر ت ١٩٦٩م)- والمكتبة تقع في مدينة دبلن بايرلندة

Arberry (Arthurj)- The chester Beajjy Library:

Ahandlist of the Arabic Manuscripts (8 vols Dublin 1955-1966).

وعنه في الذخائر الشرقية لكوركيس عواد (ت١٩٩٢م) (المجلد الرابع ص ٥٠٣).٣٦٦٩- مجمع الأقوال في معاني الامثال: لمحمد بن عبد الرحمن بن عبدالله أبي البقاء بن الحسين المؤلف العكبري (كان حياً سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، ٤٦٤ ورقة بخط المؤلف سنة ٦٦٥هـ. نسخة فريدة وجاء في كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي (ت١٩٧٦م) مانصه في الطبعة الرابعة -١٩٧٩م:

(العكبري.. بعد ٦٦٥هـ-بعد ١٢٦٧م)- محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري:

أديب، من بيت علم في بغداد وهو حفيد أبي البقاء شارح المقامات الحريرية، وديوان المتنبي، له مجمع الأقوال في معاني الامثال-خ، المجلد الثالث منه، بخطه في ٣٦٤ ورقة، في خزانة شستربتي رقم(٣٦٦٩) بلغ في نهاية حرف الشين، وأشار الى أن الرابع يبدأ بحرف الصاد وعدد ورقات المخطوط هي ٣٦٤ كما ذكرها الزركلي.

وهنا لابد من التذكير بأن شرح ديوان المتنبي المنسوب لجد صاحبنا أبي البقاء هو وهم كشفه العلامة مصطفى جواد (ت١٩٦٩م) وأضحى هذا الكشف المهم معروفاً، معلوما (ينظر مقاله: شرح ديوان المتنبي لابن عدلان لا للعكبري «ملاحظات»- مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (دمشق ١٩٤٧) ص ٣٧-٤٧و١١٠-١٢٠).

العكبري وأبن الفوطي:

لفخر الدين أبي علي العكبري ترجمة وجيزة لكنها مهمة في كتاب مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني-المتوفى عام٧٢٣هـ (طهران ١٤١٦هـ)- تحقيق الأستاذ القاسمي (محمد) والدكتور مصطفى جواد- اعداد محمد

الكاظم- وأدناه نص الترجمة الفوطية:

(٢٣٦٦- فخر الدين أبو علي محمد بن عبد الرحمن بن أبي البقاء عبد الله العكبري الكاتب) . من فضلاء الزمان، سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة، واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة ومولده سنة ستمائة تقريباً مجمع الآداب في معجم الألقاب ج ٣ص ١٤٦-١٤٧والمؤكد أن شائعة- استشهاد العكبري كانت قد وصلت اليه في ذلك الجو المحموم، وجاء مخطوط(مجمع الأقوال) بخطه المؤرخ سنة ٦٦٥هـ ليتبين انه نجا من الكارثة ويمكن التعليق على شعره بأنه من شعر العلماء المتكلف.

عكبرا التي يفخر مؤلف (مجمع الأقوال في معاني الأمثال) بالانتساب إليها مدينة معروفة مشهورة، وأخبارها منثورة في كتب البلدان والتواريخ والسير، خرجت العديد من العلماء والأدباء، واجتذبت مباهجها الفاتنة الكثير من طلاب اللهو والقصف والطرب فشاع ذكرها، ولاتزال أطلال (عكبرا) قائمة تعرف باسمها القديم ممتدة في جنوب شرقي بلدة (الدجيل)(وهي اليوم قضاء)، وقد حدد المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) موقعها من بغداد فقال: وتأخذ من بغداد الى البردان بريدين، ثم، الى عكبرا مرحلة، ثم الى باجمشا نصف مرحلة ثم الى القادسية مرحلة).

- وعُكُبرا اسم سرياني قيل انه من (عُقْبُرا) ومعناه الفار والجرز، لعلها سميت بذلك لوفرة هذه الحيوانات في تلك البقعة. وثمة من يرى أنّ عُكبُرا منسوبة الى عكبر الكردي، وهو رأي أورده الأمين في (أعيان الشيعة) في ترجمة (إسكندر بن دربيس بن عكبر الكردي)(٦:٢٠٤).

وقد ورد اسم عكبرا ممدوداً ومقصوراً. وسبب تحول نهر دجلة عن عكبرا في أواخر القرن السادس الهجري انهيار هذه المدينة الرائعة وخرابها.

وسنقدم هنا شيئاً من مقدمته التي حشد فيها مصادره وموارده من كتب الأمثال العربية، وبينها الكثير مما نجهله، ولقد زدنا هذه المصادر بمعلومات مفيدة، ووضعنا جهدنا بين عضادتين هكذا ( ) ولعل هذه المقالة المتواضعة، تحفز الباحثين على تحقيق هذه المخطوطة الفريدة المهمة على الرغم من الصعوبات التي ستجابه هؤلاء الأفاضل.

من مقدمة المخطوط:

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

الحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، وأزواجه الطاهرات، امهات المؤمنين، صلاة دائمة الى يوم الدين.

وبعد: فهذه أوراق أودعتها من الأمثال ماتضمنه كتابي الموسوم: مجمع الأقوال في معاني الأمثال، واتبعت كل مثل منها الرموز التي جعلتها دلائل (...) المودعة فيه، ورتبتها هنا بحسب ماهي عليه في أبواب الكتاب وجعلته فهرستاً كالمقدمة، والمدخل الى معرفته، والأحاطة بما فيه ليسهل على من أراد النظر فيه، ومعرفة موضع المثل،وقد بينت الرموز هنا بيانها في مصدر ذاك بحيث يحيط الناظر فيه بها علماً ويتقنها دراية وفهماً وهي: ض مه نب ن ع و ن ك مع مر ق ط ح ث مي ه ك ج ش هم ند جو شي غب حق جرم شيه ل ف .

- فما هو ض فعلامة للمفضل الضبي (تقدم ذكره).

- مه للمفضل بن سلمة (ت ٥٢٩١ه- هو الفاخر حققه الطحاوي- القاهرة ١٩٦٠م).

- نب لابن الانباري صاحب الزاهر (ت ٣٢٨ه طبع بتحقيق د. حاتم الضامن - بغداد ١٩٧٩م)

- ن أبي زيد الانصاري (ت ٢١٥ه طبع المختار منه/ بغداد ١٩٨٦م) بغداد (١٩٧٩م).

- ع لأبي سعيد الضرير (أحمد بن خالد. ترجمة: في نكت الهميان ٩٦ ومابعدها).

- و لمؤرج السدوسي (تقدم ذكره).

- ن لابن الحرون (محمد بن أحمد الأصبغ- معجم الادباء ٢٣٠٤-٢٣٠٥ نقل عن النديم).

- ك لما هو من كتاب « عيون الأمثال»

- مع للأصمعي _(ت٢١٦ ه جمع د. محمد جبار المعيبد تراثه في الأمثال، طبع في بغداد ٢٠٠٠م)

- مر لأبي عبيدة « معمر بن المثنى»(١١٠- ٢٠٩ه).

- ق لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤ه حققه عبد المجيد قطامش- منشورات جامعة ام القرى -١٩٨٠م).

- ط للطبري (لعله المؤرخ -ت ٣١٠ ه)

- ح لما هو من كتاب أفعل لحمزة الأصفهاني (ت نحو ٣٥١ه- طبع ضمن الدرة - الفاخرة - تح.قطامش - القاهرة- ١٩٧٢م).

- ث لأبي إبراهيم إسحاق بن ابراهيم الفارابي

من كتاب «التثليث» له.
- مـي الميدانـي (ت ٥١٨هـ - طبـع كتابه مرات أتقنها ط- محمد أبو الفضل إبراهيم).
- هـ لأبي هلال العسـكري (ت بعد ٣٩٥هـ - هو جمرة الأمثال- القاهرة ١٩٦٤م).
- ك لإبن سمكة القمي(أسمه جامع الأمثال منه اقتباسات في المزهر للسيوطي).
- ج لما هو من كتاب التاجي، ولأبي أحمد بن عبد الصمد الجويني (هو لأبي إسحاق الصابىء، بين إيدينا المنتزع منه- بغداد- ١٩٧٧م).
- ش لمـا هو من كتاب المسـتقصي للزمخشري (ت ٥٣٨هـ طبع في الهند).
- هم لابن شيرمة الجرهمي.
- نـد لمـا هو من كتـاب ابي محمـد الغندجاني الأعرابي الموسوم بكتاب السلة والسرقة (ت نحو ٤٣٠هـ وكتاب السل.. جمع فيه اخبار اللصوص - مفقود).
- جـو لأبـي الفـرج عبـد الرحمن بـن علي بن الجوزي(٥٠٨-٥٩٧هـ) ذكره ابن رجب.
- شي لمـا هـو من كتـاب «الموشي» لابـن حبيب (ت ٢٤٥هـ).
- غب لابي القاسم الراغب (ت نحو ٥٠٢هـ).
- حق لابي محمد اسـحاق بـن ابراهيم الموصلي (ت ٢٣٥هـ).
- جر للحسين بن احمد الجرجاني.
- م لما هو مجهول مصنفه من كتب الامثال.
- شيه لما هو من حاشية كتاب لم يذكر قائلها.
- ل لما وقع في كتاب ليس من كتب الامثال، وانما ذكر لسياق كلام غير ما اقتضى ذكره.
- ف لما كنت ابا عذره، والذي سـمحت به نتيجة فكرة، هذا عدا ماوقفت عليه في تتبعي كتب الامثال من الكتب فلم اجد لأربابها قولاً أثبته عنه ولازيادة فائدة انقلها منه، اما لتجريده المثل فلست اذكره، واما لموافقته قول غيره من غـير زيادة فلا (...) وجملة ما اشتمل عليه ابواب الكتاب من الامثال وماهو جار مجراها وهو: الفان وستمائة وستة وثلاثون مثلاً.

ملتقطات من المخطوط

- تتابعي بقر.

زعمـوا ان بِشر بن ابي خازم الأسـدي خرج في سنه أسـنت فيها قومه وجهدوا فمرّ بصوار من البقر واجل من الأروى فذعرت منه فركبت جبلاً وعراً ليس له منفذ فلما نظر اليها قام على شعب من الجبل واخرج قوسه وجعل يشير اليها كأنه

يرميهـا فجعلـت تلقي أنفسـها فتكسر وجعل يقول:

أنـت الذي تصنع مالم يصنع أنت حططت من ذي مقنع. كل شبوب لهق مولع.

وجعـل يقول: تتابعي بقـر، تتابعي بقر، حتى تكسرت، فخرج الى قومه فدعاهم اليها فأصابوا من اللحم ما انتعشوا به.

يـضرب عند تتابع الامر وسرعة مره من كلام او فعـل متتابع يفعله ناس او خيـل أو إبل او غير ذلك.

(الصوار: القطيع من البقـر الأجل: القطيع من بقـر الوحوش وعن بشر من ابي خازم الاسـدي تنظـر طبقـات فحـول الشـعراء ٨١ واسـماء المغتالين ٢١٤-٢١٥ ومقدمة ديوانه (دمشـق – ط٢-) والرجز في الديوان – الملحق (رقم ١٠)

تجشأ لقمان من غير شبع:

يقال لمن استطال وليس عنده شيء مثل للرجل يظهر الغني وهو فقير والجلد وهو ضعيف.

واصله في الرجل يتجشـأ على جـوع، اي تكلف الجشأ يضرب لمن يدعي ماليس يملك ويقال:

تجشأ لقمان من غير شبع.

من علبتين وثمان وربع.

قال ابو الهيثم: فهذه عشر علب مع ربع لم يعدها لقمان شـيئا لكثرة حاجته الى الأكل وقد تجشـأ تجشؤ غير الشبعان.

جاء وفي رأسه خطة:

اذا جاء وفي نفسه حاجة قد عزم عليها والأصل في هذا ان احدهم اذا حزبه امر اتى الى الكاهن فخط له في الأرض يستخرج ماعزم عليه والخطة: فعلة بمعنـى مفعولة نحـو الغرفة من المـاء واللقمة والنجعة اسـم لما ينتجع اخـذت من الخط الذي يستعمله الكاهن في وقوع الامر.

أحلبت ناقتك ام اجلبت!

يقـال «احلب الرجل» اذ نتجت ابله اناثاً فيحلب البانها واجلب اذا نتجت ابله ذكوراً فيجلب اولادها للبيـع والعرب تقـول في الدعاء على الانسـان: لا احلبت ولااجلبت، ودعا رجل على رجل فقال: ان كنت كاذباً فحلبت قاعداً وشربت بادراً اي حلبت شاة لا ناقة، وشربربت بارداً على غير ثفل.

عش رجباً تر عجباً:

كان الحـارث بن عبـاد بن قيس بن ثعلبة طلق بعض نسـائه من بعد ما أسـن وخرف، فخلف عليها بعده رجل تظهر له من الوجد به مالم تكن تظهر للحـارث، فلقي زوجها الحـارث فأخبره

بمنزلته منها فقال الحارث: عش رجباً تر عجباً فأرسلها مثلاً.

- قال ابو الحسن الطوسي: يريد عش رجباً بعد رجب، فحذف وقيل : رجب كناية عن السنة لانه يحدث بحدوثها ومن نظر في سنة واحدة ورأى تغير فصولها قاس الدهر كله عليها، فكأنه قال: عش دهراً تر عجائب وعيش الانسان ليس اليه فيصح له الامر به ولكنه محمول على معنى الشرط، اي ان تعش تر والامر يتضمن هذا المعنى في قولك: زرني أكرمك.

أهم المصادر والمراجع

١- الاعلام: خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين ط٤- بيروت- ١٩٧٨.

٢-أعيان الشيعة- محسن الأمين العاملي تح حسن الامين – دار التعارف – بيروت – ١٩٨٦م.

٣- الامثال(كتاب): الاصمعي،جمع وتحقيق. محمد جبار المعيد- وزارة الثقافة- بغداد- ٢٠٠٠م (ضم الكتاب ٧٢٠ مثلاً).

٤- الامثال الصادرة عن بيوت الشعر: حمزة بن الحسن الاصبهاني- تح .د.احمد بن محمد الضبيب- دارالمدار الاسلامي – بيروت- ٢٠٠٥م.

٥- أمثال العرب: المفضل بن محمد الضبي تح د. احسان عباس- دار الرائد العربي- بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦- الامثال العربية – دراسة تاريخية، تحليلية تح: د.عبد المجيد قطامش- دار الفكر- دمشق- ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧- الأمثال العربية القديمة – رودلف زلهايم- تر-د.رمضان عبد التواب- مؤسسة الرساله- بيروت ط٢-١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم لابي المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعري تح .د. عبد الفتاح محمد الحلو-مطبوعات جامعة محمد بن سعود الاسلامية- الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٩- التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين : ابو البقاء العكبري- تح .د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين- دار الغرب الاسلامي- بيروت- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٠- الدرة الفاخرة في الامثال السائرة: حمزة بن الحسن الاصهباني تح د. عبد المجيد قطامش – دار المعارف بمصر- ١٩٧١م.

١١- الذخائر الشرقية: كوركيس عواد (١-٧) تقديم وتحقيق جليل العطية- دار الغرب

الاسلامي- بيروت- ١٩٩٩م.
١٢- فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه الأسود الغندجاني تح د. محمد علي سلطاني- دمشق- دار قتيبة ١٩٨١م.
١٣- الفهرست: محمد بن اسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ). تح. رضا تجدد- طهران ١٩٧١م.
١٤- مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفوطي تح: محمد القاسمي ود. مصطفى جواد ومحمد الكاظم (١-٦)- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- طهران- ١٤١٦هـ.
١٥- مجمع الإقوال في معاني الامثال- محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله العكبري- مخطوطة (شستربتي) - دبك (رقم٣٦٦٩).
١٦- مجمع الأمثال- أبو الفضل الميداني- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم -عيسى الحلبي- القاهرة-١٩٧٨م.
١٧- المختار من كتاب الإمثال لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري تح جليل العطية- مجلة المورد- المجلد ١٥ العدد ٢- بغداد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٨- المستقصى في الأمثال: جار الله الزمخشري: صححه محمد عبد الرحمن خان- حيدر آباد الدكن (الهند) -١٩٦٢م.
١٩- مصادر الميداني في كتابه (مجمع الأمثال)- حققه العميد عبد الرحمن عبد الجبار التكريتي- مجلة المورد- مج ٣ع٢-١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص٢-ص٢-٣٢،ومج٣ع٣ص٩٩-١٢٢- ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م -بغداد.
٢٠- معجم الأدباء: ياقوت الحموي تح د.إحسان عباس(١-٧) دار الغرب الإسلامي-بيروت- ١٩٩٣م.
٢١- معجم البلدان -ياقوت الحموي-ط-دار صادر-بيروت ١٩٨٦م.
٢٢- موسوعة المستشرقين-د. عبد الرحمن بدوي-دار العلم للملايين-بيروت-١٩٨٤م.

المراجع الأجنبية:

Arberry (Arthur) the chester Beatty Library
Ahand Lisst of the Araic manusctipts (8vols Dublin 1955-1966).



The complex of sayings in the meanings of proverbs
To Mohammed Bin Abdulrahman Bin Abdullah Al-Akbari(Die 655 hajri)

Dr. Jalil Ibrahim Al – Attiyah

Abstract

The research sheds light on the manuscripts. After about a century and a half of the blessed Arab renaissance, which was rooted in the revival of our manuscript heritage and its scientific mission, it still awaits a lot of work to complete the process of (revival) according to a serious scientific approach. He praised the researcher and pointed to the credit given to us by Orientalists and interrogators in most of what they spread from our manuscript heritage with limited exceptions.

The researcher pointed out that since the nineteenth century AD (Scientific investigation), we took from him, and compared to the appropriate of our society and values, And traditions in the course of the journey the traveler collected thousands of Arabic-Islamic manuscripts picked up from mosques, churches and monasteries, and places of worship - rightly said they take care of them, and spread some, Among them was Schisterbetti, the Irish Orientalist who managed to acquire much - after Cairo took over a regional office for him and his staff. Years later, the brilliant British orientalist Arbori put an Accurate index in eight volumes, most recently in 1966 It was a manuscript (the complex of sayings in the meanings of proverbs) written by its author, a unique manuscript - No similar to him - Among this - Catalogue - was revealed, This article highlights on this outstanding encyclopedia.



كتاب الاموات وسؤالهم

لنجم الدين محمد بن احمد بن علي الغيطي (ت ٩٨٤هـ)

دراسة وتحقيق

م. د. سندس زيدان خلف الشجيري*

كتاب الأموات رسالة صغيرة تتكون من ثلاث اوراق، تعود نسبتها الى الشيخ نجم الدين الغيطي، أبو المواهب، القاهري، المصري، الإمام العلامة الحبر، الفقيه الشافعي (ت٩٨٤هـ) وهو يذكر ذلك في بداية المخطوطة.

تحمل المخطوطة في طياتها عدداً من احاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) تخص حياة الاموات وما بعدها، وتؤكد هذه الاحاديث على اهمية زيارة الاموات.

اشتملت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسية: هي حياة الغيطي مؤلف المخطوطة، ثم دراسة المخطوطة من خلال وصفها وبيان نسخها، وأخيرا تحقيق المخطوطة وتوثيق ماجاء فيها من احاديث ومقارنته بالمصادر الأخرى.

الدراسة:

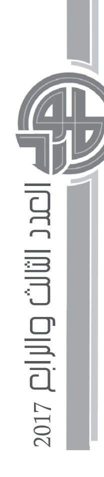
❋ المؤلف

هو محمد بن احمد بن علي بن أبي بكر، الأسكندري[١]، نجم الدين الغيطي، أبو المواهب، القاهري،المصري[٢]، الإمام العلامة الحبر، الفقيه الشافعي.[٣]

نسبته إلى غيط العدة أو أبي الغيط، وهي قرية بإقليم القليوب بمصر،[٤] ولد قبل سنة عشر وتسعمائة[٥]، وقيل انه ولد بنفس السنة.[٦]

أخلاقة وصفاته:

كان الغيطي عالماً فاضلاً من أهل مصر، نشأ في عفة وعلم وأدب،[٧] انتهت إليه الرئاسة في علم الحديث والتفسير والتصوف،[٨] وولي مشيخة الطلاحسية ومشيخة الخانقاة السرياقوسية،[٩] واجمع أهل مصر على جلالاتة، ولم يُرَ أحد من أولياء مصر لا يحبه ويجله.[١٠]



❋ مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

قال ابن العماد «الإمام العلامة المحدث المسند شيخ الإسلام ...»،[١١] وذكره محب الدين الحنفي في رحلته إلى مصر وقال: «فانه محدث هذه الديار على الإطلاق، جامع للكمالات الجميلة ولمحاسن الأخلاق، انه جاز على أنواع الفضائل والعلوم واحتوى على بدائع المنثور والمنظوم إذا تكلم في الحديث بلفظه الجاري اقر كل مسلم أنه البخاري أجمعت على صدارته في علم الحديث علماء البلاد واتفقت على ترجيحه بعلو الإسناد».[١٢]

شيوخه

تتلمذ الغيطي على عدد من شيوخ عصره فاخذ العلم عن الشيخ زكريا الأنصاري،[١٣] وعبد الحق السنباطي إجازة بالإفتاء والتدريس،[١٤] وبرهان الدين بن أبي الشريف[١٥] وشهاب الدين الرملي[١٦] وغيرهم وأجازوه بالإنشاء، وكمال الدين ابن حمزة الشامي،[١٧] وكمال الدين الطويل،[١٨] وأبو الحسن البكري،[١٩] وأمين الدين ابن النجار[٢٠] وبدر الدين المشهدي.[٢١]

مؤلفاته

١- الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج.
٢- الأجوبة المفيدة عن الأسئلة العديدة.
٣- بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الاولين والاخرين.[٢٢]
٤- التأييدات العلية للأوقاف المصرية.
٥- أسباب النجاح في آداب النكاح.
٦- التثنيب على ابن النقيب.
٧- تلخيص شهاب الأخبار للقضاعي.
٨- شرح الصدور بشرح الشذور.[٢٣]
٩- العقد الجامع في شرح درر اللوامع نظم جمع الجوامع لوالده.
١٠- فتح المغلق في تصحيح ما في الروضة من الخلاف المطلق.
١١- الفرائد المنظمة والفوائد المحكمة.
١٢- القول القويم في أقطاع تميم.[٢٤]
١٣- اللمحة في اختصار الملحة.
١٤- مواهب الكريم المنان في الكلام على ليلة النصف من شعبان وفاتحة سورة الدخان.
١٥- قصة المعراج الصغرى.
١٦- رسالة في الإسلام والإيمان.
١٧- مشيخة.
١٨- قصة المعراج الكبير.[٢٥]

وفاته

اختلفت المصادر في تاريخ وفاته، فقد أرخ أهل مصر لوفاته بقولهم: «إمام الحديث مع أهل النعيم»، وهي في الحروف الأبجدية لسنة٩٨٢هـ،[٢٦] وذكر بعضهم وفاته سنة ٩٨٤هـ[٢٧]، أما صاحب شذور الذهب فقد أرخ وفاته سنة ٩٨٥هـ.[٢٨]

المخطوطة:

نسخة المخطوطة

اعتمدت في تحقيقي للمخطوطة على النسخة المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز برقم (٢٠٣٥-٢)، ولم أجد لها أية نسخة أخرى فيما اطلعت عليه من فهارس المخطوطات في المكتبات العراقية[٢٩] أو المكتبات خارج العراق[٣٠]، أو عن طريق الانترنيت فلا وجود لأي نسخة سوى هذه.[٣١]

*** المخطوطة:**

دراسة في المخطوطة

نسبة المخطوطة للغيطي

لم نجد إشارة إلى اسم المخطوطة ضمن

مؤلفاتــه ألا إننا وجدنــا في بداية المخطوطة ما يؤكد نســبة المخطوطة للغيطــي بقولة: «هذا كتــاب الأموات وســؤالهم عن شــيخ الإســلام والمســلمين الشــيخ محمد نجم الدين الغيطي نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة...»[٣٢]

تاريخ ودوافع التأليف:

لــم اعثر على تاريخ تأليف المخطوطة أو أي أشارة تبين ذلك من خلال الكتب التي ترجمت للمؤلف، إلا أني تمكنت من العثور على ما يشير إلى سبب تأليفه المخطوطة بقولهِ: «...ما قولكم رضي الله عنكم في أحوال الموتى هل يأكلون في قبورهم، وهل يعرفون من يزورهم من الأحياء وهل تســمع الموتى نداء مــن يزورهم ولو من بعد وهل يردون الســلام على من يسلم عليهم وهل يتزاورن وهل يتآنسون بالزائر ويفرحون بــه كالأحيــاء ويعتبون على مــن لا يزورهم في القبــور وهل تحضر الأرواح عــلى القبور وهل تعــرف الأمــوات أحــوال الأحيــاء ويفرحــون بأعمالهم الطيبــة ويغصون بأفعالهم الخبيثة ما الجواب...»[٣٣]

وصف المخطوطة:

عــلى ما يبدو أن النســخة المعتمدة لا وجود لنســخ أخرى منها لعدم وجود أي أشــارة عن المخطوطــة في كتب الفهارس ضمــن مؤلفات الغيطي، وان هذه النســخة هي نســخة ناسخ فهو يشــير إلى ذلك بقوله: «هذا كتاب الأموات وســؤالهم عن شيخ الإســلام والمسلمين الشيخ محمــد نجــم الديــن الغيطــي نفعنــا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة آمين...»[٣٤]

قــد كتبت بخط جيد، ومداده اسـود اللون، ولم يمدنا ناســخ المخطوطة تاريخ النســخ أو أي أشــارة إلى ذلك، المخطوطة تتألف من ثلاث أوراق وكل ورقــة فيها تشــتمل على صفحتين متقابلتين أ و ب وكل صفحة منها تحتوي على ١٩سطراً وتتراوح كلمات السطر الواحد مابين ٩-١٢ كلمة، ولا وجود لأي عناوين أخرى غير عنوان المخطوطــة فالمخطوطة عبارة عن سرد متواصل من الأحاديث.

رسم الحروف:

الخط الذي كتبت به المخطوطة فهو بصوره عامــة واضح ومفهوم لكنه خــال من الضبط، فمثلا يبدل رسم الألف المقصورة «ى» بــ «ي» هكذا: صــلي والصواب(صلى)، وعلي والصواب (على).

وإذا كان الاسـم مقترنا بالهمزة ســواء كان للشــخص أو للزمان أو للمكان، فان الناســخ يحذفها ويرســمها بدونها هكذا: ندا والصواب (نداء)، يتانس والصواب (يتآنس)، أو يرسمها باليــاء هكذا: زايــر والصواب (زائر)،عايشــة والصواب (عائشة) نهاية الأسطر غير منتظمة وفي بعض الأحيان في نهاية السطر يترك فراغ كلمة ثم يكمل وبعدها ينتقل لسطر جديد كما في الســطر الثالث عشر مــن الورقة ب يضيف كلمة الله بعد فراغ كلمة عن احمد، وأيضاً قام الناســخ في الورقــة الثالثة أ في الســطر الثامن بعــدم إكمال رســم الكلمــة في نهاية الســطر ويعمــد إلى أكمالها في بداية الســطر الذي يليه عنــد كتابته لكلمة ويتذكــرون فقد كتبها بهذا الشكل (ويتذ) وأكملها في بداية السطر التاسع (كرون).

ونلاحظ أن الناسخ يستخدم التعقبية وذلك لتحــاشي التباس الصفحات (أ و ب) من جهة، وعدم وجود شيء ساقط من جهة أخرى.

نص المخطوطة:

هــذا (كتــاب الأموات وســؤالهم) عن شــيخ الإســلام والمسـلمين الشــيخ محمد نجم الدين الغيطــي نفعنــا اللــه بــه وبعلومــه في الدنيا والاخــرة آمــين، أما بعد فالحمد للــه ما قولكم رضي اللــه تعــالى عنكم في أحــوال الموتى، هل يأكلون في قبورهم؟ وهل يعرفون من يزورهم من الأحياء، وهل يسمع الموتى نداء من يزورهم ولــو من بعد؟، وهــل يردون الســلام على من يســلم عليهم؟ وهل يتزاورون؟ وهل يتآنسون بالزائــر ويفرحون به كالأحيــاء ويعتبون على مــن لا يزورهم في القبور؟ وهل تحضر الأرواح عــلى القبــور؟ وهــل يعــرف الأمــوات أحوال الأحياء ويفرحون بأعمالهم الطيبة وينغصون بأفعالهم الخبيثة؟ وما الجواب؟.

قال الشــيخ، قالت عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رســول الله (صلى الله عليه وسلم) «ما من زائر يزور قبر أخيه وسلم عليه ويجلس عنده ألا يرد سلامه ويتآنس به حتى يقوم».[٣٥]

وفي الأربعــين الطاميــة[٣٦] قــال (صــلى الله عليه وســلم):« أآنس ما يكــون للميت في قبره أذا زاره مــن كان يحبــه في الدنيــا،» [٣٧] روي في عتبهم على مــن لم يزورهم في المنامات، قال البيهقــي[٣٨]: «كان رجــل يــروح إلى الجنازة ويشــهد الصلاة على الجنائــز وإذا أمسى وقف عــلى أبواب المقابــر وقال: انس الله وحشــتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن ســيئاتكم وقبل الله حســناتكم،[٣٩] ثم قــال الرجل: بعد مدة مــن زمان انقطعــت عــن زيارتكم ثلاثة أيــام، فبينمــا أنا نائم وإذا بخلــق كثير (ورقه ب) فجــاءوا إلي، فقلــت: من أين انتــم؟ قالوا: نحن أهــل المقابر، قلت: ما جــاء بكم ها هنا؟ قالوا: انك كنت تدعو لنا، فقلت: ما عدت اقطع زيارتكــم قط، قــال: فلما جاء وقــت زيارتهم اجتمعــت عليهم مرارا عديدة على أهلي وجميع المحبــين»[٤٠]، روي عن الفضيــل[٤١]، قال: «لما مات أبي حزنت حزنا شــديدا وكنت أزور قبره في كل يــوم ثم إني قصرت عن ذلــك فرأيته في النوم فقال: يا بني ما أبطأك عني؟ قلت: وأنت تعلــم بمجيئي، قال: ما جئت مــرة إلا علمتها. وآنستني بحضورك وما حولي من الأموات»[٤٢]، روي عن عثمان بن مسعود[٤٣] وكان له أم من العابدات وكان يقال لها راهبة فلما ماتت كنت أتيهــا في كل جمعــة فادعو لها واســتغفر لها ولأهل المقابر فرأيتها ليلة في منامي، فقلت لها: يا أماه كيف أنــتِ؟ فقالت: يا بني إن الموت له شدائد وكرب وان احمد الله في برزخي محمودا فــراش فيه الريحان وأتوســد فيه بالســندس والإستبرق، فقلت لها: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، قلــت: وما هي؟ قالت: لا تــترك ما كنت تصنع مــن زيارتنا والدعاء لنا فأني أآنس بمجيئك لي يــوم الجمعة فأني في انتظــارك ولما تخرج من باب دارك لزيارتنا استبشر بك ويستبشر بذلك مــن حولي من الأموات فتحصل لنا ولهم مسرة فان يا بني المطلة (ورقه٢(أ)) على الميت كيف المطلة على الضعيف»[٤٤]. روي عن الحافظ بن رجــب[٤٥]: «قال كان لي صديــق فمات، فرأيته في النوم وهو يقول: ســبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك وقرأت عنده وترحمت عليه وأنا ما جئــت إلي ولا قربتني، فقلــت: وما يدريك؟ قــال: لما جئت قبر فلان صديقــك فأني رأيتك، قلت كيف رأيتني والتراب عليك؟ قال: ما رأيت المــاء إذا كان في الزجــاج ما يبــين؟ قلت: بلى، قــال: كذلك نحــن نرى من يزورنا ونســتبشر منــه الحســنات والدعــاء والاســتغفار الينــا

وسـلامه علينا يفرج عنا وحشـتنا كثـيراً»[٤٦] ونحن أعلمتـك ولا أبالي وغير ذلك من المنامات المرويات وما في ما ذكرناه كفاية.

وأمـا كون أن أرواحهم تأتي منازل الأحياء، ويعرفـون أعمالهـم ويتألمون من السـيئ من الأحيـاء، قـال: نعـم. تعلـم الأمـوات بأحوال الأحياء ويستبشرون بالحسن منهم ويفرحون بـه ويحزنـون على السـيئ منهـم ومعرفتهم بأحوال الأحياء وأعمالهـم تارة يعوض عليهم ذلك بسـؤال ممن مات بعدهـم[٤٧] كما ورد في الأحاديـث عن النبـي (صلى الله عليه وسـلم) قـال: «أن أعمالكـم تعرض عـلى أقاربكم من الأمـوات فان كان خيرا اسـتبشروا وان (ورقة ٢)(ب) كان غـير ذلـك قالوا اللهـم ألهمهم أن يعملوا بطاعتـك»[٤٨]، روي عـن الطبراني[٤٩] انـه رأى في (كتـاب المنامات)، قـال: «تعرض أعمالكم على الموتى فأن رأوا حسنا فرحوا وان رأوا سـوءاً قالوا اللهم راجع بـه»[٥٠] روي عن النعمان بن بشـير[٥١] قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقول: «الله الله الله لا تفضحوا أخوانكم من أهل القبور فأن أعمالكم تعرض عليهم».[٥٢] روي عن أبي هريرة (رض الله عنه)[٥٣] قال: «قال رسـول الله (صلى الله عليـه وسـلم) لا تفضحـوا أخوانكم بسـيئات أعمالكـم فأنها تعرض عـلى أوليائكم من أهل القبـور أعمالكم»[٥٤]، روي عن أبي الدرداء[٥٥] أنه تخلـف بعد خالـه وكان يقول:«اللهم أني أعـوذ بـك أن لا يمقتنـي خـالي عبـد الله بن رواحة[٥٦] أذا لقيته». روي عن عبد العزيز[٥٧] عن جده قال (صلى الله عليه وسلم): «تعرض الأعمـال يوم الاثنين ويـوم الخميس، وتعرض عـلى الأنبيـاء والآبـاء والأمهـات يـوم الجمعة فيفرحون بحسـناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقـاً بالعمل الطيب فاتقـوا الله ولا تردوا موتاكـم»[٥٨] روي عن سـفيان[٥٩]، قال: «قال رسـول اللـه (صلى اللـه عليه وسـلم) أن أهل القبور يتوكفـون[٦٠] الأخبار فإذا أتاهم الميت، قالـوا له: مـا فعل اللـه (ورقـة ٣)(أ)بفلان؟ فيقولون الم يأتكـم؟ فيقولون: لا. أنا لله وإنا إليه راجعون سـلك بـه إلي غـير طريقنا»[٦١]. وروي عـن الطبرانـي، قـال (صلى اللـه عليه وسـلم): «أن نفس المؤمـن أذا قبضت تتلقاها أهل الرحمة كما تتلقون البشر على وجه الدنيا، ويقولون انظروا صاحبكم ممتد يستريح فأنه كان في كرب شديد ثم يسألونه ويقولون: ماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ فيقول: ما أتوا إليكم، فيقولون أبـدا إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب بهم إلى أمهم الهاوية»[٦٢].

وان أرواح الموتـى تتلقى ويتذكرون ما كان منهمـا في الدنيـا وما يكون أهـل الآخرة، وأما كون حالهم في ذلك شبيها بحال أهل الدنيا فلا يظن بذلـك من كان له اطلاع على حال البرزخ فانه مغاير لحال الدنيا فلا يلزم من الطائفتين في الإدراك أن يسـتوي إدراكهمـا، قـال ابـن حجر[٦٣]: «ولا يختص سـؤال الموتى بمن كان نـزل حداهم في قبرهم أو وحـده وإنما تجتمع عليه الأرواح سواء كان قريبا أو بعيدا».[٦٤]

وأما إتيان الأرواح المنازل، فقال بعضهم وقد ورد: «أنهـا تأتي يعنـي الأرواح قبورها ودور أهلها في أي وقت يريده الله تعالى لأنها مأذونٌ لها في التصرف وأينما تريد، وأما كون أنها تأتي إلى القبـور أم إلى الدور فأنهـا تأتي إلى محلها من عليين أو من (ورقة ٣)(ب) سجين[٦٥]»[٦٦]، ودل ذلك عن بعض السادة، قال «سألوا حسن

البصري[٦٧]، هل كان نساء الصحابة (رضي الله عنهم) على زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعلون هذا الفعل؟ قال: فوا الله لقد دخلت امرأة على النبي وهي تبكي على أبيها وأخيها قتلوا في الغزاة، فقال لها: ماذا الذي أصابك؟ قالت: فقدت رجالي، بحسبك على فرض من دين؟ فقال لها: لا تبكي على الأموات تحاربي ربهم عليهم تعذيبهم بالنار فأن الملائكة لا تقبل على نائحة ولا معددة وليس منا شاقق الجيوب ولا لاطم الخدود فان الله لعن النائحة والمستمع لها والواشمة والمتوشمة ولاطمة خدها».[٦٨]

وقال (صلى الله عليه وسلم): «أهدوا لموتاكم، فقلنا وما هديه الأموات؟ قال: الصدقة والدعاء، فأن أرواح الأموات يأتون إلى سماء الدنيا كل ليلة ويقفون على أبواب منازلهم وبيوتهم وينادي كل واحد منهم ألف مرة بصوت حزين يقول: يا أهلي ويا أولادي يا من سكنوا بيوتنا وأورثوا ما كان لنا ولبسوا ثيابنا، ما منكم واحد يفتكرنا في غربتنا؟ فاذكرونا يذكركم الله ولا تنسونا من الصدقة والدعاء وارحمونا يرحمكم الله ولا تبخلوا علينا بالصدقة قبل أن تصيروا مثلنا غرابة عطاشا من الصدقة، يا أهلنا اسمعوا كلامنا فان هذا الذي معكم كان في أيدينا وكنا لانتصدق به».[٦٩]

الهوامش

(١) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط – عبد القادر الارناؤوط، ج٩، دار ابن كثير، (دمشق، بيروت –١٩٨٦)، ص٤٠٦.

(٢) حاجي خليفة، مصطفى عبد الله كاتب جلبي القسطنيطيني (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م١، مكتبة المثنى (بغداد – ١٩٤١م)، ص٣٣٦.

(٣) البغدادي، إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم البابا ني البغدادي، هديه العارفين، م٢، مكتبه المثنى (بغداد –١٩٥٥م)، ص٢٥٢.

(٤) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام،ج٦، دار العلم للملايين، ط١٥، (لا. م–٢٠٠٢م)، ص٦.

(٥) كحاله، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج٨، مؤسسة الرسالة، ط١، (لا.م –١٩٩٣م)، ص٢٩٣.

(٦) البغدادي، إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم البابا ني البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، م١، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين ورفعت بيلكه، دار أحياء التراث العربي، (بيروت – لا.ت)، ص٢٩.

(٧) الميلاني، على الحسني، نفحات الأزهار في عبقات الأنوار للسيد حامد حسين الكهنوي، ج١١، (قم – ١٤٢٣هـ)، ص٧٨.

(٨) سركيس، يوسف بن اليأس بن موسى

(ت١٣٥١هـــ)، معجم المطبوعات العربيــة والمعربة، ج٢، مطبعة سركيس، (مصر- ١٩٢٨)، ص١٤٢٢

(٩) الغــزي، نجــم الديــن محمــد بــن محمــد (ت ١٠٦١هــ)، الكواكب الســائرة بأعــين المائة العاشرة، تحقيــق: خليــل منصــور، ج٢، دار الكتــب العلميــة، (بيروت – ١٩٩٧)، ص٢١٤.

(١٠) الميلاني، ج١١، نفحات الأزهار، ص٧٨.

(١١) ابــن العمــاد الحنبــلي، شــذرات الذهــب، ج٨، ص٤٠٦.

(١٢) المصدر السابق، ج٨، ص٤٠٦.

(١٣) الشــيخ زكريا الأنصاري: هو شــيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بــن أحمد بن زكريا الأنصاري الســنيكي المــصري الشــافعي، ولــد بقريــة الحلمية (ســنيكة قديمــاً) ســنة ٨٢٣ هــ، مفــسر، من حفاظ الحديث، وتعلم في القاهرة، وكف بصره سنة ٩٠٦ هــ .نشــأ فقيرا معدما، وولاه السلطان قايتباي الجركسي قضــاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح ولما ولي رأى من السلطان عدولا عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي سنة ٩٢٦ هــ له تصانيف عديــدة منها: تحفة الباري على صحيح البخاري، فتح العلام بشرح الأعلام بأحاديث الأحكام، رســالة اللؤلؤ النظيــم في روم التعلم والتعليم. ابــن العماد الحنبلي، شــذرات الذهب،ج٨، ص١٣٤؛ الأنصــاري، زكريا بن محمــد بــن احمد بن زكريــا زين الدين بــن أبو يحي الســنيكسي (ت٩٢٦هـــ)، فتــح الرحمن بكشــف ما يلتبــس في القــران، تحقيــق: محمد عــلي الصابوني، النــاشر دار القران الكريــم، ط١، (بيروت- ١٩٨٣م)، ص١٥٥.

(١٤) عبــد الحــق الســنباطي: عبد الحق بــن محمد، الشــيخ الإمام، شــيخ الإســلام الحبر البحــر، العلامة الفهامــة الســنباطي، القاهــري، الشــافعي خاتمــة المسندين. ولد في أحد الجمادين سنة ٨٤٢هــ وانتهت إليه الرئاســة بمــصر في الفقــه والأصــول والحديث، وكان عالمــا عابــدا متواضعا من رآه شــهد فيه الولاية والصلاح قبل أن يخالطه توفي سنة ٩٣١هــ، وأنه دفن في التربة المذكورة بين قبري محدثي الحجاز. القرشي، محيي الدين أبو محمــد عبد القادر، الجواهر المضيئة في طبقــات الحنفية، طبعة دائرة المعــارف النظامية، (حيدر أباد -١٩١٤م)، ص٣٢٣.

(١٥) برهــان الديــن بن أبــي الشريفــي: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود برهان الدين أبو إســحاق المقدسي ثم القاهري المــصري، المعروف بابن أبي شريف، أحد أعيان الشــافعية، ولد بالقدس ســنة ٨٣٦هــ، وبرع في عدّة فنون، ودرّس الفقه والتفسير، وولي المناصــب بالقاهرة، حتى اشــتهر وصار المعوّل عليــه في الفتيا بالديــار المصرية، توفي ســنة ٩٢٣هــ. السخاوي،شــمس الديــن محمــد بــن عبــد الرحمــن (ت٩٠٢هـــ)، الضــوء اللامــع لأهــل القرن التاســع، تحقيــق: محمــد جمــال القاســمي،ج١، دار الجيــل، (بيروت-١٩٩٢هــ)، ص١٤٣؛ الزر كلي، الأعلام، ج١، ص٦٦.

(١٦) محمد بن أحمد بن حمزة، شــمس الدين الرملي: فقيــه الديار المصرية في عــصره، ومرجعها في الفتوى يقال له: الشافعي الصغير نسبته إلى الرملة (من قرى المنوفية بمصر) ومولده سنة ٩١٩هــ، وفاته بالقاهرة سنة ١٠٠٤هــ، ولي إفتاء الشافعية. وجمع فتاوى أبيه. وصنــف شروحا وحواشي كثيرة، منهــا: عمدة الرابح، شرح على هدية الناصح في فقه الشــافعية، غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان، نهاية المحتاج إلى شرح، غاية

المرام، المنهاج في الفقه. الزركلي، الأعلام، ج٩ن١٤٥.

(١٧) كمـال الديـن بن حمزة الشـامي: كمـال الدين محمـد بـن حمـزة بن احمـد الحسـيني الدمشـقي، محـدث فقيه، الإمـام الحـبر الفقيه الحافـظ العلامة شيخ الإسـلام، اسـتجاز له والده الحافظ ابن حجر، توفي سـنة ٩٣٣هـ ابن العماد، شـذرات الذهب، ج٨، ص١٩٤-١٩٥.

(١٨) كمـال الدين الطويل: محمد بن علي، ولد سـنة ٨٤٦هـ، الإمام الحبر قاضي القضاة شـيخ الإسـلام المحـدث المسـند المشـهور (ت٩٣٦هـ). ابـن الغزي، شـمس الديـن أبـي المعـالي محمد بـن عبـد الرحمن (ت١١١٧هـ)، ديوان الإسـلام وبحاشيته أسماء كتب الأعلام، تحقيق: سـيد كسروي حسن،ج٤، دار الكتب العالمية، ط١، (بيروت-١٩٩٠م)، ص٥٦-٥٧.

(١٩) أبـو الحسـن البكـري: مـن آل أبـي بكـر الصديـق(رضي اللـه عنـه)، كان جامعـا بـين العلم والعمل وهو ممن اتفقـوا على: ولايته وجلالته وبلوغه رتبـة الاجتهاد لا يفـارق الكتاب من يـده وينظر فيه دائمـاً وكان ولـده: محمد البكري شـاعرا مفلقا جيد لـه: تأليف في التوحيد سـماه: تأيد المنة بتأيد السـنة، محمـد المذكور في سـنة ٩٩١ هــ. القنوجي، صديق حسـن، أبجد العلوم، تحقيق: عبـد الجبار زكار،ج ٣، دار الكتاب العلمية، (دمشق- ١٩٧٨ م)، ص٦٠.

(٢٠) أمـين الديـن ابن النجار: أمـين الدين محمد بن أحمـد بن عيسى بـن أحمد والحنبلي أحمـد بن النجار القبطي الشـمس نصر الله، ولد كما ورد بخط تلميذه الشـيخ نجم الدين الغيطي سـنة ٨٤٥هــ، وقد كان ممـن جمع الله له بـين العلم والعمـل، وكان في علوم الشرع إماماً، وفي علوم الحقيقة قدوة، وكان متواضعاً يخـدم العميـان والمسـاكين ليـلاً ونهـاراً، ويقـضي حوائجهـم، وحوائج الفقراء والأرامل، ويجمع لهم من أموال الزكاة، ويفرقها عليهم، ولا يأخذ لنفسه من ذلك شـيئاً، قد انتهت إليه الرئاسـة بمصر في علوم السـنة بالكتب السـتة وغيرها. السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٣٨٤.

(٢١) بدر الدين المشهدي: محمد بن أبي بكر المشهدي المصري الشـافعي العلامة المسـند، ولد سنة ٨٦٢هـ، وكان علامة دينا دمث الأخلاق، وكان عالما صالحا كثير العبادة محبا للخمول، توفى سنة ٩٣٢هـ، دفن في تربة الصلاحية بباب النصر وهو آخر ذرية ابن خلكان فيما يعلم. ابـن العماد الحنبلي، شـذرات الذهب، ج١، ص ٩٩.

(٢٢) البغدادي، هديه العارفين، م٢، ص٢٥٢.

(٢٣) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٦.

(٢٤) سركيس، معجم المطبوعات، ج٢، ص١٤٢٢ .

(٢٥) الغزي، ديوان الإسلام،ج٣، ص٣٩٦.

(٢٦) سركيس، معجم المطبوعات، ج٢، ص١٤٢٢.

(٢٧) الميلاني، كتاب الأزهار، ج١١، ص٧٨.

(٢٨) ابـن العمـاد الحنبـلي، شـذرات الذهـب، ج ٨، ص٢٠٤.

(٢٩) نذكـر في سـبيل المثـال: سـالم،عبد الـرزاق، فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مؤسسـة دار الكتب للطباعة والنشر،(جامعة الموصل -١٩٧٥م).

(٣٠) نذكر في سبيل المثال:

أ- فهرست مخطوطات الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ج٦، ط١، (الرياض- لا.ت).

ب- قـرة بلوط،عـلي الرضـا واحمـد طـوران، معجم مخطوطات التراث العربي الإسـلامي، ج١، (قيصري، تركيا – لا.ت).

(٣١) نذكر في سبيل المثال:
أ- مكتبة المصطفى الالكترونية.
ب- مكتبة الملك عبد العزيز.
جـ - مكتبة يوسف زيدان للمخطوطات
(٣٢) الغيطـي، أبوالمواهب محمد بن احمد بن علي بن أبي بكر الاسـكندري (ت٩١٠هــ)، مخطوطة كتاب الأموات وسؤالهم، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، قسم المخطوطات، برقم ٢٠٣٥ -٢، ق١(أ).
(٣٣) المصدر نفسه، ق١(أ).
(٣٤) المصدر نفسه، ق١(أ).
(٣٥) المتقي الهندي،علاء الدين علي المتقي بن حسـام الديـن (ت٩٧٥هــ)، كنـز العمـال في سـنن الافعال والاقوال، تحقيق: صفوت السـقا بكري الحياني، ج١، بيت الافكار، (لا. م-٢٠١٦م)، ص٤٢٦٠.
(٣٦) الطامية: الطامية، الطمى الطين يحملة السـيل ويسـتقر عـلى الارض رطبا او يابسـا. مجمـع اللغة العربية، المعجم الوسـيط، مكتبة الشروق الدولية، (لا. م-٢٠٠٤م)، ص٧٦٦.
(٣٧) السـيوطي جـلال الديـن (ت٩١٠هــ)، كتاب بشرى الكئيب بلقـاء الحبيب، تحقيق وتعليق: مجدي السيد ابراهيم، ج١، (لا.م-١٩٨٦م)، ص١٣.
(٣٨) البيهقي: احمد بن الحسـين بـن علي بن موسى الخراساني، ولد سـنة ٣٨٤هـ، شهد له علماء عصره بالتقـدم، فهو امام محدث متقـن، له تصانيف جليلة منها: السنن الكبرى، السنن والاثار، الترغيب والارهاب، الزهد...الذهبي، شـمس الدين أبـو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، سير اعـلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشـيخ شـعيب الأرناؤوط، ج١٨، مؤسسـة الرسـالة، (لا.م-١٩٨٥م)، ص١٦٤-١٦٩.
(٣٩) الشـوكاني، محمـد بـن عـلي بـن محمـد (ت١٢٥٠هـ)، نيل الاوطـار، دار الحديث، ج٨، ط١، (لا. م-١٩٩٣م)، ص٢١٣.
(٤٠) ابـن القيـم الجوزية، محمد بن ابـي بكر ايوب الزركـي ابو عبد اللـه (ت٥٩٧هـ)، الـروح في الكلام عـلى الارواح والامـوات والاحيـاء بالدلائل مـن الكتاب والسـنة،ج١، دار الكتب العلميـة، (بيروت-١٩٧٥م)، ص٧.
(٤١) الفضيـل: فضيـل بـن عياض بن مسـعود بن بـشر التميمي اليربوعي، أبو عـلي الزاهد، أحد صلحاء الدنيا وعبادها، ولد بسـمرقند ونشـأ بأبيورد- مدينة بـين سرخس ونسـا- بعد سـنة ١٠٠هـ تقريبـاً، ثم رحـل للكوفـة، وكتـب الحديـث بالكوفـة وتحول إلى مكة فسـكنها ومـات بها توفى سـنة ١٨٧هــ، وكان عمـره ما يقارب ٨٠ سـنة. المـزي، جمـال الدين ابو الحجاج يوسـف (ت٧٤٢هـ)، تهذيب المال في اسـماء الرجال، تحقيق: بشـار عواد معروف،ج٢٣، مؤسسة الرسالة،(لا. م-١٩٨٣م)، ص٢٨١.
(٤٢) ابن القيم الجوزية، الروح في الكلام،ج١، ص٦.
(٤٣) عثمان بن مسـعود: ورد اسمه عثمان بن سواد: مـن شـهد بَدْرًا، مـن الأَنصـار: عثمان بـن عمرو بن رِفَاعة بن الحارث بن سَوَاد.ابن الجوزي، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)، بـر الوالديـن،. تحقيق وتعليـق: عبـد العاطي محي الشرقـاوي، مكتبـة الإمام البخاري، (مـصر- لا. ت)، ص١٢٣.
(٤٤) ابـن الجوزي، بـر الوالديـن، ص١٠؛ العبدلي، ابـن مقصد، الرؤيا عالم غريـب وتأويل عجيب، ط٣، (القاهره-٢٠٠٧م)، ص١٢٣.
(٤٥) الحافـظ بن رجـب: زين الدين ابـو الفرج عبد

الرحمــن بن شــهاب الدين احمد بن ابــي احمد رجب بــن عبد الرحمــن البغدادي الدمشــقي المعروف بابن رجب، ولد في بغداد ســنة ٧٣٦هــ ثم ســافر الى الشام مع والده ثم الى مكة ومصر واشــتغل بسماع الحديث، لــه مصنفــات عديــدة منهــا: فتــح البــاري في شرح البخاري، شرح اربعين النووي، شرح جامع ابي عيسى الترمذي ... توفى ســنة ٧٩٥هــ. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن حجر العســقلاني شــهاب الديــن (ت٨٥٢هـــ)، الــدرر الكامنة في أعيــان المائة الثامنــة، ج٢، دائــرة المعارف العثمانيــة، (حيدر آباد -١٣٤٩هــ)، ص٣٢١.

(٤٦) ابــن رجــب الحنبلي، أبو الفرج زيــن الدين عبد الرحمن البغدادي الدمشــقي، اهــوال القبور واحوال اهلها الى النشور، خرج احاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف البغــدادي، الناشر دار الكتاب، ط٣،(بيروت-١٩٩٤م)، ص١٤٦.

(٤٧) الطبرانــي، ســليمان بــن احمــد بــن ايــوب بن مطير اللخمي (ت٣٦٠هــ)، مســند الشاهين، المحقق: حمدي السلفي، ج٤، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت-١٩٨٩م)، ص١٢٩.

(٤٨) الشــوكاني، محمــد بــن علــي بــن محمــد (ت١٢٥٠هــ)، فتــح القديرالجامع بــين فني الرواية والدرايــة من علم التفســير،ج٢، دار ابــن كثير، ط١، (بيروت، دمشق -١٤١٤هــ)، ص٤٠٠.

(٤٩) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشــامي، وسمي الطبراني نسبة إلى طبرية الشام .ولد سنة٢٦٠هــ، وهو احد رواة الحديث وعلمائــه، لــه مصنفات عديــدة منها: المعجــم الكبير، المعجم الوســيط، معرفة الصحابــة، الرؤيا...، اصيب بالعمــى في اخــر ايامهِ وتوفى ســنة ٣٦٠هــ. الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج١٦، ص١٣٠.

(٥٠) الطبرانــي، أبو القاســم ســليمان بــن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشــامي (ت٣٦٠هــ)، المعجم الكبير،ج٤، مكتبة ابــن تيمية، ط٢، (القاهرة- لا.ت)، ص١٧٦؛ الســفاريني، محمــد بن احمد بن ســليمان الحنبــلي (ت١١٨٨هـــ)، البحــور الزاخــرة في علــوم الاخــرة، تحقيــق: محمــد ابراهيم شــلبي تومان،ج١، غراس دار النشر، ط١، (الكويت-٢٠٠٧م)، ص٢٦٣.

(٥١) النعمان بن بشير: بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله المدني، صحابي ابن صحابي، وهو أول مولود ولــد في الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، توفى النبي صلى الله عليه وسلم وللنعمــان ثماني ســنين وســبعة أشــهر، وكان أميراً للكوفة في عهد معاوية، استشهد بحمص سنة ٦٥ هــ، روى له الجماعة، وروى (١١٤) حديثاً، الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج١٦، ص٢٦٧.

(٥٢) ابــن ابي الدنيا، عبد الله بن محمد البغدادي ابو بكر (ت٢٨١هــ)، موســوعة ابن ابــي الدنيا، تحقيق: فاضــل بن خلــف الحمــاده الرقــي، ج١، دار اطلس الخضراء، (لا.م-لا.ت)، ص٣٠١.

(٥٣) ابــو هريرة: عثمان بن صخر الدوسي ولد ســنة (١٩ق.هـــ)، ابو هريرة صحابي من صحابة رســول الله، اســلم ســنة ٧هــ، قد أجمع أهل الحديث والسُنَّة أن أبــا هريرة أكثر الصحابة روايــةً وحفظاً للحديث. سمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر ولما أسلم سماه رسول الله عبد الرحمن، شارك بعد هجرته إلى المدينة في جميع الغزوات مع الرســول، توفى في المدينة المنورة ســنة ٥٧هــ عن عمــر ٧٨عاماً .ابن ســعد، محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت٢٣٠هــ)، الطبقات الكبرى، تحقيــق: علي محمد عمر،ج٤، مكتبــة الخانجي، ط١،

(لا.م-٢٠٠١م)، ص٥٢.
(٥٤) ابـن ابي الدنيا، موسـوعة ابن ابـي الدنيا،ج١، ص٣٠١.
(٥٥) ابـو الدرداء: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، اسلم يوم بدر، أول مشاهده أحد، وهو احد الذيـن جمعوا القـران على عهد النبـي وكان من عباد الصحابة ويقال له حكيم الامة، وكان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشـق وقاضيهم توفي سنة ٣٢هـ، روى له الجماعة، وروى (١٧٩) حديثا. الذهبي، سـيراعلام النبلاء،ج١،ص١٧٥.
(٥٦) عبـد الله بن رواحة: هـو أبو محمد عبد الله بن رواحـة بن ثعلبة الأنصـاري الخزرجي. صحابي كان يكتـب في الجاهليـة الشـعر، شـهد العقبـة نقيباً عن أهله، شـارك في معركة بدر وشـهد مابعدها استشهد في معركـة مؤتـة، الذهبـي، سـير اعلام النبـلاء، ج١، ص٢٣٠.
(٥٧) عبد العزيز: المحدث الثقة أبو عبد الله الأسـدي الطائفي ثم الكوفي. حدث عن ابن عباس، وابن عمرو، ومالـك بن انس والقاضي شريـح وزيد بن وهب، توفي سـنة (١٣٠هــ). الذهبي، سـير اعلام النبـلاء، ج٥، ص٢٢٨.
(٥٨) الحكيـم الترمذي محمد بن علي بن الحسـن بن بـشر (ت نحـو ٣٢٠هـ)، نـوادر الاصـول في معرفة احاديث الرسـول، تحقيـق: اسـماعيل ابراهيم متولي عوض، ج٢، مكتبة الامام البخاري، ط١، ص٦٥.
(٥٩) سـفيان: سـفيان بـن عيينـة بـن أبـي عمران ميمون مـولى محمد بن مزاحم الهـلالي إمام ومحدث شـهير وعرف بالزهد والورع. وقد ولد في الكوفة سنة (١٠٧هــ)، أجمع الناس على صحـة حديثه وروايته. طلـب العلـم وهـو غـلام وروى الحديث عـن الكبار ومنهـم: الزهـري وأبو اسـحق السـبيعي وعمرو بن دينار وغيرهم، وروى عنه عدد كبير من العلماء الأجلاء والأئمـة الكبار، توفي سـنة (١٩٨هــ). الذهبي، سـير اعلام النبلاء، ج٨، ص٤٥٤.
(٦٠) يتوكفون: يتوقعون، التوكف التوقع والانتظار. ابن منظور، ابـو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسـان العرب،ج١٤، دار صادر، (لا.م-٢٠٠٣هـ)، ص٢٤٤.
(٦١) عبد الله بن احمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)، السنة، تحقيق: محمد بن سـعيد بنسالم القحطاني، دار ابن الارقم، ط١، (لا.م-١٩٨١م)، ص ١٣٢٢؛ السفاريني، محمد بـن احمد بـن الاثري الحنبـلي (ت١١٨٨هـ)، لوامع الانـوار البهية وسـواطع الاسرار الاثرية لشرح الـدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، ج٢، مؤسسـة الخافقين، (دمشق-١٩٨٢م)، ص٥٧.
(٦٢) الالبانـي، محمـد ناصرالدين، احـكام الجنائز، م٢، ص١٣٢٢؛ الطبرانـي، المعجـم الكبير، ص١٩٢؛ ابـن حبـان، محمد بن حبـان بن احمد بـن حبان بن معاذ بن معبـد التميمي ابو الحاتم الدرامي البسـتي (ت٣٥٤هــ)، المجروحـين مـن المحدثـين والضعفاء والمتروكـين، تحقيق: محمـود ابراهيم زايـد،ج١، دار الوعي، ط١، (حلب-١٣٩٦هـ)، ص٣٣٦.
(٦٣) ابـن حجـر: هـو شـهاب الدين أحمـد بن علي بـن محمد بن عـلي بن محمود بن أحمـد بن حجر بن أحمد العسـقلاني الكناني، الشـافعي المذهب المصري المولد ولد سـنة (٧٧٣هــ)، الملقب بـ أمير المؤمنين في الحديث، رحل إلى مكة سـنة ٧٨٥هـ، ثم عاد إلى مصر عائداً فداوم على دراسـة الحديث الشريف، له مؤلفات وتصانيـف كثيرة زادت على مئة وخمسـين مصنفاً في مجموعـة مـن العلوم المهمـة، أشـهرها وأهمها: فتح

الباري في شرح صحيح البخاري، الاصابة في تمييز الصحابة، تهذيب التهذيب، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة... توفى سنة ٨٥٢هـ، الزركلي الاعلام، ج٨،ص ٢٣٤.

(٦٤) الطبراني، المعجم الكبير، ص١٩٢.

(٦٥) سجين: وادٍ في جهنّم يقابل عليّين في الجنة. عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، (القاهرة-٢٠٠٨م)، ص١٨٩.

(٦٦) الرملي، شهاب الدين احمد بن حمزه الانصاري الرملي الشافعي (ت٩٥٧هـ)، فتاوى الرملي،جمع ابنه شمس الدين محمد بن ابي العباس (ت١٠٠٤هـ)، ج٤، المكتبة الاسلامية، (لا.م-لا.ت)، ص٦٧.

(٦٧) حسن البصري: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى .زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. وكان أبوه مولى جميل بن قطبة وهو من سبي ميسان، نبطي بابلي،عراقي قديم، ولد سنة (٢١هـ) نشأ في الحجاز بين الصحابة ورأى عدداً منهم وعاش بين كبارهم، مما دفعه إلى التعلم منهم، والرواية عنهم، وفي سنة ٧٣هـ انتقل إلى البصرة، فكانت بها مرحلة التلقي والتعلم، حيث استمع إلى الصحابة الذين استقروا بها، أصبح أشهر علماء عصره ومفتيهم حتى وفاته سنة (٤٣ هـ). الخيون، رشيد، المذاهب والأديان في العراق، (بغداد -٢٠٠٧م)، ط٢، ص٦٧.

(٦٨) السيوطي، جلال الدين (ت٩١٠هـ)، شرح الصدوربشرح حال الموتى والقبور، مطبعة المدني، (لا.م-١٩٨٥م)، ص٩٨؛ صقر عطيه، المفتي، (لا.م-١٩٩٧م)، ص١٢٠.

(٦٩) الهكاري، ابو الحسن علي بن احمد بن يوسف بن جعفر (ت٤٨٦هـ)، هدية الاحياء للاموات وما يصل اليهم من النفع والثواب على ممر الاوقات، تحقيق: ابو عبد الرحمن شوكت بن رفقي بن شيحا توغ، الناشر الدار الاثرية، ط٢، (لا.م-٢٠٠٩م)، ص١٧٤؛ الطبرسي، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،ج٢، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، (لا.م-لا.ت)، ص٤٨٤؛ ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- ت٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد عبد فؤاد عبد الباقي، م١، دار احياء الكتب العربية، (لا.م-لا.ت)، ص٥٠٠.

المصادر

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد بن العماد العكدي الحنبلي أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ).

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط – عبد القادر الارناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق، بيروت -١٩٨٦).

حاجي خليفة، مصطفى عبد الله كاتب جلبي القسطنيطيني (ت١٠٦٧هـ).

٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى (بغداد – ١٩٤١م).

البغدادي، إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم البابا ني البغدادي .

٣- هديه العارفين، مكتبة المثنى (بغداد -١٩٥٥م).

الزر كلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)

٤- الأعلام، دار العلم للملاين، ط١٥، (لا. م-٢٠٠٢م).

كحاله، عمر رضا

٥- معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط١، (لا.م -١٩٩٣م).

البغدادي، إسماعيل بن محمد بن أمين بن مير سليم البابا ني البغدادي.
٦- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، م١، عني بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه، دار أحياء التراث العربي، (بيروت – لا.ت).
الميلاني، على الحسني.
٧- نفحات الأزهار في عبقات الأنوار للسيد حامد حسين الكهنوي، (قم – ١٤٢٣هـ).
سركيس، يوسف بن اليأس بن موسى (ت١٣٥١هـ)
٨- معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس، (مصر- ١٩٢٨).
الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)
٩- الكواكب السائرة بأعين المائة العاشرة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت -١٩٩٧).
الأنصاري، زكريا بن محمد بن احمد بن زكريا زين الدين بن أبو يحيى السنيكسي (ت٩٢٦هـ)
١٠- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القران، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر دار القران الكريم، ط١، (بيروت- ١٩٨٣م).
القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر
١١- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، طبعة دائرة المعارف النظامية، (حيدرأباد- ١٩١٤م).
السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ)
١٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق: محمد جمال القاسمي، دار الجيل، (بيروت-١٩٩٢هـ).
ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت١١١٧هـ).
١٣- ديوان الإسلام وبحاشيته أسماء كتب الأعلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العالمية، ط١، (بيروت-١٩٩٠م).
القنوجي، صديق حسن.
أبجد العلوم، تحقيق:عبد الجبار زكار، دار الكتاب العلمية، (دمشق-١٩٧٨م).
سالم، عبد الرزاق.
فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل -١٩٧٥م).
فهرست مخطوطات الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ج٦، ط١، (الرياض-لا.ت).
قرة بلوط،علي الرضا واحمد طوران، معجم مخطوطات التراث العربي الإسلامي، ج١، (قيصري، تركيا – لا.ت).
مكتبة المصطفى الالكترونية.
مكتبة الملك عبد العزيز.
مكتبة يوسف زيدان للمخطوطات
الغيطي، أبوالمواهب محمد بن احمد بن علي بن أبي بكر الاسكندري (ت٩١٠هـ).
مخطوطة كتاب الأموات وسؤالهم، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، قسم المخطوطات، برقم ٢٠٣٥ -٢.
المتقي الهندي،علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ).
كنز العمال في سنن الافعال والاقوال، تحقيق: صفوت السقا بكري الحياني، بيت الافكار، (لا.م-٢٠١٦م).
مجمع اللغة العربية
المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (لا.م-٢٠٠٤م).
السيوطي جلال الدين (ت٩١٠هـ).
كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب،تحقيق وتعليق

:مجدي السيد ابراهيم،(لا.م-١٩٨٦م).
الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت٧٤٨هـ)
سير اعلام النبلاء، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج١٨، مؤسسة الرسالة، (لا.م-١٩٨٥م).
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ).
نيل الاوطار، دار الحديث، ط١، (لا.م-١٩٩٣م).
ابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر ايوب الزركي ابو عبد الله(ت٥٩٧هـ).
الروح في الكلام على الارواح والاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، (بيروت-١٩٧٥م).
المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ)
تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (لا.م-١٩٨٣م).
ابن الجوزي، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ)
بر الوالدين،. تحقيق وتعليق: عبد العاطي محيي الشرقاوي، مكتبة الإمام البخاري، (مصر-لا.ت).
العبدلي، ابن مقصد
الرؤيا عالم غريب وتأويل عجيب، ط٣، (القاهره-٢٠٠٧م).
ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين (ت٨٥٢هـ).
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد -١٣٤٩هـ).
ابن رجب الحنبلي، ابو الفرج زين الدين عبد الرحمن البغدادي الدمشقي
اهوال القبور واحوال اهلها الى النشور، خرج احاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف البغدادي،الناشر دار الكتاب، ط٣، (بيروت- ١٩٩٤م).
الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمي الشامي (ت٣٦٠هـ)
مسند الشاهين، المحقق:حمدي السلفي،ج٤، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت-١٩٨٩م).
المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، ط٢، (القاهرة- لا.ت)
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠هـ)
فتح القديرالجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،ج٢، دار ابن كثير، ط١، (بيروت، دمشق -١٤١٤هـ).
السفاريني، محمد بن احمد بن سليمان الحنبلي (ت١١٨٨هـ)
البحور الزاخرة في علوم الاخرة، تحقيق: محمد ابراهيم شلبي تومان،غراس دار النشر، ط١،(الكويت-٢٠٠٧م.
ابن ابي الدنيا،عبد الله بن محمد البغدادي ابو بكر (ت٢٨١هـ)
موسوعة ابن ابي الدنيا، تحقيق: فاضل بن خلف الحماده الرقي، دار اطلس الخضراء، (لا.م-لا.ت).
ابن سعد، محمد بن سعد بن منبع الزهري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١،(لا.م-٢٠٠١م).
الحكيم الترمذي محمد بن علي بن الحسن بن بشر(ت نحو ٣٢٠هـ)
نوادر الاصول في معرفة احاديث الرسول، تحقيق: اسماعيل ابراهيم متولي عوض، مكتبة الامام البخاري، ط١.
ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)

لسان العرب، دار صادر، (لا.م-٢٠٠٣هـ).
بن حنبل، عبد الله بن احمد بن حنبل(ت٢٩٠هـ)، السنة، تحقيق: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن الارقم، ط١،(لا.م-١٩٨١م)
السفاريني، محمد بن احمد بن الاثري الحنبلي (ت١١٨٨هـ)
لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، (دمشق-١٩٨٢م).
ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ابو الحاتم الدرامي البستي (ت٣٥٤هـ)
المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،تحقيق: محمود ابراهيم زايد، دار الوعي، ط١، (حلب-١٣٩٦هـ).
عمر،احمد مختار
معجم اللغة العربية المعاصر،عالم الكتب، (القاهرة-٢٠٠٨م).
الرملي، شهاب الدين احمد بن حمزه الانصاري الرملي الشافعي (ت٩٥٧هـ)
فتاوى الرملي، جمع ابنه شمس الدين محمد بن ابي العباس (ت١٠٠٤هـ)، المكتبة الاسلامية، (لا.م-لا.ت).
الخيون، رشيد
المذاهب والأديان في العراق، (بغداد -٢٠٠٧م)، ط٢
السيوطي، جلال الدين (ت٩١٠هـ)
شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، مطبعة المدني، (لا. م-١٩٨٥م)
صقر عطية
المفتي، (لا.م-١٩٩٧م).
الهكاري، ابو الحسن علي بن احمد بن يوسف بن جعفر (ت٤٨٦هـ)
هدية الاحياء للاموات وما يصل اليهم من النفع والثواب على ممر الاوقات، تحقيق: ابو عبد الرحمن شوكت بن رفقي بن شيحا توغ، الناشرالدار الاثرية، ط٢، (لا.م-٢٠٠٩م) .
الطبرسي، الميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ)
مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، (لا.م-لا.ت).
ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني- ت٢٧٣هـ)
سنن ابن ماجة، تحقيق محمد عبد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، (لا.م-لا.ت).

Book of the dead and their question to Najm al-Din Muhammad ibn Ahmad Ibn Ali died (984 Hijri) (1576 AD)

Dr. Sundus Zaydan Khalf Al-shajiri

Abstract

Book of the dead is a short message consists of three papers، dating to attribute to Sheikh Necmettin Ghaity، Abu talent، Cairo-based Egyptian، forward ink mark، Shafii jurist (D. 984 AH) He mentions that at the beginning of the manuscript. Carry the manuscript with it a number of sayings of the Prophet Muhammad (peace be upon him) concerning the lives of the dead, and beyond, and underscores the importance of these conversations visit the dead.

The study included three Mhaaureriasah: Ghaity is the life of the author of the manuscript, and then study the manuscript through and described the statement copied, and finally achieve the manuscript through validated Helms out of conversations and comparing sources.



المدارس العلميّة التراثيّة في بغداد
دراسة في الجوانب العلمية والفكرية

د. هدى ناجي عبيد صباح*

المقدمة:

ارتبط اسـم مدينة بغداد بقوة الحضارة العربيّة الاسلامية، وكان لهذه المدينة أثركبير في القرون الوسطى في ميدان العلم والثقافة والفنون والازدهار الحضاري وكانت لبغداد أهمية كبيرة في الفكر العربي الاسلامي ولاسيما في ميادين الفقه وعلم الكلام والفلسفة والآداب.

والمـدارس التي انشـئت في بغداد منذ منتصف القـرن الخامس الهجري الحادي عشر الميـلادي مثـل المدرسـة النظامية التـي افتتحت للتدريس سـنة «٤٥٩ هـــ /١٠٦٧م» ومدرسـة مشـهد أبـي حنيفة التي باشرت التدريس في السـنة نفسـها التـي بدأت بها المدرسة النظامية وأنشئت بعدهما مدارس عديدة من أهمها المدرسة المستنصرية التي أسسها الخليفة المستنصر بالله العباسي وأفتتحت للتدريس سنة ٦٣١ هــ / ١٢٣٤ م.[١]

ومن المعلوم أنّ مدارس بغداد ولاسـيما المدرسـة النظامية والمسـتنصرية كان يؤمها عدد كبيرمن طلبة العلم الوافدين من بلدان المشرق والمغرب ولابدّ أنّ اولئك بحكم بقائهم في بغـداد تأثروا بعادات البغداديين من مـأكل ومشرب وملبس وبهذا تكون تلك المدارس البغدادية قد أثرت في أخلاق الطلاب الوافدين الذين صاروا ينقلون تلك العادات والاخلاق بعـد تخرجهـم من تلك المدارس كمـا يتحدثون الى ذويهم في بلدانهـم عن حضارة بغداد وتقدمها العلمي.[٢]

* مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

كانت المدارس الجامعة بيوتا لاشياخ العلم, ومرادا لتلاميذهم, وكانت كل مدرسة بمنزلة جامعة تتألف من عدة كليات.

وأول من نعلمه أمر ببناء مدرسة مستقلة عن الجوامع في بغداد أحمد بن طلحة الموفق الملقب بالمعتضد «ت ٢٨٩ هـ» فانه عندما وضع الخطة لإنشاء قصره في الشماسية استزاد المهندسين في الذرع فسأل عن ذلك فذكر «أنه يريد أن يبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجري عليهم الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيساً ما يختاره فيأخذ عنه».[٣]

وفي أواخر العصر الثالث وأوائل الرابع أنشئ معهد للطب أطلق عليه اسم البيمارستان, وكان الطبيب الكبير أبو بكِر الرازي «ت٣٢٠ هـ» يدرس فيه الطب، وقد أنشأ عضد الدولة بن بويه بيمارستانا آخر على أنقاض قصر الخلد أطلق الناس عليه اسم البيمارستان العضدي، وأطلقوا على الذي قبله اسم البيمارستان العتيق، والبيمارستان العتيق يعد أول مدرسة طبية نظرية وعملية أنشئت في بغداد، وكلا البيمارستانين في الجانب الغربي، وقال ابن جبير: «وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد وهوعلى دجلة، ويتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون اليه، وبين أيديهم قومة يتولون طبخ الأدوية والأغذية، وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية».[٤]

والظاهر أنّ هذا البيمارستان بقي الى ما بعد سقوط بغداد بيد المغول، فقد ذكره ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ هـ قائلا: «وهو قصر كبير خربٌ بقيت منه الآثار».[٥]ولم يبق اليوم لهذا البناء أثر يهتدى به الى مكانه.

والمدارس القديمة في بغداد كلها متصلة بالمساجد، وهي كثيرة تدرس فيها العلوم الشرعية واللسانية وبعض العلوم الكونية، وقد يكون للمدرسة الواحدة منها اكثر من مدرس واحد، ومعظم المدارس القديمة في بغداد دينية ومناهجها تابعة للتقاليد القديمة عدا دار العلوم الدينية والعربية فانها مؤسسة

على النمط الحديث, وتدرس فيها مع العلوم الدينية والعلوم اللسانية علوم اخرى لايمكن أن يستغني عنها علماء الدين في هذا العصر مثل علم الاجتماع وعلم النفس وأصول التعليم وغيرها، واكثر طلابها يعيشون على نفقة مديرية الاوقاف العامة، وهذه المدرسة واقعة الى جوار مشهد الإمام أبي حنيفة «رضي الله عنه».[٦]

المدرسة النظامية:

شهدت بغداد في العصر العباسي نهضة تعليمية بدأت بشكل منظم وبرعاية الدولة سنة «٤٥٧ هـ/ ١٠٦٥ م» عندما بدأ الوزير نظام الملك السلجوقي ببناء المدرسة المعروفة بالنظامية التي افتتحت للتدريس سنة «٤٥٩ هـ /١٠٦٧م» واحتفل بافتتاحها احتفالاً كبيراً، وكانت المدرسة النظامية ولاسيما بالشافعية، وكان من شروطها ان يكون المدرس بها والواعظ ومتولي الكتب من الشافعية أصلاً وفرعا، ودرس في هذه المدرسة كبار العلماء والفقهاء مثل أبي اسحاق الشيرازي شيخ الشافعية في وقته ببغداد وأبي نصر بن الصباغ وأبي حامد الغزالي وغيرهم من كبار فقهاء الشافعية في العلم الاسلامي، ومن النحويين والادباء الذين درسوا في هذه المدرسة العتيدة أبو زكريا الخطيب التبريزي وعلي بن محمد الفصيحي.[٧]

وكان تعيين المدرسين في النظامية من صلاحية الوزير، وكان هذا واضحا عند تعيين المدرس الأول أبي اسحاق الشيرازي في النظامية بأمر الوزير نظام الملك, وفي تعيين الغزالي مدرسا في نظامية بغداد.[٨]

وللمدرسة مكتبة فخمة فيها من الكتب النفيسة، وكان للمكتبة خازن ومشرف ومناولون للكتب، وذكر ابن الاثير أنّ الخليفة الناصر لدين الله العباسي جدد خزانة كتب المدرسة النظامية ونقل إليها ألوفا من الكتب الحسنة.[٩] وللاسف أنّ هذه الخزانة العظيمة اندثرت وانمحت من الوجود وضاعت جميع كتبها كما انمحت آثار هذه المدرسة العظيمة التي هي أولى المدارس في الأسلام.

وممن زار المدرسة النظامية الرحالة العربي ابن جبير وقال: «والمدارس ببغداد نحو الثلاثين وما منها مدرسة إلا ويقصر القصر البديع عنها واعظمها واشهرها النظامية».[١٠]

كما حضر ابن جبير درسا من دروس المدرسة النظامية ووصف كيفية الدرس والقاء المدرس لمحاضرته والاسئلة التي يوجهها الطلبة.

وذكر ابن بطوطة المتوفى سنة «٧٧٩ هـ /١٣٧٨ م» الذي زار المدرسة النظامية وقال: «بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب واعظم اسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضِرب بحسنها».(١١)

ومن اشهر طلاب المدرسة النظامية:

أولا: علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة «٥٧١ هـ / ١١٧٥ م» دخل بغداد ولزم التفقه وسماع الدروس باالمدرسة النظامية ومن اشهر كتبه تاريخ دمشق.(١٢)

ثانيا: العماد الاصفهاني: أبو عبد الله محمد بن صفي الدين الكاتب، تعلم بالنظامية على يد الشيخ ابن منصور سعيد مدرس النظامية وسمع بها الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وغيره من أعلام المدرسين في النظامية, ومن أشهر كتبه: جريدة القصر وجريدة العصر وكتاب الفيح القسي في الفتح القدسي، وكانت له منزلة رفيعة عند السلطان نور الدين زنكي وصار صاحب سره وكان من أشهر كتّاب صلاح الدين الايوبي وأصبح من جملة الصدور المعدودين والاماثل المشهورين يضاهي الوزراء، توفى العماد الأصفهاني سنة «٥٧١ هـ / ١١٧٥ م» بدمشق ودفن في مقابر الصوفية. (١٣)

ثالثا: ومن طلاب المدرسة النابهين، بهاء الدين بن شداد، وتتلمذ على يد الشيخ رضي الدين القزويني شيخ الشافعية ببغداد ومن ثمّ صار من رجالات السلطان صلاح الدين الايوبي وعينه السلطان قاضيا على حلب، ومن كتبه سيرة صلاح الدين بن ايوب واشتغل معيدا بالمدرسة النظامية، وتوفى بحلب سنة اثنتين وثلاثين وستمائة للهجرة.(١٤)

ولما أنشئت المدرسة النظامية في بغداد أنشئ فيها كرسي لتدريس الأدب عهد به الى أبي زكريا الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) وخلفه على ذلك علي بن أبي زيد الفصيحي وتلاه أبو منصور الجواليقي شارح كتاب ادب الكاتب. (١٥)

وفي اوائل القرن السادس الهجري اتسع مفهوم الادب عند العلماء فاطلقوا على العلوم

اللسـانية من النحو واللغة وغيرهما اسم علوم الادب، قـال أبو القاسـم الزمخشري«ت ٥٣٨ هـ»: «علوم الادب يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظا وكتابة».[١٦]

ومن الذين درسـوا في النظامية عدد كبير من الذيـن تفقهـوا في هـذه المدرسـة العريقة من الذين اشتهروا في حياتهم الثقافية والسياسية والاجتماعيـة، وزالـت هذه المدرسـة العظيمة نتيجة اهمال من تولى أمرها واستحوذ بعضهم على أوقافها كما كان لحوادث الحريق والغرق الاثـر الفاعـل في ضعف جوانب هذه المدرسـة ولاسيما أيام ضعف الخلافة العباسية ودخول المغـول بغداد، وبمـرور الايام وتـوالي الاعوام اندرسـت آثارها وطمسـت أخبارهـا وانمحى ذلـك المـكان الـذي كان يشـع بأنـوار العلـم والمعرفـة وكان ينبوعا من ينابيع الثقافة التي كانت في خدمة المجتمع الانساني.[١٧]

قال المحقق السـيد محمود شكري الألوسي في كتابه تأريخ مساجد بغداد: «لم ندرك نحن ولا آباؤنـا أثرا مـن آثارها .. ولم يبق منها سـوى بقايا مئذنة بقيت تشكو بلسان حالها ..».[١٨]

وقـد نظم شـاعر العـصر الأسـتاذ الرصافي قصيـدة عـلى لسـان هـذه المدرسـة جـاء في مطلعها:[١٩]

قوّض الدهر بالخراب عمادي

ورمـتنـي يـداه بالأنـكـاد

المدرسة المستنصرية

انشأ هذه المدرسة الخليفة العباسي المستنصر بالله وتكامل بناؤها سنة «٦٣١ هـ / ١٢٣٤م» فكانت آية فنية ما بني على وجه الارض أحسن منها، ويعد هذا البناء الذي طاول الزمن والذي لايـزال عظيما باقيا أثرا من آثار تلك الحضارة الزاهية ولاتزال المسـتنصرية من أجمل مباني بغداد وأعظمها أثرا على مر الزمن.[٢٠]

وتقـع المسـتنصرية في الجانـب الشرقي من بغـداد على نهـر دجلـة ووصفهـا المؤرخون بصفـات ممتازة, قـال فيها الإربـلي: وصفها غريـب وحسـن ترتيبهـا عجيب شـامخة الى عنان السـماء، وأنها جاءت في نهاية الحسـن، وهي أعظم من أن توصف وشهرتها تغني عن وصفها.[٢١]

وجعل الخليفة المستنصر مدرسته ذات نظام داخـلي أي أنّ الطالب كان يـدرس ويعيش في المدرسـة وانّ إدارة المدرسـة كانت تنفق عليه

الطعام والملابس،ويعطى ديناران لكل طالب في كل شهر غير الحلوى والفاكهة والصابون والزيت.[٢٢]

وجعلت المدرسة للمذاهب الأربعة وحدد عدد الطلبة، فطلبة الفقه الحنفي كان عددهم ٦٢ طالبا ومثلهم طلبة الفقه الشافعي والحنبلي والمالكي، وجعل لكل طائفة مدرس وأربعة معيدين.

وأنشت معاهد ملحقة بالمدرسة مثل دار قرآن المستنصرية وشرط أن يكون فيها ثلاثون صبيا أيتاما ويتكفل بهم شيخ يلقنهم القرآن الكريم ومعيد يشرف على تحفيظهم وهناك دار الحديث النبوي ويكون عدد طلابها عشرة يقوم على تعليمهم شيخ عالي الاسناد ويعاونه قارئان، كما ألحق المؤسس بالمدرسة مدرسة للطب، وجعل فيها طبيب حاذق ماهر واثبت عنده عشرة من الطلبة يشتغلون عليه في علم الطب، وألحق بمدرسة الطب صيدلية لصرف الدواء للمرضى وأشار ابن العبري الى وجود مخزن في المستنصرية به أنواع الاشربة والادوية. [٢٣]

وتعد المدرسة المستنصرية حدثا كبيرا في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، لانها خطوة كبيرة في سبيل تقدم التعليم ورقيه كما يعد نظام المدرسة من أحسن النظم المتبعة في مدارس ذلك العصر، وقد غدا ذلك النظام مثالا يحتذى به في العراق وخارجه.[٢٤]

لقد اعتنى الخليفة والمشرفون على الدراسة باختيار المدرسين الذين يجب أن تتوافر فيهم شروط عديدة منها الاخلاق الحسنة والسمعة الطيبة والعلم الوافر والصحة في المذهب والاعتقاد وخصص المؤسس لكل مدرس في المدرسة راتبا قدره أثنا عشر دينارا وأن تصرف له حاجته من الطعام وقدرها في كل يوم عشرون رطلا من الخبز وخمسة أرطال من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها، وكان لكل مدرس أربعة من المعيدين وخصص الواقف في شروط المدرسة لكل معيد في كل يوم سبعة أرطال خبزا وغرفتان طبيخ وفي كل شهر ثلاثة دنانير.[٢٥]

وكان المدرس في المستنصرية يجلس على كرسي عند التدريس ويلبس ثياب السواد معتما وعلى يمينه ويساره معيدان.

ولم يكن هناك على مايبدو نظام الإحالة

الى المعـاش في العـصر العباسي فقـد ذكر ابن الفوطي أنّ الشـيخ كمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف المعروف بابن وريدة البغـدادي كان يطيل الجلوس مع طلاب العلم ولايضجر وأنّه نيف على التسعين.(٢٦)

وكان طلبة المستنصرية ينقسمون الى فئتين، الطلاب الصغار وهم طلبة دار القرآن وهم من الصبيان، وهم يعيشـون في المدرسـة في مكان مسـتقل ويدرسـون في مكان غـير قريب من المكان الذي يـدرس فيه الطلبـة الكبار الذين هـم الفئة الاخرى مـن طلبة المدرسـة والذين يدرسون الفقه والنحو والطب والحديث.(٢٧)

وهنـاك في المدرسـة ٧٨ غرفـة، ٣٩ منها في الطابـق الارضي ومثلهـا في الطابـق العلـوي مخصصة لسـكنى الطلبة ويبدو أنّ كل غرفة تتسـع لاكثر من أربعة من الطلبة وهناك عدد من القاعات المخصصة للتدريس.(٢٨)

يتوسط بناء المدرسة صحن فسيح مستطيل الشكل طوله ٤٠ ,٦٢ وعرضه ٤٠، ٢٧ فتكون المساحة ٧٦ ، ١٧٠٩ م٢.

وقد روعـي في التصميم أن تكون المرافق من الغـرف والاواوين والاروقة والمسـجد والحمام وخزانـة الكتـب تحيـط كلها بالصحـن، وفي الصحـن مـن ناحيتيـه الشـمالية والجنوبية تجويفان كبيران يسـميهما الاثاريون بالايوان الشـمالي والايوان الجنوبي، ويتوسـط الضلع الغربي المطل على نهر دجلة مسـجد المدرسـة وتبلغ مسـاحته ١٠، ١٥٥ م. وكان للمدرسـة مطبخ يطبخ فيه للطلبة، وقد بلغ ريع ماوقف عليها من العقارات والمسقفات أكثر من سبعين ألف مثقال سنويا.(٢٩)

وكانـت تزيـن المدرسـة سـاعة عجيبـة قام بصنعها نور الدين علي بن تغلب الساعاتي.

وزخارف المدرسة المسـتنصرية تمثل الابداع الفني الذي وصـل اليه الفن العراقي في القرن السابع الهجري، وهي قطع من الآجر المهندسة بأشـكال وحجوم مختلفة محفورة على شـكل زخارف هندسـية ونباتية وتتفاوت في الحجم والعمق، وكان للمدرسة ناظر ومشرف وكاتب وخازن للكتب ومناولون وفراشـون وبوابون وطباخون وغيرهم من العاملين في المدرسة.(٣٠)

وكان لزيـارة العلماء للمـدارس البغدادية في العـصر العباسي أثـر في نقل الكثـير من نظم التعليـم البغدادية الى مدنهـم البعيدة ومنهم

العالـم جمـال الدين ابن الشريـشي محمد بن أحمد البكري الاندلسي الشريشي المالكي المولود في شريش سنة «٦٠١ هـ» سمع بالاسكندرية من محمد بن عمار وفي بغداد من أبي الحسـن القطيعـي شـيخ دار الحديث في المسـتنصرية ومحمد بن السباك مدرس المستنصرية، ودخل الديـار المصريـة ودرس في الفاضلية وتخرج عليه جماعة ثم قدم الى القدس وأقام فيها مدة ثم أتى دمشق وأخذ الناس عنه وتوفى بها سنة ٦٨٥هـ .[٣١]

هـذا وكانـت بغداد مركز الحركة والانتشـار لمعظم الصـلات الثقافية بين الـشرق والغرب التـي يقوم بهـا طلبة العلـم والعلمـاء حيث يقومون برحلات علمية الى بغداد ليتزودوا من المعرفـة ويعودوا الى بلادهـم لينقلوا ما تأثروا به من الاداب والعلوم وشتى المعارف ببغداد.

حتـى أنّ بغـداد أثـرت في النظـم التعليمية الاسـلامية، فالمدرسـة المسـتنصرية هـي أول مدرسة تؤسـس لتدريس فقه المذاهب الاربعة وأنها تبادر لاول مرة الى الحاق مدرسة لتعليم الطب ومعهد لتدريس القرآن الكريم.[٣٢]

وكان لتأسـيس المستنصرية في بغداد أثره في ان يبـادر المصريـون الى بناء مـدارس جديدة تأخذ بنظام المدرسة المستنصرية بعد ان كانت مدارسهم تخصص لتدريس فقه مذهب واحد كالمدرسـة القمحية التي كانت ولاسيما بالفقه المالكي ومدرسـة ابن زين النجـار التي كانت خاصة للشـافعية والمدرسـة السيوفية خاصة بالحنفية. [٣٣]

حتـى بادر الصالح أيوب ابـن الملك الكامل الى انشاء المدرسة الصالحية على غرار المستنصرية وذكر المقريزي أنّ السـلطان نجم الدين أيوب أول مـن عمـل بديار مصر دروسـا اربعـة في مـكان.[٣٤]

أمّـا منهجهـا التعليمـي فهو شـبيه بمنهج المدرسـة النظاميـة، واسـتمرت المدرسـة المستنصرية في اداء مهمتها التعليمية والثقافية رغـم النكبـات التي وقعـت عليها مـن الغزو المغولي سـنة «٦٥٦هـ /١٢٥٨ م»، وسيطرة الجلائريين وهم من العنصر المغولي سنة ٧٣٨ هـ /١٣٣٧ م ثم قيـام دولة أجنبيـة غربية كدولة الخروف الاسـود سنة «٨١٤ -٨٦٩ هـ /١٤١٠- ١٤٦٥ م» ودولـة الخروف الأبيض سـنة «٨٦٩- ٩١٣هـ/ ١٤٦٥- ١٥٠٨ م»

ثمّ اصبحت بغداد تحت السيطرة الصفوية ثمّ سيطرة العثمانيين حتى سنة ١٩١٧ م.[٣٥]

واخذت هذه الدول بعدم العناية بالمدرسة وانقطعت أخبارها بحدود «٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م»، وبدأ الاقتطاع من المدرسة المستنصرية في عهد محمد جلبي كاتب الديوان وكاتم الاسرار عند محمد بن أحمد الطويل والي بغداد سنة «١٠١٧ هـ /١٦٠٨م» فقد بنى هذا زاوية للدراويش المولوية سميت هذه الزاوية بالمولاخانة وهي جزء من المدرسة المستنصرية.[٣٦]

وهكذا نرى المدرسة أسِيءَ استعمالها واقتطعت اجزاؤها وانتهكت حرمتها واستحوذ الطامعون على أوقافها واصبحت دارا للمكس ومكانا للعمال والحمالين والجهلاء بعد أن كانت مأوى للطلاب والعلماء والاساتذة الذين يشار اليهم بالبنان.

فرثاها الشعراء المعاصرون كالرصافي و الزهاوي:[٣٧]

ولما قامت الحكومة العراقية سنة «١٩٢١» بدأ العراقيون يطالبون بإعادة حقوق هذه المدرسة التأريخية، فأخذت يد الاصلاح تعمل عملها في اعادة وجه هذه المدرسة الى سابق عهده، فسارعت وزارة الاوقاف ومن ثم دائرة الآثار والتراث العراقية العناية بها ولعل أبرز اصلاح لها كان بعد ثورة ١٩٥٨ وفي تموز ١٩٦٠.[٣٨]

المدرسة الشرابية

هي المدرسة التي بناها شرف الدين اقبال الشرابي وزير المستنصر بالله في بغداد وكانت تسمى المدرسة الشرابية الاقبالية او الشرفية، وتقع بين باب المعظم ومحلة الميدان الحالية ونهر دجلة، ومن هنا يمكن القول انّ المدرسة الشرابية يحتمل ان تكون هي البناية المعروفة بالقصر العباسي الواقع الى جنوب وزارة الدفاع الان، ويرى الدكتور ناجي معروف وجود تشابه كبير بين تصميم هذه البناية وبين مدرستين قائمتين ببغداد هما المستنصرية والمرجانية.[٣٩]

إنّ بناء الاواوين وطراز بيوت الطلبة والدهاليز والازاج والردهات الكبرى وبيوت الطلبة وصحن المدرسة والرحاب والمسجد وشكل العقود والاقواس والكوي وطراز التسقيف وتفاصيل الزخرفة الاجرية في الجدران

والسقوف والابواب، كلها تؤكد كون البناية هذه كانت مدرسة، وان كانت تتبع طرازا خاصا في التخطيط والتصميم، ففي هذه المدرسة ايوان واحد بديع الزخارف الاجرية، مفتوح الواجهة من الجهة الشمالية على صحن المدرسة، وارتفاعه بارتفاع الطابقين فيها، ويحيط بالصحن الكبير عدد من الحجرات الصغيرة، يحميها رواق، سقف مكون من مقرنصات آجرية بديعة التكوين، ودعامات تحمل أقواسا مدببة، ويقابل الايوان الكبير مسجد المدرسة، وانّ مدخل المدرسة وواجهتها الشمالية مطلة على دجلة، امامه ساحة ومسناة عرضها ٦٠ مترا، وفي الجهة الجنوبية رواق يتقدم قاعات كبيرة لعلها كانت للتدريس، ويضم الطابق الاعلى مجموعة من الغرف تطل جميعها على الساحة ايضا.[٤٠]

إنّ الزخارف الآجرية التي تزين هذه البناية لايمكن وصفها بالكلمات لدقة صنعها وروعة منظرها، وتنوع شكلها وانسجام تنسيقها وبداعة تركيبها وترتيبها، تقوم هذه الزخارف على قطع آجرية ذات اشكال هندسية ونباتية داخل المساحات والاشكال المخصصة لها، كما تؤلف المقرنصات كتلا بنائية غاية في الاتقان والجمال.[٤١]

فالاشكال الهندسية التي نراها في هذه المدرسة هي في الاساس تعتمد على النجوم والمضلعات التي تؤلف اطباقا نجمية متطورة معقدة التركيب، ومن الاشكال التي تجلب الانتباه شكل مروحي يشبه الصليب المعقوف(سواستيكا)، فضلاً عن ذلك توجد زخارف هندسية لاتعتمد على النجوم وانما على المضلعات الهندسية.[٤٢]

أما الزخارف النباتية التي تملأ سطوح البناية والمتميزة بالوضع والدقة والاتقان في الحفر وابراز التفاصيل فانّ العنصر الرئيس فيها المروحة النخلية(البالمت)، وتظهر تارة باشكال مبسطة وتارة أخرى على جانب كبير من التعقيد وحسن التركيب ولعل اروع ما تميزت به هذه البناية هي المقرنصات المزخرفة التي تشاهد في الرواق المحيط بالصحن، فهي فضلاً عن كونها تؤدي وظيفة معمارية في رفع السقف فانها تضفي على البناء مظهرا زخرفيا بديعا حين تتدلى من السقف بشكل قطع آجرية مختلفة الشكل والحجم، وتؤلف

في مجموعها طبقات من حنايا وكتل بنائية بارزة ذات عقود مدببة تتدرج فتنتهي في نقاط معينة تشبه قبة صغيرة مضلعة او نجمية. [٤٣]

انّ العناية المبذولة في هذه البناية وزخرفتها وتنوعها تكسبها مكانة فنية لاتضاهيها اي بناية اخرى، ففي العالم العربي والاسلامي قصور كثيرة مزينة بالزخارف البديعة المصنوعة من الآجر والحجر والخشب او مكونة من الجبس او القاشاني غير انه ليس فيها قصر بلغت فيه الزخرفة الآجرية هذه الدرجة العالية من حيث التنوع في الفروع مع البراعة في المجموع، وليس من شك في كونها تمثل الدرجة القصوى التي وصل اليها فن البناء في زخرفته الآجرية. [٤٤]

لقد اصابت هذه المدرسة نكبات كثيرة طيلة العصور الماضية، فقد اصبحت مدفنا سنة ٦٩٦هـ فدفن فيها احد ارباب الدولة، ثمّ جعلت بعد ذلك التاريخ رباطا او تكية، وازيل القبر الذي فيها وربما اضيف اليها شيء من الزيادة لتوافق احوال الصوفية وطريقة سكناهم، ثمّ ادخلت في سور القلعة منذ القرن التاسع للهجرة في آواخر عهد القره القوينلية التركمان، واصبح تاريخها مرتبطا بتاريخ القلعة وذلك مما ادى الى تشعيثها وتشويه محاسنها وتبديل مبسمها الجميل، حتى تداركتها مؤسسة الآثار القديمة فخلصتها من هيمنة وزارة الدفاع عليها وشرعت في تعميرها واعادة ما تخرب من قاعاتها وغرفها وزخرفتها فرجع اليها رونقها السابق وجمالها الذي لايضاهى. [٤٥]

مدرسة مرجان

نرى في بغداد بقايا لمدرسة مهمة هي مدرسة مرجان والمعروفة بالمدرسة المرجانية ابتناها أمين الدين مرجان والذي كان مملوكا روميا للسلطان أويس الجلائري «٧٥٥-٧٧٣ هـ /١٣٥٦-١٣٧٤ م»، ويعد من اشهر ولاة بغداد في العهد الجلائري وأصله من بلاد الروم ، وهو منشئ هذه المدرسة والجامع المعروف بجامع مرجان، كما شيد خانا الى جوارها اوقفه عليها ويعرف اليوم خان مرجان. [٤٦]

أسس أمين الدين مرجان هذه المدرسة لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي ووقف عليها الاوقاف الطائلة، وقد نقش بالآجر على

جدران هذه المدرسة جميع ما وقف عليها مع شروط الوقف.

ولاتزال هذه المدرسة فيها من ضروب الريازة وبديع الصناعة المعمارية ما جعلها محج رواد الآثار العتيقة وطلاب الفنون الجميلة، وفي هذه المدرسة دفن مرجان سنة ٧٧٤ هـ ولايزال قبره ظاهرا الى الآن.(٤٧)

وقد غلب اسم المسجد الجامع على هذه المدرسة، فالناس اليوم يعرفون جامع مرجان اكثر مما يعرفون مدرسة مرجان مع أنّ المدرسة كانت هي الاصل.(٤٨)

أمّا المدرسة المرجانية التي كان فيها جامعٌ ملحقٌ بها فأنهاّ لم يعد لها وجود ومكانها اليوم جامع تقام فيه الصلوات الخمس والجامع ويمتاز بموقعه على شار ع الرشيد وبزخارف واجهته وكان احد أمناء بغداد قد اقتطع جزءاً من هذه المدرسة لاستقامة شارع الرشيد، والحق انّ المدرسة قد انتهى دورها والباقي هو البناء الذي يعرف بجامع مرجان.(٤٩)

ويظهر أنّ البغداديين قد جدوا بعد إنشاء المدرسة النظامية بإنشاء المدارس على نمطها حتى صارت المدارس الكبيرة في بغداد تعد بالعشرات، وفي هذا قال ابن جبير: «والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلّا ويقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية».(٥٠)

وهناك العديد من المدارس التي انشئت في بغداد في العصر العباسي ومنها:

مدرسة مشهد أبي حنيفة التي أسسها أبو أسعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي المملكة السلجوقية سنة «٤٥٩ هـ / ١٠٦٧م» للفقهاء الحنفية وكانت المدرسة بجوار مشهد الامام أبي حنيفة وقد باشرت التدريس في السنة نفسها التي بدأت بها المدرسة النظامية، وجرت على المدرسة اصلاحات عديدة ولايزال مكانها مركزا من مراكز الثقافة الأسلامية.

والمدرسة الموفقية التي بناها موفق بن عبد الله الخاتوني خادم الخاتون الملكشاهية زوجة الخليفة المستظهر بالله العباسي والمتوفاة سنة «٥٣ هـ /١١٤١م» ومن أشهر مدرسيها علم الدين أبو زكريا يحيى بن المظفر، وقد زالت هذه المدرسة ولاأثر لها في بغداد. والمدرسة التاجية المنسوبة الى تاج الملك المرزبان بن

خسرو وهي خاصة بالشافعية، وهي أيضاً لا أثر لها في بغداد [٥١] والمدرسة الوفائية ومدرسة الخواجة مسعود بن سديد الدولة وكان الخواجة مسعود من اكابر بغداد، أسس مدرسة واسواقا غاية في الحسن وجعلها وقفا على المذاهب الاربعة على صفة المستنصرية، ووقف عليها الاوقاف الكثيرة وكان دينه القديم اليهودية، ثم اسلم وله جاه عند السلاطين، فعمر المدرسة في ايام السلطان اويس، وانتهى منها في ايام السلطان أحمد في العصر المغولي ومدرسة العاقولي جامع سراج الدين ومدرسة الوزير اسماعيل، وهذه المدارس اذا اضيفت الى بقايا المدارس القديمة استكثرنا العدد وعلمنا انّ الرغبة كانت كبيرة للعلم، والمدارس كانت مفتوحة ولم تسد في وجه الطالب.[٥٢]

بيت الحكمة

عني الخلفاء العباسيون بالعلم والمعرفة مما جعلهم يعملون على اقتناء الكتب والسعي الى ترجمة ما كتب بغير العربية، وتشير الاخبار التاريخية أنّ الرشيد الخليفة العباسي كان مولعا بجمع الكتب وأنه يجالس العلماء والأدباء وأنّ الرشيد هو الذي أسس بيت الحكمة في بغداد وطوره ابنه المأمون.[٥٣]

وذكر المؤرخون أنّ الرشيد لما انتصر في حروبه في مناطق بلاد الروم وجد في انقرة وعمورية كتبا قديمة فاعتنى بها وقام ابن ماسويه (ت ٢٤٣هـ) وهو من الاطباء المشهورين بترجمة تلك الكتب، وجعله الرشيد أمينا على الترجمة ورتب له كتّابا حذاقا يكتبون بين يديه.

ولما افضت الخلافة الى المأمون من سنة (١٩٨- ٢١٨ هـ) وجه عنايته الى الترجمة والتأليف وترجمت له كتب الحكمة المختلفة وكان على مايبدو كثير العناية بها ولاسيما كتب الفلسفة والمنطق وسعى المأمون بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة وأرسل العلماء في سبيل ذلك فجمعوا له من تلك الكتب كل نفيس ونادر.

وتجمعت كتب كثيرة وصار هناك عدد من المترجمين والكتّاب في مكان عرف ببيت الحكمة ومن مشاهير من اشتغل في ذلك البيت يوحنا بن ماسويه وهو طبيب مشهور ومن المتضلعين في الترجمة وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون.

ومن الذين كانوا يعملون في بيت الحكمة في

بغداد أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي وهو من ائمة المتكلمين، عهد اليه بترجمة كتب الفارسية الى العربية، وممن كان يعمل في بيت الحكمة سهل بن هارون ومحمد بن موسى الخوارزمي وهو من أصحاب علم الهيئة منها ومن مؤلفاته كتاب الجبر والمقابلة وكان بنو موسى بن شاكر من انشط عناصر بيت الحكمة وهم ثلاثة اخوة محمد وأحمد والحسن، لازموا التعلم في بيت الحكمة وهم مولعون بعلوم الحكمة والهندسة والفلك، وكان أحمد بن موسى بن شاكر متفوقا في صناعة الحيل (الميكانيك) لا يدانيه أحد في ذلك واشتهر بكتابه الذي ألفه في الحيل وبقسمة الدائرة الى ثلاثة أقسام متساوية.

وممن لازم بيت الحكمة ونقل عن كتب خزائنه، ابن النديم المتوفى سنة «٣٨٠ هـ» صاحب كتاب الفهرست.

كانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة، وكان من الذين عملوا فيه عدد من السريان واليهود والمجوس وغيرهم، وكانوا يؤدون شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية، ولانعلم بالضبط مكان بيت الحكمة، هل له مكان مستقل أم هو ملحق بأحد قصور الخلافة في الجانب الغربي من بغداد.

وانتهت أخبار بيت الحكمة بعد دخول المغول بغداد سنة «٦٥٦هـ /١٢٥٨م» فعبث بالكتب الغزاة والجهلة, بعد أن كان هذا المركز الحضاري مصدر اشعاع للعلوم والاداب، كما كان اداة ناجحة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب.

الهوامش

(١) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، الاستاذ الدكتور حسين أمين، ص ٦٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٦٠.

(٣) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثارج١، ص ١٩٢.

(٤) ينظر: بغداد مدينة السلام، الاستاذ الدكتور طه الراوي، ص ٦٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٥.

(٦) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة ص٣٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه, ص٣٦.
(١١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٦.
(١٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٦ .
(١٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٦.
(١٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٦.
(١٥) ينظر: بغداد مدينة السلام ص ٩٠.
(١٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٠.
(١٧) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص٣٧.
(١٨) ينظر: بغداد مدينة السلام ص ٦٢.
(١٩)ينظر: ديوان معروف الرصافي، ص ٢١٣.
(٢٠) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص ٣٨.
(٢١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٨.
(٢٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٨.
(٢٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٩.
(٢٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٩.
(٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٩.
(٢٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠.
(٢٧) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠ .
(٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠.
(٢٩) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص٤١.
(٣٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٤١ .
(٣١) ينظر: المصدر نفسه، ص٦١.
(٣٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٦١.
(٣٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٦١.
(٣٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٦٢.
(٣٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٤١ .
(٣٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٢ .
(٣٧) ينظر: بغداد مدينة السلام، ص ٦٤.
(٣٨) ينظر: تاريخ وحضارة، ص٤٣.
(٣٩) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٣.
(٤٠) ينظر: تاريخ فن العمارة العراقية ص٤٨٨.
(٤١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٨٩.
(٤٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٨٩.
(٤٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٩١ـ٤٨٩.
(٤٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٩١.
(٤٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٩١.
(٤٦)ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص٤٤.
(٤٧)ينظر: بغداد مدينة السلام، ص٥٨ .
(٤٨)ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص٤٤.
(٤٩)ينظر: بغداد مدينة السلام، ص٥٨.
(٥٠) ينظر: بغداد مدينة السلام، ص٦٤.
(٥١) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة، ص ٤٣.
(٥٢) ينظر: تاريخ فن العمارة العراقية ص ٥٣٨.
(٥٣) ينظر: بغداد تاريخ وحضارة ص ٤٤.

المصادر والمراجع

- بغداد تاريخ وحضارة, الاستاذ الدكتور حسين أمين، منشورات المجمع العلمي, مطبعة المجمع العلمي، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م .
- بغداد مدينة السلام، طه الراوي، سلسة الكتاب للجميع، طبعة ولاسيما توزع مجانا مع جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٥.
- تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، تصنيف شريف يوسف، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢.
- شرح ديوان معروف الرصافي، شرح وتعليق الدكتور يحيى الشامي، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٢.
- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، طبعة جديدة بالاوفست، دار صادر - بيروت.

Traditional archaeological scientific schools in Baghdad Of the year

Dr. Huda Naji Obaid Sabah

Abstract

The schools that were established in Baghdad since the middle of the fifth century AH atheist tenth century, such as the regular school, which opened to teach in 459 AH / 1066 AD and the school of Abu Hanifa, which started teaching in the same year began by the regular school and established after them many schools, most notably the Mustansiriya school, Caliph al - Mustansir al - Abbasi and opened for teaching in 631 AH / 1233 AD.

It is well known that the Baghdad schools, especially the regular and Mustansiriyah schools, were attended by a large number of students from the countries of the Mashreq and Maghreb. Those who remained in Baghdad were influenced by the Baghdadi customs of food, drink and clothing, so that these Baghdadi schools influenced the morals of the international students who passed these customs and morals after they graduated from These schools also talk to their families in their own countries about Baghdad›s civilization and scientific progress.



القصـور والـدور والبيـوت في كتـاب معجـم البلـدان
(لياقوت الحـموي)

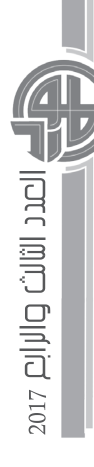
م. رشا عيسى فارس *

● المقدمة

يرى المختصون ان كتاب (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٨ـ ١٢٢٩م)، بمعلوماتـه الغزيرة عن مواقع البلدان، وما تضمه أراضيها، من مدن وقرى، إحتوت على محلات، ودروب، وأزقة، وحوانيت شـكلت أسواقاً منظمة، وما بناه قاطنوهـا من أنواع مختلفة لعمائر تعددت إسـتخداماتها ما بين دينية ومدنية، ومياه توزعت بين أنهر، وجداول، وقنوات، وبحيرات، هي بمثابة موسوعة عن إرث كان قائماً في عصرالمؤلف وما سبقه من عصور.

يضم الكتاب كذلك معلومات تاريخية وأدبية ذات قيمة، إضافة إلى أسماء حكام، وأمراء وقادة عسـكريين، ومشاهير من رحالة، وأدباء، ومحدثين، ورواة، ومؤلفين، ومؤرخين. وقد حرص الحموي على إلحاق (معجمه) بأشـعار قيلت في مناسبات عديدة، كالإشادة بشخصية ما، او وصف لمدن ومبان، قيلت هذه الأشعار خصيصاً لتخليدها.

وبذلـك عُدَّ هـذا الكتاب مرجعاً أساسـياً، لكل طالبي العلم وعـلى إختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم.



* مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

مــن بــين المواضيــع الواســعة التــي تناولهــا كتاب (معجــم البلدان)، آثرنــا إختيار البحث في القصــور والدور والمنازل المشــيدة من قبل رجال الدولة العربية الإســلامية، في بعض من البلدان، وما جاء عنها من وصف في هذا المؤلَف الجليل.

أهمية الكتاب

إنبعثــت لدى ياقوت فكــرة وضع كتاب جامع عن البلدان خــلال إقامته بمرو ومواظبته على مراجعــة مكتبتها القيمة، وحدث هذا في ســنة (٦١٥هــ/ ١٢١٨ م)، ولكــن كما ذكرنا غزو المغول إضطره إلى تركها.[١]

فإتجه صــوب الموصل، ثم حلــب وفيها عكف على إتمام مسودة كتابه (معجم البلدان) الأولى في عــام (٦٢١هــ/ ١٢٢٤م)، وبــدأ العمل في كتابه الشــهير الآخر (معجم الأدباء). وفي سنة (٦٢٤هــ/ ١٢٢٧م) زار دمشــق، وفلسطين، ومصر، ورجــع ثانية إلى حلــب ليكمل تهذيب كتابه، لكنه توفى في سنة (٦٢٦هــ / ١٢٢٩م) قبل إتمام مهمته. [٢]

تصَــدر كتاب (معجم البلــدان) مكانة عظيمة بين كتب الجغرافية والرحلات، نظراً لدســامة مادتــه أولاً، وثانياً لقلة المؤلفــات التي تبحث في الموضوع نفســه بسبب الغزو المغولي للدولة الإســلامية، وبشــكل خاص بغــداد، حيث أفل نجمها وإنتقلت شــمس الحضارة صوب حلب ودمشق، ومنها إلى القاهرة. وربما أدرك ياقوت مدى إفتقار المكتبة الإســلامية لمصنفات تُرجع لدار السلام هيبتها بعد فقدان أعداد هائلة من الكتــب إثــر الغزو المغولي في عــام (٦٥٦ هــ/ ١٢٥٨م).[٣]

ان الكتاب يتعدى كونه مولَفاً علمياً بموضوع جغرافي، فهو يعكس الوحدة بين أقطار العالم الإســلامي ابان الدولــة العباســية، فقد وصل عدد صفحاتــه المطبوعة إلى (٣٨٩٤) صفحة. بحثت مادتــه في الجغرافية الفلكية، والصفية، واللغويــة، والتاريخيــة، والرحــلات، إضافــة إلى شــموله عــلى معلومــات قيِّمة عــن الدين، والحضــارة، والأنثروبولجيــا، وعلم الأجناس، والفصائــل البشرية، والأدب الشــعبي، والأدب الفنــي، خــلال القرون الســتة الهجريــة. ولم يغفل ذكر الشــواهد الشــعرية إذ بلغ عددها، بين صغيرهــا وكبيرهــا، (٥٠٠٠)، تم تحقيق ما يقــرب مــن (٣٠٠٠) مقارنة مــع مصادر

مختلفة.[٤]

حظي كتاب (معجم البلدان) الذي وضعه ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بأهمية لدى المعنيين بالحضارة العربية الإسلامية[٥]، وصدى كبيراً لدى المؤسسات الأكاديمية الغربية بعد مدة طويلة من التعرف على الإدريسي وأبي الفدا. وكان لكتاب (تقويم البلدان) لأبي الفدا الصدارة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.[٦]

إهتمت مدرسة الإستشراق الهولندية بدراسة كتاب (معجم البلدان)، وكان من بين الباحثين غوليوس في طبعته للفرغاني (١٦٦٩)، وغرونوفيوس (١٧٠٣)، الذي لفت إليه الأنظار من خلال بحثه المعنون (نشأة وتطور فائدة الجغرافيا).[٧]

وعرفه كوهلر بعد نشره الجزء الخاص ببلاد الشام من جغرافيا إبن الوردي. يُذكر ان ذيوع صيته ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي بعد وصول مخطوطات الكتاب إلى أوربا بالتدريج. ويرجع الفضل كله إلى إثنين من علماء الشمال هما راسموين وفرين، حيث كانا أول من نقل عن الكتاب القطعة المشهورة لإبن فضلان.[٨]

سجل ياقوت الحموي كلمات تعريف بالكتاب بعد إنجازه، جاء فيها:

«أما بعد، فهذا كتاب في أسماء البلدان، والجبال، والأودية، والقرى، والمحال، والأوطان والبحار، والأنهار، والغدران، والأصنام، والأبدان، والأوثان، لم أقصد بتأليفه، وأصمدْ نفسي لتصنيفه، لهواً ولا لعباً، ولا رغبة حثتني إليه ولا رَهْباً، ولا حنيناً إستفزني إلى وطن، ولا طرباً حفزني إلى ذي ودٍّ وسَكَن، ولكن رأيتُ التصدّي له واجباً، والإنتدابَ له مع القدرة عليه فرضاً لازباً، وفقني عليه الكتاب العزيز الكريم، وهداني إليه النَّبأ العظيم....» [٩]

اولا – القصور :

القصر، هو البناء العالي المشيد المشرف، مشتق من الحبس والمنع.[١٠] والقصر من البناء هو المنزل، وكل بيت من حجر القُرشِيْة سمي بذلك لأنه تُقصر فيه الحرم، أي تُحبس، وجمعه قصور.[١١]

في بغداد، دار السلام، ومركز الأمبراطورية العربية الإسلامية، كان لابد وان تزين قصورها



الفخمة شوارع عاصمة الخلافة العباسية، إضافة إلى قصور أخرى شيدها الخلفاء المسلمون في مدن أخرى غير بغداد، جاء وصف عدد منها عند ياقوت الحموي كما يلي:

أذَنَةُ:

بفتح أوله وثانيه ونون بوزن حسَنَة. وأذِنَةُ بكسر الذال بوزن خَشِنَة، بلد من الثغور قرب المصيصة. بُنيت أذنة سنة إحدى أو إثنتين وأربعين ومائة. عسكر بها جنود خراسان بأمر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس. وفي سنة ١٦٥هـ، بنى الخليفة العباسي هارون الرشيد قصراً، قريباً من جسرها، على نهر سَيحان، في حياة أبيه المهدي. وفي سنة ١٩٣هـ بنى أبو سُلّيم فرج الخادم أذنة، وأحكم بناءها، وحصنها، وندب عليها رجالاً من أهل خراسان بامر الخليفة محمد الأمين بن الرشيد. قال إبن الفقيه: «عمرت أذنة في سنة ١٩٠هـ،على يدي أبي سُلّيم خادم تركي للرشيد ولاه الثغور».[١٢]

قصور مدينة بغداد:

ــ الأحمريَّة:

من نواحي بغداد، أقصى كورة الخالص، من الجانب الشرقي، عُمر هذا القصر في أيام الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء، في أيامنا هذه. وفي دار الخلافة موضع آخر يُقال له قصر الأحمرية.[١٣]

ــ أم حبيب:

نسبة إلى أم حبيب بنت الخليفة هارون الرشيد بن المهدي، من محال الجانب الشرقي من مدينة السلام. ويقع القصر في شارع الميدان الذي بين الشماسية وسوق الثلاثاء. أصلاً كان الرشيد قد أقطعه لعبّاد بن الخصيب، ثم إمتلكه بأكمله الفضل بن الربيع، وبعدها صار لأم حبيب في زمن خلافة المأمون، وبعدها إلى بنات الخلفاء إلى حين جُعلن في قصر المهدي بالرصافة.[١٤]

ــ التاج:

وضع أساسه الخليفة المعتضد، وأسماه بهذا الإسم لكنه لم يكمله، وأتمه المكتفي. إستخدمت الحجارة في بنائه بعد هدم القصر الأبيض الكسروي، الكائن في المدائن، ولم يتبق من قصر كسرى سوى الإيوان الذي لايزال قائماً. إستخدمت حجارة الحيطان والشرفات لإقامة مسناة قصر التاج التي إمتدت إلى وسط نهر دجلة، وحجارة أساس القصر الأبيض شُيّدت

بها شرفات وأعالي قصر التاج. وفي القصر دار عليها قبة نصف دائرية، سميت قبة الحمار، بسبب صعودهم إليها عبر مدرج على ظهر حمار. وشيدت واجهة التاج بخمسة عقود، كل عقد قائم على عشرة أساطين وخمسة أذرع من الرخام.

في عهد الخليفة المقتفي (٥٤٩هـ) وقعت صاعقة أشعلت النار في القصر والدار التي كانت القبة تقوم عليه وتحول القصر والدار إلى رماد. أعاد المقتفي بناء القبة على شكلها السابق، مستخدماً الجص والآجر، لكنه لم يكمله. وبقي كذلك حتى سنة (٥٧٤هـ)، حيث أمر المستضيء بهدمه، وشق أساس المسناة، وشيد البناء على خط مستقيم مع مسناة القصر.[١٥]

ـــ الحَريمُ:

بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وميم. وأصله من حريم البئر وهو ما حولها من حقوقها ومرافقها، ولم يلبث ان إتسع، فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم.

وبذلك سمي حريم دار الخلافة ببغداد. وهو بحوالي ثلث بغداد، قائم في وسطها، تحيط به دور العامة، محاط بسور يبدأ وينتهي عند نهر دجلة على هيئة نصف دائرة، بأبواب: باب الغَرَبة من جهة الغرب قريبة من النهر. وباب سوق التمر، شاهق البناء، أغلق في بداية عهد الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء، حتى هذا الوقت. وباب البدّرية، وباب النوبي، وعنده باب العتبة الذي يستقبل الزوار من الرسل والملوك القادمين إلى بغداد. وهناك باب العامة، وهو باب عمورية، ويمتد السور إلى نحو ميل دون ان تكون فيه باب إلا باب بستان قرب منظرة تُنحر عندها الضحايا. وباب المراتب الذي يقع في الجهة الشرقية من قصر الحريم، والمسافة بينه وبين دجلة غَلْوتا سهم. وتطلق تسمية الحريم على كل مايشمله السور مندور العامة، ومحالها، وجامع القصرالذي تقام فيه صلاة الجمعة. ويفصل الحريم الذي فيه دور العامة ودور الخلافة والبساتين سور آخر. على نحو مدينة كبيرة.[١٦]

ـــ الحريم الطّاهريّ:

يقع بأعلى مدينة السلام بالجانب الغربي. نسب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زُريق، وبه منازلهم وكان آمناً من يلجأ إليه

ولذلك سمي بالحريم. كان الطاهر بن الحسين ذا شهرة واسعة ومنزلة رفيعة، فقد كان شاعراً، جواداً، شجاعاً، وهو أول من جعل هذا المكان حريماً، له شرطة بغداد، ووالٍ على خراسان وطبرستان والشام ومصر.

كان الحريم قصره ببغداد، يقع وسط عمارات تحيط به. وقول الحموي: «وأما الآن فقد خرب جميع ما حوله، وبقي كالبلدة المفردة في وسط الخراب». كان يشمل قصراً ودوراً، متصل بشارع دار الرقيق، قسم منه عامر، وفيه أسواق، وله سور.[١٧]

ـــ الخُلْد:

بضم أوله وتسكين ثانيه. بناه الخليفة المنصور بعد إستكماله بناء مدينة بغداد سنة (١٥٩هـ)، يقع على دجلة، اليوم هو المارستان العضدي، أو كان قصر الخلد في جنوبه. بنيت حول القصر منازل نشأت منها محلة كبيرة، سميت بالإسم ذاته.

موضع القصر كان أصلاً ديراً قديماً يسكن فيه راهب، إتخذ المنصور هذا الموضع بسبب كثرة البق، وإختار إسم الخلد لكونه إسماً من أسماء الجنة، وأصله من الخلود أي البقاء في دار لايخرج منها.[١٨]

ـــ الذهب:

إسم قصر بناه المنصور في مدينة بغداد.[١٩]

ـــ الطين:

بكسر الطاء وآخره. أحد قصور بغداد ، بناه يحيى بن خالد بباب الشماسية.[٢٠]

ـــ عيسى:

أول قصر بناه الهاشميون في مدينة بغداد في زمن المنصور. منسوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس يقع على شاطىء مصب نهر الرُّفَيل في دجلة. وهو اليوم وسط بقعة معمورة من الجانب الغربي، ولا أثر له الآن. ولكن محلة كبيرة ذات أسواق تسمى سوق عيسى. طلب عيسى من المنصور خلال زيارة له ان يهبه القصر وقال: «ان الناس سيقولون انه أخرج عمه من قصره، فليأمر لي أمير المؤمنين بفضاء يسعني ويسعهم، أضرب فيه مضارب وخياماً، أنقلهم إليها إلى أن أبني لهم ما يواريهم،»، فتنازل المنصورعن طلبه[٢١]

ـــ ميدان خالص:

بقصر الخلافة ببغداد.[٢٢]

ـــ الوضاح:

قصر للخليفة المهدي، يقع قرب رصافة بغداد. بناه رجل يسمى وضاح من أهل الأنبار على نفقته. وقيل الوضاح واحد من موالي المنصور. ويروى ان المنصور أوكل بناء الكرخ إلى الوضاح بن شبا، فكان القصر والمسجد من بين مباني الكرخ.[٢٣]

قصور مدينة سامراء:

عاصمة الخلفاء العباسيين الثانية، ومقر عدد منهم بعد تركهم لمدينة بغداد وإنتقالهم إلى عاصمة جديدة فكان لابد وان تزينها قصور فخمة للخلفاء والأمراء ورجال الدولة، فإشتملت على:

ـــ أبا الجند:

بناه الرشيد على ضفة نهر القاطول، وأسماه بهذا الإسم لكثرة ما كان يسقي من الأرضين، وخصصه لأرزاق جنده. وقيل بني بسامرا قصراً أعطاه إلى مولى له تركي يدعى أشناس، ثم إنتقل إلى سامراء، ونقل معه الناس.[٢٤]

ـــ الأحْمَديَّ:

إسم قصر في سامراء عمره أبو العباس أحمد المعتمد على الله بن المتوكل فسمي بإسمه. وعن بعض أهل الأدب قولهم: اجتزت بسامراء فرأيت على جدار من جدران القصر الأحْمَديّ مكتوباً[٢٥]:

فِي الأحْمَديَّ لِمَنْ يأتِيهِ مُعْتَبر
لَمْ يَبْقَ مِنْ حُسْنِهِ عَينٌ و لا أثَرُ
غَارَتْ كَواكَبَهُ وإنهَدَّ جَانبُه
وماتَ صَاحِبهُ وإسْتفْظَعَ الخَبَرُ

ـــ الجَصَّ:

قصر عظيم قرب سامراء ، فوق الهاروني، بناه الخليفة المعتصم للنزهة.[٢٦]

ـــ الجَعْفَري:

بناه الخليفة المتوكل على الله، يقع بموضع يسمى الماخورة بالقرب من سامراء، إستحدثت عنده مدينة، وإنتقل إليها المتوكل، وأقطع فيها لقّوادهِ، فصارت أكبر من سامراء. بلغت كلفة بنائه عشرة آلاف درهم، وفي القصر نفسه قتل المتوكل في عام (٢٤٧هـ).

في رواية، ان المتوكل بنى قصر الجعفري في (٢٤٥هـ)، ووصلت نفقته ألفي ألف دينار. تولى الإشراف على عمارته دليل بن يعقوب النصراني، كاتب بُغَّا الشرابي.

جاء عن ياقوت: «قلت وهو الذي ذكره إبن

عبدوس أضعاف مــا تقدم لأن الدراهم في أيام المتــوكل كانــت، كل خمســة وعشريــن درهماً بدينار، فيكون من ألفي ألف دينار خمســون ألف ألف درهم».

يذكــر ان المتــوكل حين عوم على تشــييد قصر الجَعْفَريّ، ســأل أحمد إبن إسرائيل أن يسمي له رجلاً يتقلد المستغلات في القصر قبل البناء، وإخــراج فضــول مابنــاه الناس مــن المنازل، فسُــمي له أبــو الخطاب الحســن بــن محمد الكاتــب. ولما إنتقل المتــوكل إلى القصر الجديد إنتقل معه من ســامراء خلق كثير حتى كادت أن تخلو.[٢٧]

ـــ الشاه والعروس:

قــصران عظيمان، بناحية ســامرا، بلغت كلفة الشــاه عشريــن ألف ألــف درهــم، والعروس ثلاثــين ألف ألــف درهم، نقضهما المســتعين، ووهب نقضهما للوزير أحمد بن الخصيب.[٢٨]

ـــ شِبْداز:

بكسر أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وآخره زاي. ويقــال أيضاً شــبديز باليــاء المثناة من تحت.

موضعــان أحدهما قصر عظيم بناه المتوكل في سر من رأى.[٢٩]

ـــ كَرّخُ سامَرْا:

سمي بكرخ فيروز نسبة إلى فيروز بن بلاش بن قباذ الملك. أقدم بناءً من ســامرا، إتصل بأبنية سامرا عند إنشائها، لايزال عامراً إلى الآن. كان الأتــراك الشّــبْلِية ينزلونه أيــام المعتصم، وبه قصر أشناس التركي مولى المعتصم، وهو مقام على أرض مدينة قديمة.[٣٠]

ـــ المخْتَار:

مــن أبنية المتــوكل بســامرا. قال إبــن المنجم: «أخذ الواثق بيدي يومــاً وجعل يطوف الأبنية بســامراء، ليختار منها بيتاً يــشرب فيه، فلما إنتهى إلى البيت المعروف بالمختار إستحســنه وجعــل يتأمله، وقال لي: هل رأيت أحســن من هــذا البناء؟، فقلــت: يمتع الله أمــير المؤمنين، وتكلمت بما حضرني، وكانت به صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان، وأحسنها صورة شــهّار البيعــة، فأمر بفــرش الموضع، وإصلاح المجلــس، وحضر الندمــاء والمغنون، وأخذنا في الشرب، فلمــا إنتشى في الشرب، أخذ سكيناً لطيفاً وكتب أشعاراً على حائط البيت».[٣١]

ـــ المَعْشُوق:

المفعـول من العشـق، قـصر عظيـم بالجانب الغربـي مـن دجلة، قبالة سـامرا، وفي وسـط البرية، لايـزال قائماً إلى الآن بمفرده، يسـكنه فلاحـون، متـين البنـاء. بالقرب منـه قصور كثـيرة، عمـره المعتمـد عـلى اللـه، إضافة إلى تعميره لآخر يسمى الأحمدي لكنه خرب.(٣٢)

ـــ الهاروني:

منســوب إلى الخليفــة العباسي هــارون الواثق باللــه، يقــع على دجلــة، المســافة بينــه وبين سامرا ميل، بإزائه بالجانب الغربي يقع قصر المعشوق.(٣٣)

قصور مدينة مكة :

ـــ سُقَر:

بفتح أوله وثانيه، سـقرات الشـمس، شـدتها وحرها، وهو جبـل بمكة، مشرف على الموضع الذي شيد عليه القصر.(٣٤)

ـــ لُوَيَّةُ:

ربما تصغير ليّة من لوى يلوي، موضع بالغور، قرب مكة دون بسـتان عامـر، في طريق حاج الكوفة كان قفراً، فلما حج الرشـيد إستحستن الموضـع، وأمـر ببنـاء قصر، وغـرس نخلاً في حيف الجبل وسماه خيف السلام.(٣٥)

قصور مدينة الكوفة :

ـــ إبن هُبيرة:

منســوب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة إبن مُعَيّة. ولاه العــراق الخليفة مروان بــن محمد، فبنى مدينة على الفـرات بالكوفة، ونزلها ولم يكمل بناءهــا بعد، وتركها بعد ان كتـب إليه مروان بعـدم مجـاورة أهـل الكوفـة. وبنــى قصره بالقـرب من جسر سُـورا، فلما حكم السـفاح نزله، وأتم تسـقيف مقاصـيره، وزاد في بنائه، وسماه الهاشمية.(٣٦)

ـــ أبي الخصيب:

نسـبة إلى أبــي الخصيـب بـن ورقــاء، مــولى المنصـور، وأحد حجابه. يقـع بظاهر الكوفة، قريباً من قصر السدير، بينهما أديرة لأساقفة، كان أحـد المتنزهـات، يـشرف عـلى النجـف، يُصعد من أسـفله بخمســين درجة تُفضي إلى سطح مبنى آخر أفيح في غاية الحسن وعجيب الصنعة.(٣٧)

ـــ العَدَسيين:

جمـع العـدسي، الـذي يطبخ العـدس. قصر بالكوفـة من طرف الحيرة، لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عامر

بن عوف الكلبي.[٣٨]

قصور مدينة البصرة:

ـــ أنس:

نسب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).[٣٩]

ـــ أوسْ:

منسوب إلى أوس بن ثعلبة إبن زُفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة. وكان سيد قومه ولي خراسان في العهد الأموي.[٤٠]

ـــ أمُّ حبيب:

منسوب لأم حبيب بنت زياد، أقطعها إياه، وكان عليه قصر يسمى هزاردر، كثير الأبواب.[٤١]

ـــ إبن عفان:

كتب الخليفة عثمان بن عفان (رض) إلى عبدالله بن عامر ان يتخذ داراً، ينزل بها القادمون من القبائل في المدينة، والقادمون من مواليهم. فإتخذ عبدالله بن عامر هذا القصر وقصر رملة، جاعلاً بينهما فضاء خصص لدوابهم وإبلهم.[٤٢]

ـــ بنو خَلَف:

نسب إلى خلف آل طلحة الطلحات بن عبدالله بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جَعْثَمة بن سعد بن مليح ابن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة. [٤٣]

ـــ عِسلْ:

بكسر العين والسكون وآخره لام. وهو قصر بالبصرة.[٤٤]

ـــ نَواضَح:

في بادية البصرة، على يوم من دجلة. [٤٥]

ـــ الغَضْبان:

بلفظ ضد الراخي، في ظاهر البصرة.[٤٦]

ـــ الصِّلْحُ:

بالكسر ثم السكون والحاء المهملة. كورة فوق واسط، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى فَمَ الصِّلْح، كانت فيها منازل الحسن ابن سهل، وكان له فيها منازل وقصور لايعرف لها مكان.[٤٧]

الحيرة

ـــ الأبيض:

من قصور الحيرة، كان بالرقة، ربما كان من أبنية الرشيد، على جدرانه كتابة تقول: حضر عبدالله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسي وغيبتُ بين الأسماء إسمي في سنة ٣٠٥هـ.[٤٨]

ـــ **سِنْدَاد:**

بكسر أوله وسكون ثانيه وتكرير الدال المهملة. قــصر بالعُذيــب. ذكر إبــن الكلبي ان سِــنْدَاد كانــت تنزل فيها إيــاد. وسِــنْدَاد نهر فيما بين الحيرة والابلة، وكان قصراً تحج العرب إليه.(٤٩)

ـــ **الطِينُ:**

بكسر الطاء وآخره نون، من قصور الحيرة.(٥٠)

ـــ **الفِرْسُ:**

بالكــسر ثم الســكون وآخره ســين مهملة، في لغــة العرب نوع من النبــات، وهو أحد قصور الحيرة الأربع.(٥١)

ـــ **لَحْيانُ:**

بفتح أوله ثم السكون تثنية لحي العظم الذي يكون فيه الأسنان، وهو أبيض النعمان، قصر له بالحيرة.(٥٢)

ـــ **الخَوَرْنَقُ:**

بفتــح أوله وثانيه وراء ســاكنة ونون مفتوحة وآخــره قــاف. قــصر بظاهر الحــيرة، اختلف في بانيــه، فقــد نُســب إلى النعمــان بــن امرئ القيــس بن عمرو، بناه رجل من الروم إســمه ســنمّار، إســتغرق في إســتكماله ســتين سنة، وقال للنعمان: إني أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله. فقذف به النعمان من أعلى القصر.(٥٣)

ـــ **السَّدِيرُ:**

بفتح أوله وكسر ثانيــه ثم ياء مثناة من تحت وآخــره راء معــرب. قيل انه نهــر وقيل قصر، أصله بالفارسية (سِه دِلَه)، ومعناها فيه قباب مداخلــة مثل مــا الكُمَّيِن. وقال إبن الســكيت: قال الأصمعي: السدير فارسية، أصله سه دلَ، أي قبــة فيها ثلاث قبــاب متداخلة. وهو الذي تســميه الناس اليوم ســدلىِّ فعرب إلى ســدير. قال أبو عمرو بن العلاء: الســدير هو العشب. وقــال أبــو حاتم: ســمعت أبــا عبيــدة يقول: السَّــدلَّى، أي له ثلاثة أبواب. وقيل سمي كذلك لكثرة سواده وشجره. ويقال: إني لأرى سدير نخل، أي ســواده وكثرته. وقــال الكلبي: إنما سمي الســدير لأن العرب حيث أقبلوا ونظروا إلى ســواد النخــل ســدرت فيه أعينهم بســواد النخل، فقالوا ما هذا إلا سدير.

والســدير، موضع معروف بالحيرة، وقيل انه قصر قريب مــن الخورنق، كان النعمان الأكبر إتخــذه لبعــض ملــوك العجــم.(٥٤)

قصور مدينة الموصل :



ـــ الرَفِيفُ:

بفتح الراء وكسر الفاء وياء ساكنة. قصر كان في أول العراق، من ناحية الموصل، لم يكن أحد يحوزه إلا بخاتم المتوكل.[٥٥]

ـــ العبَّاس:

نسـبة إلى العباس بن عمرو الغنوي، كان أميراً شـهيراً في عهـد الخليفـة المقتدربالله. وتولى الأعمال في مصر في وزارة إبن الفرات، وأنفذ في أيام المعتضد.

يروى ان معتمد الدولة كان بصحبة أبي المنيع قرواش بن المقلّد بين سـنجار ونصيبين، ونزل قـصر العباس، ورأى اشـعاراً كتبهـا المارون بالقصر عـلى جدرانه. منها كتابـة مؤرخة بـ (٣٣١هـ) بخط يد علي بن عبدالله بن حمدان (المعروف بسـيف الدولـة)، وأخـرى بتاريخ (٣٦٢هــ) خطّها الغضنفري بن الحسـن بن عبدالله بن حمدان، وهو ناصر الدولة إبن أخي سـيف الدولة. وثالثة كتبها المقلد بن المسـيب بـن رافـع، والد قرواش بـن المقلد أحـد أمراء بني عقيل، مؤرخـة (٣٨٨هـ)، وأخرى كانت لقراوش بن المقلد بتاريخ (٤٠١هـ).[٥٦]

قصور كربلاء :

ـــ مُقاتل:

قـصر كان يقع بـين عين التمر والشـام، قرب القثطْقُطانة وسُـلام، ثم القُرَيّات. منسوب إلى مقاتل بن حسن بن ثعلبة، خربه عيسى بن علي بن عبد الله، وجدد عمارته وأصبح له.[٥٧]

قصور الشام :

ـــ بِطْياسُ:

بكـسر الياء وسـكون الطاء ويـاء. أجمع أهل حلـب على ان بِطْيـاس قرية من باب حلب بين النَّـيْرَبَ وبابليٍّ، بها قصر منسـوب إلى علي بن عبدالملـك بـن صالح أمـير حلب. وقـد خربت القرية والقصر.[٥٨]

ـــ أمُّ حكيم:

بمرج الصَّفَّر من أرض دمشـق، منسـوب إلى أم حكيم بنـت يحيى، وقيل بنت يوسـف ابن يحيى بـن الحكم بـن العاص بن أميـة، أمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. كانت زوجة عبدالعزيز بن الوليد بن عبد الملك، فطلقها وتزوجها هشـام بن عبد الملك، فولدت له يزيد بن هشام. ونسب إليها سوق أم حكيم بدمشق، وهو سوق القلائين.[٥٩]

ـــ نَاعُورةُ:

بلفظ ناعورة الدولاب، موضع بين حلب وبالس، بينه وبين حلب ثمانية أميال، فيه قصرمن الحجارة لمسلمة بن عبدالملك.(٦٠)

ـــ سَلام :

قصر السلام في مدينة الرقة بأرض الشام بناه الخليفة هارون الرشيد. (٦١)

ـــ الحَقْو:

بالفتح ثم السكون، الحقو هو الإزار، قصر خرب يقع قرب العقبة. (٦٢)

ـــ حُمْران:

بالضم، قصر يقع في البادية، بين العقبة والبقاع، قرب الجادة.(٦٣)

قصور مصر:

ـــ حَوْراء:

بالفتح والمد، الحور أن تسود العين كلها، مثل أعين الضباع والقر، وليس في بني ادم حَوَّر. والحوراء مرفأ سفن في مصر إلى المدينة، وقد خبرني من رآها في سنة (٦٢٦هـ) ان بها ماء مالحة، وبها قصر مشيد من عظام الجمال.(٦٤)

ـــ القَصْرَان:

تثنية القصر، قصران في مدينة القاهرة، سكن فيهما ملوك نسبوا إلى العلوية وإنقرضوا. عظيما البناء، يقعان عن يمين السوق وشماله. نسب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصري، إشتهر بالشام بشجاعته وعلو شأنه، مملوك أصله من الإفرنج، ظهرت شجاعته في حرب مماليك صلاح الدين، ومات بحلب سنة (٦١٦هـ). (٦٥)

ـــ الشَّمع:

بلفظ الشمع الذي يستنضج به، كان في موضع الفسطاط قبل فتح المسلمين لمصر. ويروى انه من بناء الفرس بعد ان إشتد الصدام مع الروم، وملكوا بعدها بلاد الشام ومصر فبنوا قصراً في هذا الموضع، الحق به هيكل لبيت النار لكنه لم يستكمل، وأكملت الروم بناءه من بعدهم وجعلوا منه حصناً محكم التحصين. وآلت ملكيته، بعد فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص، إلى المسلمين، وصار بيت الناراليوم قبة تُعرف بقبة الدخان، تحته مسجد معلق أحدثه المسلمون، والقصر نفسه يسمى أيضاً ببابليون.(٦٦)

ـــ المُعز:

قصر في موضعه اليوم بالقاهرة، بناه جوهرغلام المعز أبو تميم معد بن إسماعيل

الملقب بالقائم بن عبدالله ، لمولاه.[٦٧]

ثانيا - **الدور:**

الـدار بمفهومـه اللغوي يعني المحـل بجميع البنـاء والعرصة، من دار يـدور لكثرة حركة النـاس فيهـا، وكل موضع حل فيـه قوم فهو دارهم. والدنيا دار الفنـاء، والآخرة دار البقاء والقرار.

وقيـل الدارة أخـص من الدار، وقـد تذكر أي بالتأويـل كمـا في قولـه تعـالى: «وَلَنِعْـمَ دَار الْمُتَقِين»، فإنه على معنى المثوى والموضع، كما قال عزوجل: «نعْمَ الثَوَاب وَ حَسنَتْ مرْتَفِقَا».[٦٨]

ـــ التاج:

دار خلافـة مشـهورة جليلة في بغـداد، وضع أساسه وسماه التاج الخليفة العباسي المعتضد، ولم يُكمل بناءه، وأتمه إبنه الخليفة المكتفي.

أول بنـاء في الموضع نفسـه كان قصراً لجعفر بـن يحيى بـن بهمك، عـلى الجانـب الشرقي لدجلة. ويرجع سبب إختيار المكان المنعزل ان جعفراً كان شـغوفاً بالشراب والغناء والتهتك، فنهاه أبوه قائلاً: «إن كنت لاتستطيع الإستتار فإتخذ لنفسـك قصراً في الجانب الشرقي، وهو موضع دار الخلافة المعظمة اليوم...». وبُذلت على تشـييد القصر أموالٌ، وإستحسنه الجميع إلا مؤنس بـن عمران وقال: «أسـألك بالله إن مررت السـاعة بدار بعض اصحابك وهي خير مـن دارك هذه ما كنت صانعاً؟. أجابه جعفر: حسبك فقد فهمت فما رأيك؟، أجابه مؤنس: إذا صرت إلى أمير المؤمنين وسألك عن تأخرك فقل سرت إلى القـصر الذي بنيته لمـولاي المأمون».

وقـضى جعفر بقية يومه في قصره، ولما سـأله الخليفة الرشـيد عن سـبب تأخره، أخبره انه كان في القصر الذي بناه للمأمون، وسـأله عن ذلـك فاجابه ان المأمون وضـع في حجره، وان هواء المكان سـيعمل على صفاء ذهنه ويصلح مزاجه.

إنتقـل إليـه المأمون بعـد افول نجـم جعفر، وجعـل فيه ميداناً للخيل واللعب بالصولجان، وحيراً للوحوش، وفتح بابـاً بالجانب الشرقي إلى جانب البرية، وأجرى له نهراً من نهر المُعَّلى، بنى إلى جانبه دوراً للخاصة من حاشيته سميت المأمونية، هي الآن الشـارع الأعظم بين عقدي المصطنـع والزرادين، جعله للفضل والحسـن ابني سـهل. ونزل عام (١٩٨هـــ)، في القصر وكان يعرف بالمأمونـي. عند قدوم المأمون إلى

بغداد سـنة (٢٠٣هـ) نزل في قصور الخلافة بالخلد، ووهب القصر للحسـن بن سـهل والد زوجته بوران، وتحول إسم القصر إلى الحسني نسـبة إليه، ثم آلت ملكيتـه بعد موته إلى إبنته بوران.

اصبـح الخليفة المعتمد عـلى الله المالك الجديد للقـصر، بعـد ان دفـع تعويضاً لبـوران، ولم تنتقـل منه إلا بعد إصلاحه، وفرشـه بالفرش المذهبـة، والنمـارق المقصبة، زخرفـت أبوابه بالسـتور، ومـلأت خزائنـه بالطـرف. وكان المعتمد ينتقـل للعيش بينه وبين سر من رأى. وتـولاه الخليفة المعتضـد بالله، مضيفـاً إليه منازل وسـوراً وميداناً، وبدأ العمل فيه بشـق الأسـس، وعنـد عـودة الخليفة من آمـد رأى دخانـاً يتصاعد منه فكرهـه، وإبتنى آخر على بعد ميلين منه أسماه الثريا، أوصله بالحستي بممشى تحته لحريمه، وبقـي قائماً حتى أول غرق حصل ببغداد.

في(٢٨٩هـ) أتم المكتفي بناء التاج مسـتخدماً آجـر قصر كسرى في المدائن، وقد أوكل عمارته إلى أبـي عبدالله الفقري. وبنيـت حوله الدور والأبنية، منها قبة الحمار.[٦٩] يذكر ان هذا النص مشابه لما أورده ياقوت عند الكلام على قصر التاج.[٧٠]

ـــ الثُّريا:

بلفـظ النجم الـذي في السـماء، والماء الثري عـلى فعيل، هو الكثـير. والثُّريـا أبنية بناها المعتضـد قـرب التـاج، القـصر الحسـني، بينهما ميلان، يربط بينهما سردابٌ أسفلهما لتنقـل حريمـه.[٧١]

ـــ الخَيل:

مـن دور الخلافة المعظمـة، رحبة الأرجاء، لها صحن واسـع قياسـه ألف ذراع في ألف ذراع، يستخدم في الأعياد وعند قدوم الرسل والملوك، في كل جانب من الدار خمسمائة فرس بالمراكب المذهبة والمفضضة، كل فرس بيد شاكري.[٧٢]

ـــ الروم:

بلصق محلة أبي حنيفة. [٧٣]

ـــ الرَّيحانيين:

مـن دور الخلافـة ببغداد، تشرف على سـوق الريحان، إسـتجدها الخليفة المسـتظهر بالله ابـن المقتدي، بعد ان نقـض دار خاتون بباب الغربة، ودار السيدة بنت المقتدي. وبالرياحيين سوق للسَّفطيين (سـماكين) فنقضه وأضافه

إليـه. وكان فيه إثنان وعـشرون دكاناً، وخانٌ يعرف بخانُ عاصم، إضافة إلى ثلاثة وعشرين دكانـاً آخر مـن ورائه. وكذلـك ثلاثة وأربعين دكاناً في سـوق العطارين، وسـتة عشر دكاناً فيها مُـدّاد الذهب، وعدة آدر مـن دار الحرم، كلها جُعلت داراً واحدة، بوجوه أربعة متقابلة، طول صحنها سـتمائة ذراع، وسطها بستان، وأكثـر مـن سـتين حجـرة ينتهـي آخرها إلى بـاب يُعرف بـدر كاه خاتون من بـاب الحرم قرب بـاب النوبي. بدء العمل ببنائها في سـنة (٥٠٣هـ) وفرغ منها في سنة (٥٠٧هـ).[٧٤]

ـــ سوق التمر:

تقع قـرب باب الغربـة من مشرعـة الابْريين، بباب شاهق العلو، سد الآن. وتعرف الدار بدار القُطنية.[٧٥]

ـــ الشجرة:

بالـدار المعظميـة الخليفية ببغـداد، من أبنية المقتدر، فسـيحة، ذات بسـاتين. سميت كذلك لوجـود شـجرة مـن الذهـب والفضـة فيها، وثمانيـة عشر غصنـاً بفروع عديـدة، تحمل ثماراً مصنوعة من الجواهر الثمينة، تقف على أغصانها أنواع من الطيور من الذهب والفضة، إذا هب الهواء تطلق أنواعاً من الصفير والهدير. في جانـب الدار، على يمين البركة خمسـة عشر تمثـالاً لفرسـان، ومثلهـم على يسـار البركة مرتديـن الحريـر الفاخـر، متقلدين سـيوفاً، ويحملون المطارد، ويتحركون على خط واحد، حتى يُظن ان كل منهم يقصد الآخر.[٧٦]

ـــ الطَّواويس:

دار خلافـة معظـم، من أبنيـة الخليفة المطيع لله[٧٧]

ـــ دار عبد الله بن محمد المَعْبَدِيّ:

بالجانـب الغربي من بغـداد، يملكها عبد الله بن محمـد المَعْبَدِيّ، قريبة من قنطرة المعبدي. ملكها فيما بعد محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق، صيرها بستاناً، ثم آلت إلى غيره.[٧٨]

ـــ دار عُمارة:

داران مختلفـان بموضعين ببغـداد. الأول، في شارع المخَّرم من الجانب الشرقي، منسوبة إلى عُمـارة بن أبي الخصيب، مولى رَوح بن حاتم، وقيل مولى المنصـور، وكان أبو الخصيب أحد حجابه.

الثانيـة، تقع بالجانـب الغربي، منسـوبة إلى عُمارة بن حمـزة، مولى المنصور، وهو من ولد

أبي لبابة، مولى النبي (صلى الله عليه وسلم). وهي إقطاع من المنصور، كانت قبل بنائها بستاناً لبعض ملوك الفرس، يتصل بها ربض أبي حنيفة، ثم ربض عثمان بن نهيك، وهو بين دار عمارة ومقابر قريش.(٧٩)

ـــ دار مُعز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه: في محلة الشماسية في أعلى بغداد، فرغ من بنائها سنة (٣٠٥هـ)، وأنفق عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم، بقي منها المسناة.(٨٠)

ـــ ودارأخرى ببغداد تقع في محلة المَخَرّم في الرصافة من جانب، ونهر المُعَلَّى من جانب آخر، كان يسكنها السلاطين البويهيون والسلاجقة(٨١)

سامراء

ـــ الغَرْدُ:

بسكون الراء، بناه المتوكل بسر من رأى على دجلة، وكانت كلفته ألف ألف درهم. يقول الحموي: «ولم يصح لي ضبطه وما أظنه إلا الفرد (بالفاء)». (٨٢)

ـــ الفيل:

دار تقع بالقرب من باب الخاصة، على الباب منظرة تشرف على أرض واسعة من ضمنها هذه الدار. وهي وقف على أبي بكر عبد العزيز بن جعفر، الزاهد المعروف بغلام الغلاّل. (٨٣)

ـــ القائم:

دار من أبنية المتوكل بسامراء.(٨٤)

ـــ المُثَمَنَة:

تقع بدار الخلافة من عمارة المطيع لله. (٨٥)

ـــ المُرَبَعَة:

تقع بدار الخلافة من عمارة المطيع لله. (٨٦)

الحيرة

ـــ الزوراء:

تأنيث الأزور، وهو المائل، والإزورار من الشيء العدول عنه والإنحراف. دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، وقيل ان أبا جعفر المنصور نقضها.(٨٧)

مصر

ـــ **دار الزبير بن العوام**، تقع قرب جامع عمرو بن العاص، أضيفت إلى مبنى الجامع بعد توسيعه في عهد الخليفة أبو العباس السفاح سنة (١٣٣هـ)، من قبل والي مصر صالح بن علي(٨٨)

مكة

ـــ القوارير:

يملكها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف، ثم آلت إلى العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب، ثم لأم جعفر زبيدة بنت أبي الفضل بن المنصور، وكانت قد إستعملت القوارير في بنائها فسميت بهذا الإسم. بناها حماد البربري قريباً من خلافة الرشيد، وألحق بها بئراً جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.(٨٩)

يضاف إلى هذه الدور، كانت أخرى قائمة، شيدها الخلفاء العباسيون في أماكن متفرقة، إتخذوها دوراً لسكنهم أو لسكن خواصهم مثل:

ـــ سِيرْوان:

بكسر أوله، وآخره نون، يقع في الري، موضع إعتاد المهدي النزول فيه في حياة المنصور، حين يوجهه إلى خراسان، بنى فيها المهدي مباني لاتزال آثارها باقية إلى الآن، وفيها ولد الهادي سنة ست وأربعين.(٩٠)

ـــ فارع:

الفارع، المرتفع العالي، إسم أُطُم، وهو حصن بالمدينة، واليوم دار لجعفر بن يحيى.(٩١)

ـــ كرّخُ جُدّان:

بليدة في آخر ولاية العراق بنواح خانقين عن بعد، وهو الحد من ولاية شهرزور والعراق. وإلى هذا الكرخ ينسب الشيخ معروف الكرخي ابن الفيرزان أبو محفوظ، وأخوه عيسى بن الفيرزان، وبيته معروف يزار إلى الآن، ورواية أخرى تقول أنه من كرخ بغداد.(٩٢)

الهوامش

(١) كراتشكوفسكي، القسم الأول، ص٣٣٩.
(٢) قنديل، المصدر السابق، ص٤٣٦.
(٣) كراتشكوفسكي،المصدر السابق، القسم الأول، ص ٣٣٢.
(٤)المصدر نفسه.
(٥) إلهي، ر. م. ن.، ياقوت الحموي البغدادي ــ حياته، مؤلفاته، ترجمة يوسف داود عبدالقادر، (بغداد، ١٨٣٨هـ / ١٩٧٨م)، مجلة المورد، المجلد٧، العدد١، ص١٢.
(٦) كراتشكوفسكي، المصدر السابق، القسم الأول، ص٣٣٢.
(٧)المصدر نفسه.
(٨)المصدر نفسه.
(٩) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الحموي(ت.٦٢٦هـــ)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت،١٩٧٧)، ج١، ص٧.
(١٠) الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٥٤.
(١١) إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان

العرب (ت.٧١١هـ)، (بيروت، ب.ت.)، ج٥، ص١٠٠.
(١٢) الحموي، المصدر السابق، ج١، ص١٣١ـ١٣٢.
(١٣) المصدر نفسه، م٣، ص ٣٥٥.
(١٤) المصدر نفسه،.
(١٥) المصدر نفسه، م٢، ص ٤ـ٥.
(١٦) المصدر نفسه، م٢، ص٢٥٠ـ٢٥١.
(١٧) المصدر نفسه، م٢، ص٢٥١.
(١٨) المصدر نفسه، م٢، ص٣٨٢.
(١٩) المصدر نفسه، م١، ص٤٥٩.
(٢٠) المصدر السابق، م٤، ص٣٥٩.
(٢١) المصدر السابق، م٤، ص٣٦١.
(٢٢) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٤.
(٢٣) المصدر نفسه.
(٢٤) المصدر نفسه، م٤، ص٢٩٧.
(٢٥) المصدر نفسه، م١، ص١١٧.
(٢٦) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٦.
(٢٧) المصدر نفسه، م٢، ص١٤٣.
(٢٨) المصدر نفسه، م٣، ص٣١٦.
(٢٩) المصدر نفسه، م٣، ص٣١٩.
(٣٠) المصدر نفسه، م٤، ص٤٤٩.
(٣١) المصدر نفسه، م٥، ص٧٠.
(٣٢) المصدر نفسه، م٥، ص١٥٦ـ١٥٧.
(٣٣) المصدر نفسه، م٥، ص٣٨٨.
(٣٤) المصدر نفسه، م٣، ص٢٢٦.
(٣٥) المصدر نفسه، م٥، ص٢٦ـ٢٧.
(٣٦) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٥.
(٣٧) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٤.
(٣٨) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٠.
(٣٩) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٦.
(٤٠) المصدر نفسه.
(٤١) المصدر نفسه، م٥، ص١٣٧.
(٤٢) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٥.
(٤٣) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٦.
(٤٤) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦١.
(٤٥) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٤.
(٤٦) المصدر نفسه، م٤، ص٢٠٦.
(٤٧) المصدر نفسه، م٣، ص٤٢١.
(٤٨) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٤.
(٤٩) المصدر نفسه، م٣، ص٢٦٦.
(٥٠) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٩.
(٥١) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٢.
(٥٢) المصدر نفسه، م٥، ص١٥.
(٥٣) المصدر نفسه، م٢، ص٤٩.
(٥٤) المصدر نفسه، م٣، ص٢٠١.
(٥٥) المصدر نفسه، م٣، ص٥٥.
(٥٦) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٩ـ٣٦٠.
(٥٧) المصدر نفسه، م٤، ص٣٦٤.
(٥٨) المصدر نفسه، م١، ص٤٥٠.
(٥٩) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٥.
(٦٠) المصدر نفسه، م٥، ص٢٣٥.
(٦١) المصدر نفسه، م٣، ص٢٣٣ـ٢٣٤.
(٦٢) المصدر نفسه، م٢، ص٢٧٩.
(٦٣) المصدر نفسه، م٢، ص٣٠١.
(٦٤) المصدر نفسه، م٢، ص٣١٦.
(٦٥) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٤.
(٦٦) المصدر نفسه، م٤، ص٣٥٨.
(٦٧) المصدر نفسه، م٤، ص٣٠١.
(٦٨) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (القاهرة،١٣٠٦هـ)، ج٣، ص٢١٢.
(٦٩) الحموي، المصدر السابق، م٢، ص٣ـ٥.
(٧٠) المصدر نفسه، م٢، ص٤ـ٥.
(٧١) المصدر نفسه، م٢، ص٢٢.
(٧٢) المصدر نفسه، م٢، ص٤١٩.
(٧٣) المصدر نفسه، م٣، ص٤٦.
(٧٤) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢٠.
(٧٥) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢١.

(٧٦) المصدر نفسه.
(٧٧) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢٢.
(٧٨) المصدر نفسه، م٤، ص٤٠٧.
(٧٩) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢٢.
(٨٠) المصدر نفسه، م٣، ص٣٦١.
(٨١) المصدر نفسه، م٥، ص٧١.
(٨٢) المصدر نفسه، م٤، ص١٩٢_١٩٣.
(٨٣) المصدر نفسه، م١، ص٣٠٧.
(٨٤) المصدر نفسه، م٢، ص٣٠١.
(٨٥) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢٣.
(٨٦) المصدر نفسه.
(٨٧) المصدر نفسه، م٣، ص١٥٥_١٥٦.
(٨٨) المصدر نفسه، م٣، ص٢٦٥.
(٨٩) المصدر نفسه، م٢، ص٤٢٣.
(٩٠) المصدر نفسه، م٣، ص٢٩٧.
(٩١) المصدر نفسه، م٥، ص٢٢٨.
(٩٢) المصدر نفسه، م٤، ص٤٤٩.

The palaces, homes and houses in book «The Dictionary of the Countries»

Rsha Eisaa Faris

Abstract

The book « Dictionary of the Countries» by Yaqut al-Hamawi al-Baghdadi is one of the most important encyclopedic books that enriched our Islamic library with a lot of information about the heritage, traditions and customs of those countries, that he had visited most of them. Through out our research titled (The palaces, homes and houses in book The Dictionary of the Countries), As described earlier castles, public and official houses as the caliph palace and described landmarks itself or oblivion, and he describe the living and the features as well، He mentioned the resins for math for each landmark , it regard one of the important rich materials that never available in the rest of the other books, « Dictionary of the Countries» become a reference science student to the different specialty and orientation, therefore that historiographer was great effect in enriching the culturist side of the Islamic world through out a scientific material in his encyclopedic book.

